د . عصمت سيف الدولة

حوار مع الشباب العربي

اهداء

هذا حوار جرى على صفحات مجلة " الشورى " فيما بين شهري مايو (ايار) ١٩٧٤ وسبتمبر (ايلول) ١٩٧٥ تحت عنوان " على السفود،... بتوقيع " ابوذر، ... أهديه الى الجيل الجديد من الشباب العربي الذي كنت اعنيه وحده بما كتبت واخاطبه وحده وانا اتحدث الى الاخرين ...

عصمت سيف الدولة

القاهرة في ٤ فبراير (شباط) ١٩٧٨

تعارف

في مكان ما من الوطن العربي جاءني العدد الاول من " الشورى " جاءني محمولا على رأس حمار . لم ار الحمار. لكن لا بد ان حمارا ما قد حمله على رأسه بين اذنيه مرحلة من الطريق بين طرابلس وبين المكان الذي انا فيه. كيف تصل " الشورى " بعد شهر كامل من يوم صدورها الا اذا كان قد عوقها رأس غبي؟. بعدا للحمير عن طريق الفكر القومي .

ملحوظة: اضيفوا كلمة التقدمي الى شعار المجلة ، ليس كل فكر قومي يستحق النشر ، نستمر ، العدد الثانى جاء محمولا مع رسالة صديق . مطلوب، من اجل عيون الامة العربية، ان اكتب في "الشورى " . تكرم الامة العربية اما الكتابة فلا. لماذا هربت اذن الى مكان ما من الوطن العربي. كرهت الكتابة لاني كرهت الكتاب. كرهت من بين الكتاب كافة القوميين. اولئك الذين يتغزلون في عيون الامة العربية، امة جريحة تنزف، تنهشها الذئاب، تلعق دماءها الكلاب، تستغيث. لا تسمع من ابنائها الا كلمات الغزل . مقرف. شيء مقرف. لهذا اكره الكتاب القوميين . اكره ترجمة مأساة امتي الى كلمات مرصوصة بدلا من ثورة عارمة. قاطعت الكتابة قاطعت الكتب. قاطعت الكاتب دعوت الله من كل قلبي الا يحشرني مع الكتاب القوميين ولو في جنات النعيم . اني افضل جهنم . هناك ساتسلى- على الاقل- برؤية اعداء الامة العربية وهم يلقوون جزاء ما اجرموا . ساكون مشغولا عن جهنمي بمتعة الانتقام في الاخرة ممن حرمونا دولة الوحدة في الدنيا . انعزلت انتظر الانتقام الممتع.

جاءتني رسالة مع العدد الثاني من مجلة " الشورى، تطلب الى ان ادخل الجنة على صفحاتها. المدخل هو النهي عن المنكر . صدق الله العظيم . ليس ثمة منكر اشد ما يدور الأن في الوطن العربي . لا تخشى شيئا. لن تجد في الجنة احدا من الكتاب القوميين . انت تظن انهم سيدخلون الجنة لانهم من " اليتامى المساكين وابناء السبيل " في.. وطنهم!! بعض الظن اثم . وظنك من البعض الاثم . تعالى الله علوا كبيرا . اكتب في " الشورى " ولا تخف فان الله قد حدد مصيرهم في جهنم بآية صريحة. في الجنة قد تقابل ذلك الرجل الذي تمنيت دائما لو كان عربيا.

لينين .

كانوا نفرا لا يزيدون عن اصابع اليدين عددا. يتحاورون . ا ختلفوا ٠ انشقوا أغلبية (بلشفيك). و وأقلية (منشفيك) . لماذا انشقوا؟.. ماذا كان الموضوع؟.. انهم يواجهون دولة القياصرة " هيل وهيلمان . وجند بالملايين وشرطة عاتية. سجون ومشانق . وحلفاء كثير من اوروبا. يريدون ان يسقطوها وهم نفر لا يزيدون عن اصابع اليدين عددا. لم يختلفوا ولم ينشقوا حول " كيف " يسقطون دولة القياصرة . كانوا اكبر من هذا. كانوا ثوريين حقا. الثوريون حقا لا يتهيبون قوى الاعداء. اعتبروا اسقاط القيصرية بكل هيلها وهيلمانها وجندها وشرطتها وحلفائها.. مسألة مفروغا منها. مسلمة. يقال مسلمة ولا يقال لا مسلم بها ، قياسا على ثوريتهم الصلبة كان اسقاط دولة القياصرة قضاء نهائيا على من يستحق السقوط . لا نقض ولا ابرام . لا خوف لا تردد لا تعقل لا حكمة لا واقعية ولا يحزنون . تحاوروا واختلفوا فانشقوا لانهم لم يتفقوا على ما يفعلون بالدولة بعد اسقاط القيصرية. ثم انفضوا مختلفين . وبعد بضع سنين اسقط لينين ورفاقه دولة القياصرة . وبدأت المسيرة الظافرة . مائة وخمسون مليونا اقل حضارة وعلما من سكان اليمن السعيد اصبحوا اليوم، بعد نصف قرن ينافسون على قمة البشر. ترى ما الذي كان قد حدث لو كان لينين قد خاف او تردد او تعقل .. اللهم اغفر لعبدك لينين الملحد وادخله الجنة حتى التقي فيها بثوري تمنيت دائما لو كان عربيا.

اما القوميون،

اليتامى المساكين ابناء السبيل فإلى جهنم . قبلوا اليتم والمسكنة والتشرد . قبلوا الظلم لم يقاوموه. ظلموا انفسهم . اعوذ بالله من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم : "ان الذين توفهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ". صدق الله وعدل . انه- سبحانه- لا يحرض على الهجرة بل يتحدى بها مماحكات الاذلاء . قبل الهجرة المقاومة. بكل حيلة وكل سبيل . قال تعالى مكملا نذيره : " الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا. فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا ". لا عفو ولا مغفرة للقادرين على دفع الظلم ويظلمون انفسهم فيختارون ان يكونوا مستضعفين في الارض .

كل الاديان تعاقب الظالم . الاسلام وحده يعاقب المظلوم ايضا، اذا لم يقاوم الظالمين . العزة للمؤمنين هذا قرار قرآني . اذن من ذل كفر وكل كافر في النار. اذن فيا ايها القوميون

الذين قبلتم ان تكونوا يتامى ومساكين ومن ابناء السبيل في وطنكم العربي خوفا من اعداء امتكم ان مأواكم جهنم وساءت مصيرا.

لا اريد ان التقى بكم في سعيرها. سادافع عن الامة العربية. حيلتي الكتابة. سبيلي الكلمة. اللهم اغفر لي عجزي عن حمل السلاح فقد بلغت من العمر عتيا. ادافع ضد من؟.. ضد الذئاب؟.. ضد الكلاب؟.. لا. لن اعود الى صفوف المغنيين او الندابين . هذه المرة ليس ضد الذئاب او الكلاب. ضد الكتاب . ضد " الشورى " ومن يكتبون فيها. ان غنوا ساندب . ان ندبوا ساغنى . اريد افساد جوقتهم حتى تكف عن الغناء او البكاء . اريد ان يصمتوا . ان احملهم على بلع الكلمات . لعلهم ان يتحولوا من القول الى الفعل . لعل طاقاتهم التي يبددونها كلمات فاترة ان تتحول الى حركة ثائرة. ان تتحول الشورى الى منشور او منشار.

فيا ايها الذين تفرشون مصير الامة العربية كلمات منمقة على صفحات من الورق المصقول لقد جئتكم من مكان ما فخذوا حذركم . والله المستعان .

على السفود :

هذا عنوان دائم .

قالوا ان الانسان حيوان ناطق . ربما. ليس دائما ، يكون ناطقا حينما تكون الاصوات الخارجة من حنجرته قابلة للفهم . بعض الذين يكتبون في " الشورى " ، غير الناطقين ، مثال : قال مطاع صفدى في العدد الثاني من مجلة " الشورى " :

" ليست الامة العربية فعل الماضي في الحاضر . وذلك لان الماضي يفعل في الحاضر عندما يكون الماضي هو الحي والحاضر هو الميت " !!..

ياسلام !!

وقال : " ان اعادة ادخال الشعب الركودي الى حلبة الحدث والفعل، واستجابته للتفجير الكياني داخل قواه الكامنة وتشريكه في عملية التغيير الشمولية، لا تتم عن طريق التاكيد على الروابط التقليدية في وحدته السكونية " .

ياحفيظ !!

هذه اصوات عربية. ليس هذا نطقا . يا اخ مطاع :

ان اردت ان تطاع فاسأل المستطاع . ان اردت ان يفهمك احد فاكتب ما يمكن لاحد ان يفهمه. الشعب العربي لا تنقصه الالغاز. الغاز النصر والهزيمة تكفي وتزيد . اتحدى من يستطيع ان يجيب من الواقع العربي على السؤال : ما هو النصر وما هي الهزيمة وما الفرق بينهما؟.. لا.. ليس الانسان حيوانا ناطقا.. دائما .

الانسان، د ائما، آكل لحم . صدقوني ، كل الشعوب تاكل اللحم . تختلف في الجنس واللون والدين والنظم السياسية والاجتماعية وفي اللغة والادب والامزجة وفى قطر الجمجمة شكل قطاع الشعر وطول عظمة العضد .. الى اخره ، ولكنها، كلها، تأكل اللحم . اللحم " سلعة " نصف مصنوعة. ليست مادة خام اولية . توضع المواد الاولية من النبات في جوف الماشية. تصب عليها عصارات معوية. تتفاعل كيمائيا. تتحول الى خلاصة من اللحم تختزنها الماشية في افخاذها واماكن اخرى وتطرد النفايات. نأخذ نحن اللحم ونكمل صنعه. نحوله الى سلعة استهلاكية . ننضجه على النار. نضع اللحم خروفا خروفا ، او قطعة قطعة، او نتفة نتفة، تبعا لكميات " النفط " الذي تنتجه كل دولة عربية على حدة . نضعه فوق النار محمولا على قضيب دقيق من الحديد . لنشويه. لننضجه ليصبح مفيدا. قضيب الحديد هذا اسمه " السفود " .

هكذا اخترت العنوان .

اول من استخدم السفود عنوانا المرحوم مصطفى صادق الرافعي . الف كتابا اسماه " على السفود" . خصصه لشوي المرحوم عباس محمود العقاد . رحمهما الله . كانا عملاقين . احدهما يعرفه الجيل العربي الجديد كان وراء العقاد حزب فعرف الشعب العقاد . وكان الرافعي فردا فرديا مفردا فضاع. الفردية ضياع حتى في الادب. الفعل الخالد هو ما تفعله الجماعة المنظمة. لو كان الرافعي من جماعة لكان كتابه " اعجاز القرآن " ، بعض ما يدرسه الجيل الجديد في المعاهد . اذن لعرف الرافعي عبقري اللغة العربية وصاحب اسرار عبقريتها . ولقرأ له الشباب " اوراق الورد " و "رسائل الاحزان ". ابلغ وارق وانبل رسائل الحب في كل اللغات . كان يكتبها للاديبة مي زيادة. كان يحبها. لم يرسها اليها . لم تكن تحبه لانه لم يكن وجيها حتى في الوجاهة والحب يضيع الفرد الفردي ولو كان متفردا بالعبقرية.

لنعد الى السفود .

من اجل الا تضيع " الشورى " الوليدة يجب ان تكون منبرا جماعيا . العددان الاول والثاني فرديان. كتبتهما جماعة من الكتاب يغنى عنها واحد منها . هذا هو معنى الفردية . فكرة واحدة في العدد الاول كتبها كل واحد منهم . اختلاف بسيط في التناول واللغة. لا اختلاف في المضمون . معنى واحد عن " الوحدة " متكرر من صفحة الى صفحة فوق توقيعات متعددة . العدد الثاني عصاة واحدة رفعها متعددون واسقطوها على رأس الماركسية . هذا فقر في المادة . الفردية فقر . الفرق بين التعدد والجماعية هي قسمة العمل . التعدد الفردي تكرار ممل والجماعية تكامل خلاق . المجلة منبر جماعي . يعطي كل واحد ما عنده اضافة الى ما يعطيه الاخرون . يتكاملون . تصبح المجلة خلقا جماعيا . تقرأ كل كلمة فيها لان كلماتها غير متكررة . يقرأ كل عدد منها لان كل عدد غير معاد . هكذا نريد " الشورى " سنشوي الشورى على السفود لو عادت الى التعبير عن موقف فردي تخفيه تحت عناوين متعددة .

هل عرفنا السفود؟

لينتبه كل كاتب في " الشورى" الى جلده . انها تحمل شعار " مجلة الفكرالقومي ". الفكر القومي ليس مباحا لكل قادر على الكتابة . ليس متروكا لتجربة الاساليب.. مع ذلك هي مجلة الشباب العربي بدون حاجة الى الحاح محمد السخاوى في العددين . ماذا نفعل؟.. سنتقبل ماتكتبون ، ايها الشباب، في كل عدد لنشويه في العدد التالي . لانضاجه فلا تغضبوا . اريد من كتاب " الشورى " ان يفهموا اننا نشوى لننضج لا لنحرق هل في هذا عيب؟!. لا اريد ان اتعرض لاظافرهم المطبوعة ينهشونني بها في " الشورى " كتاب ينهشون بالكلمات الجارحة. هؤلاء يخيفونني من الان . لا. لست جبانا الى هذا الحد لكني ضد المغامرة والتهور الطائش . هل من الشجاعة ان اتعرض لمثل الكلمات النهاشة التي قدم لنا منها اسماعيل مرهج عينات حادة في العدد الثاني من الشورى؟..

رد اسماعيل مرهج على صلاح حافظ يحاوره فانشب كلماته في عنقه : التلفيق، العبث الكلامي الذي لا رصيد له، اكثر من حجمه على الورق ، المماحكة السخيفة، الاضطراب، الحقد، نفث السموم .. الى اخره. ليس هذا حوارا هذه مذبحة . فقد اسماعيل مرهج عن طريق النهش بالكلمات الجارحة قدرا كبيرا ما كسبه بالاجتهاد الصحيح .

لا تنهشونا عندها نشويكم على " السفود، حتى لا نترككم على النار اكثر مما تطيقون فتحرقون .

وقد اعذر من أنذر . والبادي اظلم .

أبو ذر :

لماذا ابو ذر توقيعا ؟..

أخوفاً من الكلمات الطويلة؟.. واسباب اخر . كثيرة . اولها الاقتداء بالصحابى الجليل ابو ذر الغفارى يقولون انه اول الاشتراكيين . كلام . الاشتراكية نظام اقتصادي اجتماعي حديث . ولد من رحم الرأسمالية تصحيحاً لعلاقاتها الاجتماعية الخاطئة. الاسلام اقدم من الاشتراكية والرأسمالية. الاسلام ابقى من الاشتراكية والراسمالية . الاسلام اشمل من الاشتراكية والرأسمالية . الاسلام فوق الاشتراكية والرأسمالية . الاسلام نظام للانسانية بغير حدود من المكان والزمان . يجتمع في قواعده كل ما هو مشترك بين بنى الانسان في كل مكان و زمان . لا يدنو اكثر من هذا زمانا ومكانا . في ظله يعيش الاشتراكيون والرأسماليون ويتحمل كل منهم مسؤولية ما اختار على ضوء مصلحة الجماعة في زمانها ومكانها . ثم يحشرون . من اختار استغلال الانسان نظاما فالى جهنم . ومن اختار تحرير الانسان نظاما فالى الجنة . عندئذ يعرف الظالمون أي منقلب ينقلبون . يكون الاشتراكيون مسلمين ويكون المسلمون اشتراكيين ولكن الاسلام ليس اشتراكيا . الخاص ينسب الى العام وليس العكس . واضح ام انها اصوات غير ناطقة؟..

كان ابو ذر يقول؟ ليس للمسلم ان يمتلك الا ما يحتاج اليه ليعيش بدون اسراف . ما يفيض هو ملك المسلمين كافة. كذلك فهم وفسر الصحابى الجليل قوله تعالى : " وانفقوا ما جعلكم مستخلفين به ". وقوله : "وآتوهم من مال الله الذي آتاكم " . المال مال الله وللانسان حق النفقة منه . الحديث يقول " ليس لك من مالك الا ما اكلت فافنيت ولبست فأبليت وتصدقت فأبقيت ".

الفيء (الغنائم) للمسلمين يقسم فيما بينهم اخماسا . نص في القرآن صريح . فلما فتح المسلمون العراق عادوا الى عمر يطلبون قسمة ارضه (السواد) . استشار العبقري ثم قرر . الفيء

للمسلمين نعم . للمسلمين جيلا بعد جيل . فكيف تقسم الارض بين جيل الفاتحين فتحرم منها اجيال قادمة من المسلمين . لا. تجرى القسمة في المال المعد للاستهلاك . اما مصدر الانتاج الدائم فيبقى ملكا عاما للمسلمين . هكذا افتى عمر ونفذ فلم يعرف الاسلام في عهده ملكية رقبة الارض قط .

اين من عمر دعاوى الاشتراكيين .

لم يكن عمر اشتراكيا . لا. ولا كان ابو ذر . رضي الله عنهما. كانا مسلمين اجتهدا فاختارا ما ينفع المسلمين . ليس هذا سبب اختيار " ابوذر " توقيعا . كثيرون قالوا ويقولون ما قال ابو ذر . اعجبني من ابي ذر انه كان يقوله متحديا ولي الامر امير المؤمنين واصحابه في سلطة الخلافة . شجاعة ابي ذر هي المغرية. يعجبني التحدي بالحق بدون حساب " لموازين القوى ". ابو ذر نموذج الثائر وليس نموذج الاشتراكي . أستعرنا اسمك يا استاذ الثوار فعسى ان يكون فينا بعض من شجاعتك . لنقول " للشورى " بحسم عقاري . ارفعوا اسم ثورة الفاتح وقائدها من صفحاتكم . لا عداء . وكيف يكون العداء للصامدين الرافضين . السبب انهم دولة الجماهير العربية تريد- ولو مرة واحدة في تاريخها الحديث- أن تقرأ الكلمة القومية بعيدا عن ظل الدولة . ان يكون لها منبر مستقل عن سلطة الدولة. هل هذا ممكن؟ ممكن . ثورة الفاتح من سبتمبر وقائدها ورفاقه يقبلون ان تصدر " الشورى" في ليبيا ولا تكون ليبية . لماذا تصر " الشورى " على الانتساب الضمني بأن تطرح في افتتاحية العدد الثاني اقتراحا لا طاقة لها بتنفيذه الا اذا غرفت من خزائن الحكومة الليبية ؟.. مهلا يا جمعة؟ .. اجل اقتراحك الى ان تستطيع الشورى ، حمل عبء الانفاق عليه من عائدها الخاص . ولماذا تصر الشورى على الانتساب الضمني بان تطرح على صفحاتها كلمات عن ثورة الفاتح بقلم قائد الثورة؟..

ان افضل ما قاله القذافي في حياته جاء في برقية وصف نفسه بانه "شاب عربي من شمال افريقيا". يا هلا بكل الشباب العربي . بهذه الصفة يكتب. وبهذه الصفة سيلتقى به ابوذر على صفحات "الشورى" . ولعله الوحيد من بين الحاكمين الذي يمكن ان يوضع ما يكتبه على السفود بدون ان يتعرض ابا ذر للنهش والبطش . الاخلال بهذا الشرط يعنى انني لا استحق الاسم الذي استعرته. فالى اللقاء.

الفراسة.

الفراسة هي معرفة الكل عن طريق الملاحظة الدقيقة للجزئيات . اسلوب علمي . مارسه العرب وعرفوا به. على رمال الصحراء قدمين لهما اتجاه . نظر السائر يطابق الاتجاه دائما . ننظر الى اثر القدمين . ان كان الاثر مائلا الى اليسار (ميلا دقيقا) عن خط الاتجاه فالسائر فاقد العين اليسرى او ضعيفها. ان كان اثر القدم اليمنى اعمق من اثر القدم اليسرى فالسائر يحمل على كتفه اليمنى ثقلا. ان كانت الاثار متتابعة عن قرب فالسائر يجري ، ان كانت على البعد المألوف فهو يمشي الهوينا. ان زادت المسافة بين القدمين عن شبرين فهو طويل . ان قلّت فهو قصير. ان كان يجري فهو خائف. لا. انه مستعجل . الاثر لاصابع منفردة . الخائف تتقلص اصابع قدميه وتنكمش . هكذا كان العرب يعرفون من الجزئيات حقائق كثيرة . بلغت الثقة في صدق الفراسة عند العرب الاحتكام اليها في صحة النسب .

انا عربي ،

رئيس تحرير مجلة الشورى متزوج " سعيد " . المرأة ليست مشكلة في حياته. لا تثير انتباهه. هكذا غابت اقلام الاخوات العربيات من صفحات الشورى . هكذا غابت مشكلات المرأة العربية من موادها. ان كنتم تريدون اقامة دولة الوحدة للرجال فقط فاني اقليمي . ان كنتم تريدونها للشعب العربي رجالا ونساء فافسحوا مكانا مرموقا لشريكات المصير الواحد . عجز الرجال عن انقاذ امتهم فعسى ان تحقق اخت عربية لامتها ما حققته لدولتها، ولا نقول جان دارك ، بل نقول بندرانيكا وانديرا غاندى وجولدا مائير . ان الله لا يستحي من الحق .

اخيرا .

تعارفنا. حسن . هل نبدأ ؟.. تلك قسوة . غدر . نكتفى اليوم بالتعارف . ليستعد الجميع وموعدنا العدد القادم . ومن يريد ان يعيننا على شوى الكتاب فليرسل الينا بحطبه نقدا ينضج ولا يحرق فنصوغه غفاريا . لست نادما على الصبر الا لان العدد الاول قد افلت . كنت اريد ان احرقه. انه ليس مجلة انه مقتطفات من كتابات وكتب شخص بعينه. لماذا لم تضعوا عليه اسمه وترسلوه اليه. هذا لا يجوز . حذار من التكرار العدد الثاني افضل ، ينقصه التنسيق من اجل التكامل في المضمون . اعجبني مقال بدون توقيع . اعجبي غياب التوقيع . سأحلم بيوم تلتقي فيه "

الشورى " بقرائها مادة مجردة من التوقيعات . حينئذ سيلقى كل مقال ما يستحقه لا ما يستحقه صاحبه.

الى اللقاء اذن .

أو وداعا.

قد اعود وقد لا اعود . يتوقف الامر على ما ستفعله " الشورى " باللغة التي تصدر بها. لا اقبل الكتابة في مجلة تحمل صفحاتها كل تلك الاخطاء اللغوية . تثيرني الاخطاء الساذجة. اغفر للأفراد الاخطاء التي لا يكتشفها الا الضالعون في علم اللغة . ولكني لا اغفرها لمجلة تستطيع ان تقوم لغة الكاتب فيها بمن يستطيع التقويم .

والسلام على من اتبع الهدى

٢

مع المتشائمين :

مالتس (١٧٦٦- ١٨٣٤) كان قسا فقيرا. نشر في ١٧٩٨ كتابا لم يضع عليه اسمه. كان البحث العلمي عند الكنيسة هرطقة . اسم الكتاب " بحث في مبدأ السكان " فكرته بسيطة. يزداد عدد السكان بنسبة هندسية ١: ٢: ٤ : ٨ : ١٦: ..... الخ . تزداد المواد اللازمة للمعيشة بنسبة حسابية ١: ٢: ٣ : ٤ : ٥ ..... الخ . النتيجة كارثة من الجوع .

ريكاردو (١٧٧٢- ١٨٢٣) كان عضوا في مجلس العموم البريطاني . كان غنيا فلم يخف. نشر كتابا وضع عليه اسمه. اسم الكتاب " مبادىء الاقتصاد السياسي " . فقال ، اول من قال ، ان العمل هو مصدر القيمة. اخذها عنه ماركس . اخذ عنه ايضا نظريته في الاجور. قال ريكاردو : انه في ظل المنافسة الحرة (النظام الرأسمالي) يتجه السعر الى ان يكون مساويا لتكلفة الانتاج . لو ان سلعة بيعت باكثر من تكلفة انتاجها لزاد الربح فيها عن غيرها . زيادة الربح تدفع المنتج (الرأسمالي) الى زيادة انتاج تلك السلعة . يزيد المعروض منها عن الطلب عليها . ينخفض سعرها . يتجه الى ان يكون مساويا لسعر تكلفتها. ثم قال ريكاردو: ان العمل سلعة. يتوقف الأجر (ثمن

العمل) على العرض والطلب في سوق العمل . اسماه الاجر الجاري . ارتفاع الاجور يؤدي الى زيادة عدد العمال الراغبين في العمل . يتنافسون . تهبط الاجور. تتجه الى ان تكون مساوية لتكلفة انتاج العمل ذاته. وقال ريكاردو: ان تكلفة انتاج العمل ذاته هو المواد الضرورية لبقاء الانسان قادرا على العمل مجرد قادر على العمل . اسماها الاجور الطبيعية. اذن، تتجه الاجور (الجارية) الى ان تكون مساوية للاجور (الطبيعية) .. في ظل النظام الرأسمالي . النتيجة كارثة فقر للعمال.

اثنان من علماء الاقتصاد الرأسمالي . متشائمان . لانهما توقعا كوارث النظام الرأسمالي ولم يعرفا الحل ، لم يعرفا الحل الاشتراكي . هذا جاء فيما بعد . اذن ، التشاؤم هو توقع السوء والجهل باسباب منعه او ردعه او تلافيه.

فرويد يقول غير هذا.

قال فرويد : " التشاؤم منشأه الدوافع العدوانية القاسية المكبوتة. فالجزء الاكبر من التشاؤم ينم عن الخوف من شر مستطير. ومن يتمنى لغيره الشر، ولكنه يضطر الى كبت هذه النزعة الشريرة في اللاشعور نتيجة لحسن تربيته (شكرا..) فانه يتوقع العقاب على هذا الشر المكبوت عقابا يأتيه من الخارج على شكل شر او نحس ".

فرويد كاذب. انتهز فرصة اثبت فيها ان فرويد كان اكذوبة .

ها اندا متشائم . لا اتوقع " للشورى " حياة طويلة . من عدد الى عدد اشعر بأن هذا الوليد لن يعيش حتى نراه كما نتمناه . متشائم انا لانني لا اعرف . اتوقع السوء ولا أعرف كيف تنقذ " الشورى" من مصير لا يستحقه الفكر القومي التقدمي الذي تحمل شعاره . هل نترك " الشورى " تموت ؟ هذا نكوص . النكوص مرض . النكوص وباء في الوطن ا لعربي .

مرض النكوص:

مكدوجال عالم في النفس . يونج علامة . علامة صيغة مبالغة من عالم . قال العالم يلخص ما قاله العلامة : " النكوص فعل نفسي يفيد- بمعناه العام- ابتعاد الانسان عن طريق التكيف مع الحياة الى حالة الطمأنينة التي يشعر بها الطفل بين ذراعي امه قبل ان يكتشف مسؤليات الحياة " . يقول ويلز، وهو علامة اخر : " النكوص اخفاق الطاقة في مواجهة الموقف

الراهن " . النكوص، اذن اسلوب مرضي يجتنب به المريض العقبات التي تصادف مسيرته . هرب. كم هم الناكصون هربا من متاعب تحقيق الحرية والاشتراكية والوحدة في الوطن العربي ؟ القوميون التقدميون لا ينكصون وما ينبغي لهم . لنواجه اذن العقبات التي تعرقل مسيرة " الشورى" .

ماذا تريدون؟

سؤال الى كل الذين كتبوا العدد الثالث من " الشورى" . ان شئتم والعددين الاول والثاني . ماذا تريدون؟.. تنثرون كلمات طيبة من بالونات محلقة بعيدا بعيدا، بعيدا عن حياة الناس من امتكم . تلك مقدمة مقبولة أن هبطتم من بعد تحليق لتزرعوا البذور في الارض فتثمر حياة كان موعد هبوطكم العدد الثالث بعد ان عرف الناس من العددين الاول والثاني الاتجاه العام لمجلة " الشورى " . لا. لماذا كل هذا التجريد النظري؟ هل هذا هو كل ما في جعبة الفكر القومي التقدمي؟.. اذن فستستمر الحياة على ما تكرهون وانتم محلقون .

الامة بشر . الامة ارض . البشر جوعى . عرايا. مرضى .اميون . مقهورون . الوطن ممزق . الارض مغتصبة محتلة. موات لا تستثمر. حلقوا ما شئتم ثم اهبطوا وقولوا ما ينفع الناس . كيف يشبع الجوعى؟ كيف يكسى العرايا؟ كيف يصح المرضى؟ كيف يتعلم الجهلة؟ كيف يتحرر المقهورون ؟ كيف يتوحد الوطن؟ كيف تسترد الارض؟ واسئلة اخرى . بعد كيف اين . بعد اين متى... الخ .

اتمنى لو ان " الشورى " ، الزمت كتابها ان يختموا ما يكتبون بجملة ملزمة. اقترح صيغتها : .. "بناء على ما سبق فاني (أي الكاتب) ارى ان يفعل القراء كذا في مكان كذا في وقت كذا...، هكذا يتصل الفكر القومي التقدمي بحياة الناس . ان لم تفعلوا فهي موعظة. وانتم واعظون أو وعاظ . الاولى صفة والثانية " مهنة " فهل انتم واعظون ام وعاظ؟

مثال:

ذلك الكاتب يبلغ نقاء كلماته حد الشفافية. هذا مدح للكاتب وليس مدحا للمكتوب. الكلمات الشفافة تفلت من الانتباه . لا يتوقف عندها النظر. يخترقها ليتأمل غيرها. اخلط ، اخي، كلماتك بما يشد اليها الانتباه ويوقف عندها النظر فلا يتخطاها الا بعد ان يعيها . اتعب

نفسك قليلا فإن لك قلما لن يخذلك ان حملته اثقال العلم . تحدث الاخ خالد ابراهيم تحت عنوان " الشورى والطموح الواعي " حديثا سلسا كالماء العذب . شفافا مثله. خواص الماء لا طعم له ولا رائحة ولا لون . اقصد الماء النقي . تحدث عن المدارس . اسماها مدارسنا. القوميون ابرياء من نسبتها ياأخ خالد وانت من القوميين لا شك في هذا. انها مدارسهم . مدارس الاقليمية. ليس في الوطن العربي كله مدرسة قومية واحدة. قال انها اجهزة تفريخ موظفين . ماذا كنت تنتظر منهم؟ لا يهم . يهم القوميين ان يعرفوا ما اذا كانت تفرخ قوميين ام اقليميين ما اذا كانت تجنى على الجيل الجديد ام تحافظ عليه. هذا جانب من المشكلة يهم القوميين . نبدأ بالمدارس . نترجمها الى بشر. نوزع الاعداد من بنى أمتنا على مراحل التعليم :

	ابتدائي	ثانوي	معاهد عليا وجامعات
موريتانيا	١٤٢٩٥٩	٣٩٧٠٣	١٣٣٩
المغرب	١١٣٥٨٦٥	٢٧٤١٠٢	٢٤٠٣٤
الجزائر	٤٧٤٤٢٥	٦٨٢٠٥	٢٠٨٦٢
تونس	٨٤٤٩٩٤	٩٥٥٦٤	٤٥٠٧٦
ليبيا	١١٠٢٥١	١١٣٢٤	١٦٤٥
مصر	٣٤٩٢٩٣٥	٩٥٩٣٦٦	٣٥٨٦٢٣
السودان	٤٩٦٦٣٢	١٣٠٠٠١	١٦٢٠٠
الصومال	٢٨٨٩٠	١٧٠٤	٣٤١٨
اريتريا	غير معروف	تحت الاحتلال	الحبشي
فلسطين	غير معروف	تحت الاحتلال	الصهيوني
سوريا	٧٤٢٦٨١	٢٠٩٧٧	١٢٧٢٠
لبنان	٥٤٤٤٧٥	١١٥٥٤١	٥١٦٣٠
الاردن	٢٢٩٦٩١	٧٥١٣٩	٢٦٥٥٤
العراق	١٠١٧٠٥٠	٢٨٥٧٢١	٥٣٦٥٠
الكويت	٦٥٤٩٥	٥١٤٣٤	٦٢٩٦
السعودية	٣٦٣٤٢٦	٨٥٦٧٤	١٣١٩٩
اليمن	٦٩١٣٩	١٩٤٩	٥٤

ضعيف انا في الحساب . لا بد نسيت دولا عربية اخرى . انهم اكثر من الهم على القلب . اظن ثمة دبى وظبي او ابو ظبي ، قطر ، والشارقة، والبحرين. ودولة يحكمها شخص يسمى قابوس

يقتل الشعب بجند من ايران . لايران جند غرب الخليج . رحمك الله يا عبد الناصر والهم امتك فيك الصبر والسلوان.. كفانا هما ما عرفنا ، عرفنا يا أخ خالد ان في مدارسهم ثلاثة عشر مليونا من ابناء امتنا. خلاصة الجيل القادم . كان ذلك عام ١٩٦٧. كم هم الان؟ اجب انت .

منهم ٩٧٥٨٩٠٨ ناشئا في المرحلة الابتدائية. من الذي يعلمهم؟ ماذا يتعلمون؟ باية لغة يتعلمون كيف يرعون صحتهم؟ من يتحمل نفقة تعليمهم؟ اين باقي الناشئة من اطفالنا؟ كم منهم شريد؟ كم منهم لا يجد مكانا في مدارسهم؟ كم منهم يضطرهم الفقر الى العمل في سنه الغض ؟.. اختصارا، كيف تكون التربية والتعليم في الفكر القومي التقدمي وهل توفي الاقليمية بمتطلباته ؟ لو استطاع كتاب " الشورى " ان يجيبوا على هذا السؤال بالنسبة الى ٩٧٥٨٩٠٨ ناشئا عربيا في المرحلة الابتدائية و ٢٤٠٢٨٠٤ يافعا عربيا في المرحلة الثانوية و ٦٩١٥٠٠ شابا عربيا في المعاهد العليا والجامعات، اجابة تثبت من واقع المناهج التعليمية والتربوية وظروف التعليم ومستقبله ان الاقليمية تحرم ابناء امتنا من امكانيات هائلة تقدمها لهم الوحدة ، لكسب الفكر القومي التقدمي خمسين مليونا من الاباء والامهات والاخوة والاخوات المشغولين بفلذات اكبادهم . هكذا يتصل الفكر القومي التقدمى بحياة الناس، ولو كان موضوع الدراسة مقارنة بين نوع وكمية وسعر الخبز في ظل الاقليمية وفي ظل الوحدة . ولتدخل " الشورى " البيوت ولو مع الخبز .

حتى لا يغضب الاخ خالد احكي له حكاية من الصين .

حكاية من الصين:

" شيه هوانج تي " كان اول اباطرة الصين . حكم من عام ٢٢١ الى عام ٢٠٧ قبل الميلاد. انفق اموالا طائلة في بناء الحصون وحفر القنوات وتعبيد الطرق . افتقد الاموال اللازمة لحرب موشكة. بلغه ان بخيلا مفرط الثراء من قرية " لان شو " قد مات عن غير وارث وعن كنز عظيم . كنز دفين . قيل ان احدا لا يعرف مدفن الكنز الا شيخ في القرية . امر الإمبراطور فجيء بالشيخ . عم، ان امك الصين في مأزق حرج . العدو يحشد جنده وجندنا يفتقدون العدة . العدة يلزمها مال. المصير يتوقف على ما تعرف . اين الكنز؟. قال الشيخ : غدا اقول لك . قال الامبراطور: اتقسم ان تقول اذا جاء الغد؟.. قال الشيخ : اذا اقسمت الا تقتلني قبل ان يجيء الغد . قال اقسم فقال اقسم. وافترقا. الامبراطور يعد الجند في انتظار الغد والشيخ ينعم في القصر في انتظار الغد في اليوم التالي قال له صاحبه : اين الكنز؟. قال الشيخ : غدا اقول لك..

لا اطيل . فطن الامبراطور الى ان كلمة الغد في اللغة الصينية تعني ما بعد اليوم اطلاقا ولا تعني اليوم التالي المعارك لا تنتظر احدا. انتقل الامبراطور الى الجبهة وانتقل الشيخ الى السجن وهو يعد بان يقول اين الكنز اذا جاء الغد . ولم يزل حتى اذا مات الامبراطور اطلقوه .

قال له من قال : لماذا لم تقل للامبراطور أين الكنز، قال لانني لا اعرف . قال لماذا قلت انك ستقول . قال : لانعم بالبقاء في القصر. قال : لماذا لم تقل انك لا تعرف بعد ان انتقلت من القصر الى السجن؟ قال : لان السجن اهون من سيف ا لجلاد .

لدينا شيخ عربي اسمه الدكتور عصمت سيف الدولة. كتب في العدد الثالث من " الشورى " مقالا ذا عنوان مقعر . (اعتاقة من اجل الوحدة ام وحدة من اجل الاعتاق) . الموضوع حوار مع نخبة من الماركسيين حول الوحدة العربية . انتهى المقال الى ان الحل هو التنظيم القومي . لو لم يوقع المقال لعرفناه . منذ ١٩٦٥ يؤلف كل عام كتابا . ويكتب كل عام مقالات عدة . كلها، كتب وكتابات تنتهي الى معنى واحد : الحل هو التنظيم القومي . حل اية مشكلة من اول اسقاط الامبريالية الاميركية الى تهجين الاغنام في موريتانيا . ثم ينتهي بجملة مكررة :.. (اما كيف يقوم التنظيم القومي فهذا حديث اخر ".. عم ، اين الكنز، المعارك لا تنتظر احدا. ان كان الدكتور عصمت سيف الدولة يعرف فعليه ان يقول . ان كان لا يعرف فعليه ان يكف عن القول : آمنا بالتنظيم القومي اداة للثورة العربية ولكن يا دكتور عصمت ماذا تريد من القراء؟ ماذا يريد كتاب " ا لشورى " .

انه مثال اخر.

حوار مع الطليعة

تحت العنوان المقعر لمقال الدكتور عصمت سيف الدولة ذكرت " الشورى " انه حوار مع مجلة "الطليعة" القاهرية. كيف كان الحوار؟ انقض الدكتور عصمت سيف الدولة على جماعة من الماركسيين نشروا احاديث لم تعجبه في مجلة الطليعة القاهرية (عدد ايار ١٩٧٤) فجرد بعضا منهم مما يستر العورات وتركهم عرايا فكريا . التجريد والتعرية تمتا بمقدمة عنيفة. كلمات نهشتهم اولا ثم امتدت تجردهم من أغطية الكلمات . اما كان يستطيع الدكتور عصمت سيف الدولة ان يعريهم بدون عنف؟ لا رحمة بهم ولكن ليكون الحوار حوارا. قد لا يعرف قراء " الشورى "

ان ما نشر في العدد الثالث تحت العنوان المقعر نشر في الوقت ذاته في مجلة " الطليعة، تحت عنوان بسيط : "الوحدة العربية : دعاء ام دعوة ؟.. " عناصر الحوار ناقصة وهذا ظلم من "الشورى" لقرائها. المقالات التي رد عليها الدكتور عصمت سيف الدولة لم تنشرها " الشورى " لها عذر مقبول . سحب العدد من السوق بعد طرحه لانه تضمن مقالا بذيئا يسب فيه احمد ابو الفتح الرئيس عبد الناصر. (ابو الفتح ليبرالي رجعي عتيد هرب من مصر منذ عشرين عاما قضاها مع سادته في اوروبا ثم عاد اخيرا).. هناك ما ينقص الحوار ولا عذر " للشورى " في عدم نشره . انه تعقيب الدكتور رفعت السعيد على مقال الدكتور عصمت سيف الدولة. لماذا لم تنشره " الشورى "؟ يا اهل " الشورى " كونوا منصفين . يا قراء " الشورى " قال الدكتور رفعت السعيد :

" لكل حوار ادابه وتقاليده، ولقد فتحت الطليعة صدرها رحبا لكل رأي معارض ما دام ملتزما باداب الحوار الموضوعي ، وان ينتهج اسلوبا يبعد بالحوار عن الشتائم والبذاءة . ليس فقط لان مثل هذه الشتائم ليست من اخلاقيات الحوار العلمي وانما ايضا لانها لا تقنع احدا وتخرج بالحوار عن حدود علميته وموضوعيته " ان كلمات مثل (استحقوا ردا رادعا) و (انعدام الجدية) و (كلمات رخوة كسولة) و (كما لو كان نقدا لاحد افلام رعاة البقر) و (دكتور مثل..) و (حديث هازل وانتهازي معا) الى مثل هذه الالفاظ التي ما اسهل ان يرد عليها الانسان بما هو اقسى منها واعنف والتي لا يجوز استخدامها في حوار علمي مهذب انها تهبط برد الدكتور عصمت سيف الدولة الى وهدة ما كنا لنرجوها. ومن تقاليد الحوار ان يوجز الانسان رده وان يضعه في حجم ملائم ميسور النشر. فلقد قلنا رأينا الدي لم يعجب الدكتور شيء منه وكنا سبعة كتاب فأخذنا من مساحة الطليعة احساسا منا بمسؤولية الكلمة عشرون (كذا..) صفحة فقط فاذا بالدكتور يمط شتائمه ويكررها الى حد الاملال ليستغرق هو وحده من الصفحات قدر ما استغرقنا جميعا " .

هكذا عقب الدكتور رفعت السعيد فذكرني باقصوصة مرحة .

يحكى ان شخصا قام خطيبا في اهل قريته يعظهم في امر دينهم . قال : ايها الناس، انكم تسبون الدين حين تصبحون . تسبون الدين حين تمسون . تسبون الدين في كل آن ما بين الصباح والمساء. ازعجتمونا. افسدتم علينا حياتنا وحياة قريتنا. ولقد نفذ صبرنا عليكم . فوالله لان لم ترجعوا عن سب الدين لالعنّن دين ابيكم " وقديما قيل العين بالعين والسن بالسن والبادي اظلم .

الفرق بين الذي بدأ والذي رد ان الدكتور عصمت سيف الدولة نهشهم ثم قال في الموضوع حقا . الدكتور رفعت السعيد شتمه ثم لم يقل صدقا .

الاركسة والماركسية :

قال الله تعالى في سورة النساء : " فما لكم في المنافقين فئتين والله اركسهم بما كسبوا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا " . وقال تعالى : "ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم كل ما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم واولئك جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا ".

الاركسة ، والمأركس، والماركسون، من اركس اي قلب ادراكه ، ثلاثية : ركسه يركسه اي رده مقلوبا. وقلب اوله على اخره فارتكس . (بالعامية: " لخبطه "). فهل الماركسية نسبة الى كارل ماركس ام الى الاركسة . يستويان فيما قال الدكتور رفعت السعيد . قال " لقد قبل الشعب السوري- وبرضاه- هذا الانفصال اكرر كلمتي قبل وبرضاه وانا اعرف ان هذا لن يعجب الدكتور عصمت ولكن ما حيلتي اذا كان احدا (كذا..) لم يتحرك لحماية الوحدة يوم ان وقع الانفصال.. ".

هل من يرد ولو انصافا لشهداء النضال الشعبي ضد الانفصال؟.. هل من يصف للدكتور المأركس القتال في شوارع دمشق ودير الزور وحمص وحلب واللاذقية الذي كاد ان يصل الى الحرب الاهلية لولا ان رأت القيادة الرسمية الاعتراف بالانفصال ..؟

ماذا تريد " الشورى " من حوار بعضه نهش وبعضه اكاذيب؟

موعظة من بابل :

كانت مدينة بابل تقع على نهر الفرات شمالي موضع مدينة " الحلة " القائمة الان . قال هيرودوت: " انها مقامة في سهل فسيح يحيط بها سور طوله ستة وخمسون ميلا، ويبلغ عرضه حدا تستطيع معه عربة تجرها اربعة جياد ان تجرى اعلاه ، ويضم مساحة تقرب من مائتي ميلا مربعا.

الفرات يشق المدينة. فوقه جسر آية في جمال الانشاء. تحته نفق عرضه خمسة امتار وارتفاعه اربعة. يصل ما بين الشاطئين . المباني من آجر. الآجر مكسو بالقرميد المنقوش البراق ذى اللون الازرق أو الاصفر او الابيض، المزين بصور من الحيوان وغيره . كل آجرة من الآجر تحمل نقشا يقول : " انا نبوخذ نصر ملك بابل " . نبوخذ نصر لم يبن بابل . جدد بنائها وطبع اسمه على آجرها.. كم هي قديمة الرغبة في الخلود.

كان في بابل صرحان مشهودان .

حدائق بابل المعلقة. مقامة على اساطين مستديرة متتالية كل طبقة منها فوق طبقة. غطى سطحها الاعلى بطبقة من الغرين الخصيب يبلغ سمكها امتارا. ترفع المياه من النهر الى سطحها الاعلى بآلات مائية غير ظاهرة . تزرع فيها الازهار والنباتات الغريبة وكثيف الاشجار. وهناك بعيداً عن أعين الكادحين في الارض كان نساء القصر يعشن غير محجبات.. كم هي قديمة الرغبة في السفور.

على بعد خمسمائة متر من القصر والى جنوبه كان برج بابل . صرح شامخ كالجبل يعلوه برج عظيم مدرج من سبع طبقات. جدرانه من القرميد المنقوش البراق . ارتفاعه مائتي متر. فوقه ضريح يحتوي على مائدة كبيرة من الذهب المصمت. وسرير مزخرف تنام عليه كل ليلة واحدة من النساء الجميلات.

تقول الاقصوصة ان اهل الارض من بابل ارادوا ان يتحدوا اله السماء فاجتمعوا على بناء ذاك الصرح العظيم . فلما ان بلغ ما بلغ ارتفاعا " بلبل " الاله السنتهم فلم يعد احد منهم يفهم ما يقول الاخرون . ففشلوا في ان يبلغوا ما كانوا يريدون.. "

منذ بابل، قبل بابل ، في كل زمان ومكان، اذا لم يفهم الناس ما يقوله الاخرون يفشلون جميعا. الناس اذن قسمان : قائلون وسامعون (او قارئون) . عملية الفهم تلزم الفهم . نشهد بأننا حاولنا فهم ما كتب الاخ اسماعيل مرهج في العدد الثالث من " الشورى " تحت عنوان " الدين والقومية وحركة التاريخ " فما استطعنا ان نفهمه جملة. كل فقرة قابلة للفهم . هذا يعنى ان كل فقرة تصلح، وتكفى، فكرة لمقال معقول . ولكنها معا حشد غريب من الفقرات اجتمعت بدون مبرر مفهوم . انتهى الى نتيجة قابلة للفهم بذاتها بدون الغرائب التي سبقتها، فهي بعض ما قيل في " النظرية الثالثة" غير المفهوم هو صلتها بالفقرات العديدة التي حشدت حشدا غريبا. لا يمكن

وضع مقال اسماعيل على السفود دفعة واحدة اذ تنقصه الوحدة . يوضع قطعة قطعة وبين كل قطعتين شريحة من البصل كما يفعلون في انضاج الكباب. القطع كثيرة . هاكم عينة للمذاق :

(١)- الحركة- كل حركة- ما لم تقع في نطاق قانون معين تحاكم وتقيم من خلاله فهي شيء اخر ".

يا أخ اسماعيل :

هل هناك حركة بدون قانون؟.. الحركة بدون قانون فوضى . هل هناك شيء اخر غير الحركة ؟. غير الحركة هو الثبات. هل يجتمعان في الوجود؟.. يستحيل . اذن لانشق الوجود بحكم التناقض بين الحركة والثبات فيه.

(٢) - " الناموس الذي يقع ضمنه قانون الحركة يقع بين ثلاثة حدود:

" الاول غاية تسعى اليها الحركة.

" الثاني دافع تصدر عنه.

" الثالث عامل تتحقق به.

يا اخ اسماعيل :

ناموس وقانون . ما الناموس اذا لم يكن قانونا؟.

غاية ودافع . ما الفرق ؟ ؟ قلب : " الغاية هي الهوية ". نستطيع ان نقول ان الدافع هو الحاجة الى الحرية. الحرية في حالة سلب . لتتسق حركة التطور من السلب الى الايجاب في ذات الموضوع . لكنك قلت " اما الدافع فيقع في المهمة التي اوكلت لهذا الانسان وهي التبرير الايجابي لمعنى الوجود من موقع الخلافة الالهية فيه ضمن اطار الغاية وفوق ما سبق تحديدها ". هل توثقت علاقتك بالاخ مطاع صفدى فاستعرت بعض استعمالاته اللغوية. انك لم تكن تكتب هكذا في العددين الاول والثاني. نحاول الفهم . مهمة الانسان هي تبرير الوجود ايجابيا. ألا يعني هذا ان تلك غايته؟ ما علاقتها اذن بالحرية التي قلت انها هي الغاية . وما معنى تبرير الوجود ايجابيا ؟ هل يمكن تبريره سلبيا؟ ثم ان التبرير اثبات او تعليل . فكيف يبرر الانسان الوجود ولمن؟ هل هناك من هو في حاجة الى ان يبرر له الوجود فيقوم الانسان بهذه المهمة من اجل اثباته او تعليله؟ هل الوجود في حاجة الى الانسان ليكون مبررا؟ الم يكن الوجود موجودا قبل ان يوجد الانسان؟ ثم

كيف وضعت الانسان موضع الخلافة الالهية في الوجود . يقول الله تعالى : " هو الذي جعلكم خلائف في الأرض . " ويقول تعالى : " ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون ". والارض جزء من الوجود. هي ذرة من الذرة مجازا من الوجود فهل من استخلف في الارض يكون قد استخلف في الوجود كله؟

(٣)- " الانسان وجود مركب من المادي والمعنوي و لكن الذي لا بد من معرفته وحسمه هو أي الوجودين يعطيه انسانيته و ادميته " .

يا اخ اسماعيل . ليس في الانسان وجودان . الانسان ليس مركبا من المادى والمعنوى . الانسان كائن نوعي واحد . قسمته الى مادى ومعنوى كان المنزلق الى النظريات التي تهاجمها فيما كتبت وتكتب . من انحاز الى المادى وصل الى الفلسفة المادية و من انحاز الى المعنوى وصل الى الفلسفة المثالية. ويقولون جميعا اما ان تكون ماديا او مثاليا. وهو خطأ . تجزئة الانسان هي الخطأ. في الواقع العلمي الثابت بالحس والتجربة لا يوجد انسان مادة . هذه جثة. لا يوجد انسان معنى . هذه فكرة. الانسان كائن ذكي . هذه كما هو واذهب به الى حيث شئت . لكن- ارجوك- لاتجزئة لمجرد ان تصل بعد حديث متقطع وطويل الى ما تريد ان تقوله : انك تؤمن بالنظرية الثالثة التي طرح فكرتها الاخ معمر . يمكنك ان تقول هذا وتجهر به بدون ان " تتعب حالك " وتتعب القراء...

(٤)- هذه المعاني الكامنة خلف الافعال المادية والحركة نوعان .

" الاول ايجابي خير يمثل الجانب الرحماني من الانسان والذي يوجه افعاله وجهة يجعلها تتسق مع النظام الكوني الذي ارساه الخالق بحكمة جعلت كل شيء مخلوقا بقدر وجعلت التعامل معه عبثا ما لم يكن متسقا مع نظامه.

" الثاني سلبي يمثل الجانب المضاد في الانسان ومهمته تأخذ صفة المعارضة من الاول بحيث يحاول السيطرة على الافعال وتوجيهها وجهة متعارضة مع حركة النظام الكوني فتأتي النتيجة على غير ما يتطلبه طموح الانسان ويتسق مع حركته ووجود المتناقضات في الكون امر لازم تحتمه مقتضيات التطور.

لا حول ولا قوة الا بالله .

يا اخ اسماعيل .

الرحمن مصدر الرحمة صفة لا تنسب الا إلى الله . يوصف الانسان بانه رحيم . ثم من اين جئت بهذه القسمة. قوة خير فى الانسان توجهه الى الخير. وقوة شر في الانسان ايضا توجهه الى الشر. اين حريته اذن في الاختيار ومسئوليته عنه ما دام خاضعا لما توجهه قوتان متناقضتان فيه؟ لماذا تقول بعد ذلك ان الانسان " قيادة " ما دام مقودا الى الخير او الشر؟ وتبرر النقيضين في الانسان "لان وجود المتناقضات في الكون امر لازم تحتمه مقتضيات التطور ". هل في الكون متناقضات؟ ما معنى اذن " النظام الكوني الذي ارساه الخالق بحكمة جعلت كل شيء مخلوقا بقدر "؟. هل في الانسان تناقض يا اخ اسماعيل؟ اين ذهب اذن ما قلت في العدد الثاني من " الشورى " : " ان الجدل (التناقض) قائم واساسي في التطور ولكنه ليس كامناً في المادة وذلك آخر ما توصلت اليه الابحاث العلمية في اكتشافات رذرفورد التي انتهت الى ان الذرة وحدة متزنة مستقرة خالية من الصراع " (بالمناسبة انت قلت هناك انها خالية من الصراع والحركة. وهذا مالم يقل به احد في الدنيا غيرك. الذرة عامرة بالحركة ويقال انها خالية من التناقض). ولماذا يكون وجود التناقضات لازما؟ الآن هذا " تحتمه مقتضيات التطور كما قلت ؟ " التطور هو النتيجة فهل تحتم النتيجة اسبابها ام ان الاسباب تؤدي الى نتائجها حتما؟.

(٥)- بدأت تتكلم عن الانسانية وتطورها وتدهورها وعذابها. اية انسانية يا اخ اسماعيل؟ ان الانسانية قبائل، وشعوب وامم شتى . الانسانية مؤمنون وكفرة. فقراء واغنياء . مستبدون ومقهورون فماذا تقصد ومن تقصد ام انك رسول الى البشر كافة بعد محمد عليه الصلاة والسلام. وهو لا شك كما تعرف خاتم الرسل . واين ادلتك من الوقائع والاحداث التاريخية على انحدار الانسانية؟ اليس التطور الى الامام حتميا بحكم القوانين التي تتكلم عنها فكيف تنحدر الانسانية ضد قوانين التطور؟ وان كانت فلماذا؟

(٦)- واخيرا تقول ببساطة ان اليهودية كانت ثورة. هل قال احد غيرك هذا الا الذين تعرفهم؟ ثم الق بنظرك الى " المشرق حيث الصين والهند ثم جنوبها حيث استراليا ثم غربا حيث افريقيا ثم في الغرب الاقصى حيث امريكا ثم قل لنا كيف تطورت كل تلك الشعوب بدون ثورة من الاديان الكتابية؟

يكفي . واعيد ما قلته لعل الأخ اسماعيل يأخذ به. ان كل فقرة تصلح وتكفى لتكون مقالا مدروسا. اما صب كل تلك المعلومات صبا في اناء من مقال واحد فلا يزيد عن ان يحيلها حشدا

غريبا. وزع معلوماتك الغزيرة يا أخ اسماعيل على اعداد " الشورى " ام انت تخشى الا تعيش " الشورى ". ان كنت فأنت متشائم مثلي .

ولا بأس في ان نتفق ولو في هذه . اما اذا كنت تريد ان نتفق في اكثر منها فقل لي ماذا تريد من قراء الشورى .

ماذا يريد كتاب " الشورى " من قرائها؟

غموض الاجابة هو عقبة في مسيرة " الشورى " . ثم عقبات اخرى ولكن هذا يكفي فالى اللقاء.

القاهرة في ١٧ تموز (يوليو) ١٩٧٤

٣

رسالة الى رئيس التحرير :

... واني لحزين . اخشى الا اطيق صبرا على " الشورى " فاطفىء النار واحمل السفود واعود الى الصمت لقد دعوتني فاستجبت وكتبت. كنت سعيدا اذ التقيت بالكاتبين من الشباب العربي على صفحاتها . ادير معهم حوارا جادا مرحا. اخفف من جهامة النقد الجاد بما ادسه فيه من معارف تثير غبطة الاكتشاف . ابذل في هذا جهد " الخاطبة " . تلك التي تحبب الناس في الناس ليصبحوا ازواجا. كنت اريد ان يقترن القراء بالشورى قران حياة من مدخل الحب . هذه هي المرة الثالثة التي احاول الكتابة فيها. واني لحزين . لا استطيع إن اصطنع المرح فلا استطيع ان أكتب ما يثير الغبطة. لست قادرا على كل ما تقدر عليه الخطابات . ان في- " الشورى "- عروس القراء- عيوبا تهدد الخطبة بالفسخ . ألم أقل ان عمر " الشورى " يبدو قصيرا. أن بقيت " الشورى " كما هى سيختفي ابو ذر واحزن انا، ان اختفت " الشورى " سأكون اكثر حزنا على وليد مؤود نعم يا جمعة يا مهدي يا فزاني . ان اختفت الشورى فقد قتلت قتلا. انت المسئول . لهذا اكتب اليك .

تأمل العدد الرابع .

نبدأ بالفهرس . لم تذكروا اسماء الكتاب . من قبل كنتم تذكرونها. استقروا على وضع يستقر وضع المجلة في وجدان القارىء . هذى واحدة .

الثانية ادهى وامر . اختار محرر الفهرس عناوين المقالات على هواه . تلتقط العنوان من الصفحة الاولى تبحث عنه في صفحته فتجد عنوانا اخر . لكل عنوان دلالة ولو تقاربت الصيغ . دلالة العنوان هي المحرض الاول على قراءة المقال .

يقرل الفهرس ان في الصفحة الثامنة مقالا عنوانه " الفكر القومي والتوازن الدولى " . يوحي العنوان بادعاء مغرور . الفكر القومي يحتاج الى موسوعة . التوازن الدولي يحتاج الى كتاب. البحث كله تجريد غير مثير . لا داعي للقراءة . ظلمنا محمد السخاوي . لقد كتب تحت عنوان "مسؤوليتنا القومية والتوازن الدولي " . هذا شيء اخر . جدير بالقراءة . كاتب يحدد موقفا من واقع مطروح . ويقول الفهرس ان في الصفحة الثامنة والثلاثين مقالا عنوانه " الاقتصاد العربي " . اعوذ بالله . الاقتصاد العربي؟.. هكذا . مرة واحدة وفي مقال من ١٣ صفحة لا. فنظلم محمد عبد الشفيع. لقد كتب تحت عنوان " الثورة العربية ومعطيات التخلف الاقتصادي ". هذا موضوع حي . يستحق القراءة . فنقرأ دراسة جيدة كنا سنفقدها لان محرر الفهرس رأى ان يمنحها عنوانا من عنده. وعندما يكتب عودة بطرس عودة تحت عنوان " المسئولية القومية تجاه القضية الفلسطينية مرحليا" تحرضنا دقة الصياغة في العنوان على القراءة . فهو يكتب عن القضية الفلسطينية مرحليا. ان كلمة " مرحليا " توحي بأنه يقتحم الاحداث الحالية بقلمه ويقترح علينا مواقف عينية تتفق مع مسئوليتنا القومية. لكن صاحب الفهرس يقتل المقال فيقدمه الينا بعنوان " المسئولية القومية تجاه قضية فلسطين " . عنوان لحديث قديم ممل . ثم قضية فلسطين ايضا؟.. انها قضية الامة العربية . او القضية الفلسطينية للأمة العربية. وبالله عليك يا جمعة، من الذي يقرأ مقالا عنوانه " الهجرة المضادة ".. الهجرة المضادة من اين الى اين؟.. وهجرة من؟.. الطيور ام الاسماك ام الناس؟.. قتل الفهرس مقال : " ظاهرة الهجرة المضادة من اسرائيل؟.. ومن ذا الذي يقرأ عرضا لكتاب عن "وحدة القوى العربية، كما جاء في الفهرس . ان كتابا يحمل هذا العنوان لا بد ان يكون لمؤلف منافق يدعو الى وحدة القوى العربية كما لو كانت كل القوى العربية سواء في مواقفها من قضايا الامة العربية. وظلم صاحب الفهرس صاحب كتاب " وحدة القوى العربية التقدمية ".. إلى آخره .

باختصار يا اخ جمعة ،

ان من يقرأ الفهرس لا يقرأ الشورى . هكذا تقتلون الشورى قتلا .

اما الثالثة فتعود بنا الى حديثي الاول في العدد الرابع . قال ابو ذر فيما قال نقدا للعدد الاول :

" اعجبني مقال بدون توقيع . أعجبني غياب التوقيع . سأحلم بيوم تلتقي فيه الشورى بقرائها مادة مجردة من التوقيعات. حينئذ سيلقى كل مقال ما يستحقه لا ما يستحقه صاحبه ". لا تقل لي انك قد حققت لي حلمي بأن ضمنت العدد الرابع : " رحلات نكسون " بدون توقيع و "الثورة العربية الام " بدون توقيع ، و " ظاهرة الهجرة المضادة من اسرائيل " . بدون توقيع . لم احلم قط بالرقص على السلالم . لا ولا بانصاف الحلول . اما ان يحمل كل مقال توقيع صاحبه . واما الا يحمل اي مقال توقيع صاحبه. لاني احلم بثبات الشورى على وضع يستقر في وجدان القارىء فيعتاد صحبتها .

اما الرابعة يا اخ جمعة فهو سؤال . لماذا تتحدث الشورى حديثا انقضى بدلا من ان تنير للقارىء افاق المستقبل . " الثورة العربية الام " محاضرة قديمة وهذا واضح من الفقرة قبل الاخيرة من العمود الثاني صفحة ٢٩. " ناصر وقضايا ناصرية " مقال للاخ حاتم صادق كتبه سنة ١٩٧٠ وهذا واضح من الفقرة الاولى ، اهذا كل ما استطاعت الشورى ان تقدمه في عدد صدر في الذكرى الثانية والعشرين لثورة ٢٣ يوليو؟.. كلام معاد؟ هل يرضيك هذا؟.. ان كان يرضيك فهو لا يرضى القراء قطعا . ويضيق به صدر ابي ذر ضيقا شديدا، واني لحزين .

واخيرا الخامسة..

انكم تأخذون ثلث صفحات المجلة (٣٤ صفحة) لنشر كتب مسلسلة. في العدد الرابع نشرتم الجزء الثالث من " التطور الحضاري العربي " . والجزء الرابع من " نظرية الحكم في الاسلام " والجزء لا ادري كم من " كراسة واحدة تجمع نضالات امة ". وبالمناسبة " نضالات تعبير غير صحيح لغويا . الاصل " نضل " اي سبق وغلب . ويقال نضال ونيضال بكسر النون وسكون الياء ومناضلة.

ما علينا . لقد اصبحت الأخطاء اللغوية اقل ما تؤخذ عليه الشورى . نعود الى الصفحات التي تملأونها حديثا متتابعا عن التاريخ القديم وغيره . انها كتب مجزأة . لا يوجد في الدنيا قارىء يقبل ان تفرض عليه قراءة عشر صفحات كل شهر من كتاب . وان يحتفظ بمضمونها

حاضرا في ذاكرته الى ان يقرأ ما بعدها بعد شهر . اعتقد ايضا ان أي باحث يريد للناس ان يفهموا ما يريد ان يقول لا يقبل ان تقطع اوصال كتابه او بحثه الرصين الى شرائح شهرية . ان كنت تعتقد ان ثمة من يتابع تلك الابحاث التي تنشرونها على دفعات فانك متفائل قد يكون التفاؤل مقتلا . لماذا تقتلون الشورى؟.

... واني لحزين .

من اجل النصر :

بين القوميين والتقدميين والماركسيين معركة فكرية مستمرة . دخلتها " الشورى" منذ البداية منتصرة للفكر القومي التقدمي . لا بد، اذن ، من الانتباه إلى ما تحمله " الشورى " منسوبا الى الفكر الذي تنتصر له . الانتباه مطلوب في كل موقف تحفه مخاطر الخطأ . موقف القوميين التقدميين في المعركة الفكرية مع الماركسيين محفوف بالمخاطر . شبنا في خضم المعركة ولم نعد نملك الا خلاصة التجربة نقدمها الى الشباب القومي .

الماركسية نظرية محكمة الصياغة. يقوم بعضها على بعض كالبنيان المرصوص . في البدء فلسفة مادية. المادية تضاف الى الجدل فتصبح المادية الجدلية منهجا للماركسيين . فهم التاريخ بمنهج المادية الجدلية يؤدي الى المادية التاريخية . توقع المستقبل بمنهج المادية الجدلية يؤدي إلى الشيوعية. الاشتراكية هي المرحلة الاولى (الدنيا) من الشيوعية . هكذا تتوحد الرؤية الماركسية من بدء الوجود الى نهايته. في كل مقولة فروع من القول لا تفلت من حدود النظرية الواحدة الشاملة. من تلك المقولات الفرعية ان النظام السياسي والفكري والروحي والفني والخلقي فى كل مجتمع هو انعكاس لاسلوب انتاج الحياة المادية . يسمون الاول البناء الفوقى يسمون الثاني البناء التحتي . الاول قائم على الثاني فهو تابع له، يقوم ما قام ويتغير ما تغير وينهار ما انهار . ان سلمنا بهذا كان هذا منا تسليما بالمادية الجدلية كمنهج . ان سلمنا بالمادية الجدلية كمنهج كان هذا منا تسليما بالمادية كفلسفة. التلفيق او الانتقاء لا يجدي شيئا .

تلك هي النظرية الماركسية.

وجاء التطبيق منذ سنة ١٩١٧ والماركسيون يحاولون صياغة الحياة في مجتمعاتهم على هدى نظريتهم . لم تصدق النظرية في الممارسة . انشقوا احزابا . حزب يدين اصحاب الممارسة

ويتمسك بالنظرية. حزب يطور النظرية لتلتقى بالممارسة. حزب يلفق بين الممارسة والنظرية . حزب يسقط الفلسفة ويبقى على المنهج . حزب يسقط الفلسفة والمنهج ويبقى على المادية التاريخية. واصبحت الماركسية مدارس شتى .

الفكر القومي التقدمي بدأ بداية مختلفة . كانت الممارسة هي الاصل . جرب واخطأ وصحح اخطاءه ثم عاد فاخطأ وصحح .. من خلال الممارسة وعلى مدارها الزماني كان ينضج رويدا رويدا . تعلم من الممارسة القيمة الكبرى للانسان . منحه الاولوية فأرسى اولى دعائم نظريته . الفلسفة الانسانية. المنهج الانساني . التاريخ كان من صنع الانسان . المستقبل للانسان . من الماضي، إلى المستقبل يقود في الانسان مسيرة التطور . تحددت أغلب معالم النظرية . اصبح للفكر القومي التقدمي نظرية. ان لم تكن مصوغة في كتاب واحد فهي متناثرة في كتب ووثائق عدة . تتجه من التناثر الى التجمع . من التجزؤ الى الوحدة . من السيولة الى التبلور. من النشوء الى النضج .

نظرية تتبلور مصادر شتى .

ونظرية مبلورة تتفسخ مذاهب شتى .

نظرية تولد من رحم الممارسة.

ونظرية تموت من معاناة الممارسة .

وفي الوطن العربي تقف النظريتان وجها لوجه . وتدور بين القوميين والتقدميين والماركسيين معركة فكرية دخلتها " الشورى " منذ البداية . النصر معقود لنظريتنا . هذا لا شك فيه . يعرفه الماركسيون انفسهم . اذ من بين ما يعرفون ان المستقبل للجديد الذي يحمل في ذاته كل ايجابيات ما مضى . وينفض عنه كل ما استحق الموت . الا ان النصر ليس سهلا. فليست الماركسية نظرية هينة . هي بعد ما تزال قادرة على الدفاع . وليس الماركسيون هينين . هم اكثر من القوميين التقدميين دراية بفنون النضال الفكري . ينبغي على الشباب العربي الذي يدخل المعركة حديثا ان ينتبه.

اقول بعد ان شبت في خضم المعركة . انتبهوا الى امرين وانتم تلتحمون بالماركسيين في معركتكم الفكرية.

الامر الاول :

ان الماركسيين يتراجعون عن نظريتهم وهم يراجعونها على ضوء ما تسفر عنه الممارسة . لا تهاجموا التراجع او المراجعة. ساعدوهم . شجعوهم . ان مصلحة الفكر القومي التقدمي متحققة لو كسب من كانوا يوما ماركسيين . لن يكسبهم الا أن اكملوا مراجعة نظريتهم فأكملوا تراجعهم . ليس لنا مصلحة في ادانة اقترابهم منا . ادانة المراجعة والتراجع تحملهم على التوقف او النكوص دفاعا عن ذات المواقف التي نريد لهم ان يتراجعوا عنها . ليحتفظوا بالعناوين الماركسية كما يريدون. يكفينا مرحليا ان يتبنوا افكارنا ولو تحت عناوينهم . غدا ستسقط العناوين ايضا . نكون قد انتصرنا. يكونون هم قد اهتدوا ولا نقول انهزموا . لا نريد لهم الهزيمة بل نريد لهم ان يصبحوا قوميين تقدميين . الغاية النهائية لنضالنا الفكري - ان يلتقي الشباب العربي على نظريتنا لنكون اقدر على تحويلها الى واقع حي . ليس من غاياتنا ، الاستعلاء على الماركسيين او التشهير بهم او صدهم عنا وعن افكارنا . كلما اقروا بالخطأ نحمد الله ونطوي صفحة لنبدأ معهم صفحة جديدة . أما المعارك العنترية التي لا نريد من ورائها الا الانتصار عليهم في مظاهرة فكرية فهي معارك طفولية ترضى غرورنا ولا تتقدم بنا خطوة نحو غايتنا .

الامر الثاني :

الا نحمل عناوينهم على افكارنا. الا نصوغ افكارنا بكلماتهم . قد نعنى بها غيرما يعنونه . لكننا نخسرمعركة فكرية كلما قدمنا فكرنا القومي التقدمي الى من يقرأونه أو يستمعون اليه مغلفا بأردية ماركسية. سنأخذ على واحدة من ثلاث . اما اننا ماركسيون- كما يبدو من اسلوب التعبير . - غير واعين الماركسية- كما يبدو من المضمون ، واما اننا قوميون تقدميون - كما يبدو من المضمون- عاجزون عن التعبير- كما يبدو من اسلوب التعبير . واما اننا ملفقون وهذه هي ثالثة الاثافي . وثالثة الاثافي هي قطعه الحجر الثالثة تضاف اليها قطعتان لتوقد بينها النار وهي تحمل الوعاء. قد تحمل بدل الوعاء سفوداً . كأننا لو قدمنا فكرنا القومي التقدمي مغلفا بأردية الماركسية غير واعين او عاجزين او ملفقين شوانا القراء او سلقونا في اناء من النقد قائم على ثلاث اثفيات. وفي كل الحالات يشكون في صحة الفكر القومي التقدمي ما دام اصحابه يعبرون عنه تعبير غير الواثقين بافكارهم مضمونا وتعبيرا .

اقول قولي هذا تعليقا على فقرة جاءت في مقال محمد عبد الشفيع عن " الثورة العربية ومعطيات التخلف الاقتصادي " . المقال جيد. اكثر من جيد في الواقع برغم ما فيه من تكرار

وعودة في نهايته الى مقدمته بحجة انه يكتب الخلاصة. ينبىء محمد عبد الشفيع بان يكون واحدا من الكتاب القوميين الذين يحسنون الحديث عن قضايا امتهم . لكنه نسي انه بمقاله يدخل معركة فقال :

(.. وبعبارة اخرى ان إقامة البنيان الاقتصادي الجديد تنمية عربية متكاملة رهن باقامة علاقات اقتصادية جديدة ، علاقات انتاج وتوزيع وتبادل..

ثم اضاف :

" ان تشييد العلاقات الاقتصادية الجديدة لا بد له ان يتم من خلال بناء علوي جديد- سياسات واجراءات واشكال تنظيمية- تعكس تلك العلاقات الجديدة وتطورها في نفس الوقت : فما مضمون هذا البناء العلوي الجديد ؟

"ان هذا المضمون يتحدد في وجود هيئة أو سلطة عليا لها حق التقرير (السياسي) والتشريع (القانوني) والتوجيه المركزي (التنفيذي) للاجزاء العربية، والتي تكون بهذه ا لمقومات (وحدة سياسية واحدة) وان كانت اقامة هذه الوحدة السياسية الجديدة ليست مهمة من مهام البناء العلوي التلقائية وانما هي على العكس الشرط المسبق لصياغة مجمل البناء الموضوعي التحتي والفوقي كله... "

لنحلل ما قال لنعرف ماذا اراد ان يقول حتى نكتشف كيف ربك فكرته فارتبك هو واربكنا معه لمجرد حرصه غير المبرر على استعمال كلمات " البناء العلوي والبناء التحتي " هو يقول ان تشييد العلاقات الاقتصادية الجديدة لا بد له من ان يتم من خلال بناء علوي جديد . وان هذا البناء العلوي الجديد الذي يتم من خلاله بناء العلاقات الاقتصادية الجديدة هو " وحدة سياسية واحدة " (دولة الوحدة).. التي هي شرط مسبق لصياغة مجمل البناء الموضوعي التحتي.. كل هذا يتفق مع معطيات الفكر القومي التقدمي الذي يرى ان قيام دولة الوحدة هو المدخل الصحيح لاعادة صياغة العلاقات الاقتصادية في الوطن العربي على اساس ان دولة الوحدة هي اداة الصياغة وشرطها المسبق . لكن هذا لا يتفق مع اعتبار الدولة بناء فوقيا قائما على اساس العلاقات الاقتصادية التي تمثل- ماركسيا- البناء التحتي ، والاساسي ، والشرط المسبق لاي بناء فوقي . ان ما يريد أن يقوله وهو يستعير من الماركسيين تعبيرين شهيرين لا يتفق مع دلالة هذين التعبيرين بل هو عكس دلالتهما. ودلالتهما غير قابلة للتغير او الانتقاء لانها مستمدة من مقولة اكثر عمقاً هي ان اسلوب انتاج الحياة المادية يحدد حتما البناء السياسي والفكري .. الخ . وقد

عبر الكاتب نفسه عن التناقض بين ما يريد ان يقول وبين ما تعنيه الكلمات التي استعارها بأن ناقض فكرته ببعض صياغتها.

فالقول بأن تشييد العلاقات الاقتصادية الجديدة لا بد له ان يتم من خلال بناء علوي جديد، يعني اسبقية البناء العلوى بحيث " تعكسه " العلاقات الاقتصادية الجديدة (التحتية) اذ هو الذي حدد مسبقا مضمونها . لكنه اضاف الى ذلك البناء العلوي الجديد سياسات واجراءات واشكال تنظيمية تعكس العلاقات الاقتصادية الجديدة. وهو قول ينقض آخره واوله . ثم اراد في النهاية ان يلقي عن كاهله عبء التناقض بين المضمون والصياغة المستعارة فقال ان البناء العلوي شرط مسبق لصياغة مجمل البناء الموضوعي التحتي والفوقي كله.. هكذا الغى كل دلالة للتفرقة بين ما يسمى البناء العلوي والبناء التحتي .. اعني دلالة ماركسية بأن جمعهما معا كموضوعين لارادة فاعلة خارجهما فعاد الى منابع الفكر القومي والتقدمي الذي يعترف بقيادة الانسان . لماذا كل هذا؟.

ليست المشكلة كامنة في دلالة الالفاظ . قد تمر الالفاظ تحت نظر القارىء فلا يفطن الى ما تنقضي به المضمون . المشكلة ان محمد عبد الشفيع كما يبدو من مقاله، ليس في حاجة الى استعارة الكلمات من التراث الماركسي . الاستعارة اذن متعمدة . فيثور سؤال : هل هو ماركسي يستعير افكارا قومية، ام هو قومي يستعير افكارا ماركسية ، ام هو ناشيء يلفق بين الفكر الماركسي والفكر القومي في بناء مضطرب؟..

ان كان قوميا- كما يبدو من مضمون فكرته- فعليه ان يصوغ افكاره على الوجه الذي لا يسمح بالشك في موقفه. وان لم يجد فعليه ان ينحت من لغته العربية ما يريد من صيغ لا تختلط بالصيغ التي يستعملها الطرف الاخر في المعركة الفكرية القائمة بين القوميين التقدميين والماركسيين وهو يعني بها غير ما يعنون .

تلك خبرة رجل شاب في المعركة يقدمها الى الجيل الجديد من القوميين التقدميين عسى ان يحققوا النصر الحاسم الذي يستحقه فكرهم القومي التقدمي .

هفوة استاذ:

لكل عالم هفوة ولكل جواد كبوة . دعوة عربية الى التسامح . التسامح لا ينفي العتب . نعتب ونتسامح فنبقى على المودة . هفوة العدد الرابع من الشورى جاءت من استاذ ناضج . ما دام

ناضجا فلا مكان له على السفود . نحن اذن نعاتبه . صاحبنا الدكتور عودة بطرس عودة كتب مقالا عن "مفهوم المسئوولية القومية تجاه القضية الفلسطينية مرحليا " . مقال ناضج بقلم استاذ ناضج . مع ذلك ففي المقال هفوة . هفوة خطيرة . نأخذها منطلقا للحديث الى الجيل الجديد من الشباب العربي حديثا يتضمن على هامشه عتبا موجها الى صاحب المقال .

قال الدكتور عودة :

".. ما يستحق الوقفة والتأمل هو ان هذا التلاقي بين دولتي القمة الدولية لم يحقق حتى الان الهدف الذي تسعيان اليه رغم اختلاف دوافعهما الاستراتيجية وهو : تثبيت وجود اسرائيل لتصبح وجودا قانونيا .

" انهما تعرفان حق المعرفة انه لا يمكن بلوغ هذا الهدف الا اذا تحقق احد شرطين لا ثالث لهما :

" الشرط الاول : اما ان ينتهي الشعب العربي الفلسطيني وتستدرج الانظمة العربية الى الصلح مع اسرائيل . وقد فشلت جميح المؤامرات والمخططات التي تزعمتها الولايات المتحدة الامريكية لتحقيق ذلك بفضل صلابة ارادة الشعب العربي الفلسطيني والمسئولية القومية التي تحملتها الثورة العربية بقيادة القائد المعلم جمال عبد الناصر تجاه القضية الفلسطينية.

" الشرط الثاني : واما ان يستدرج الشعب العربي الفلسطيني بالاغراء أو بأي شكل من الاشكال للمشاركة في ما يسمى بالتسوية السلمية لازمة الشرق الاوسط . وهذا ما تحاوله الان القمة الدولية".

اذن، فان الدكتور عودة ينقل الى قراء الشورى مقولة محددة ، ان وجود اسرائيل يصبح قانونيا اذا اعترفت بها النظم العربية او اعترف بها الشعب العربي الفلسطيني .

ضد هذا القول بالذات يقف الفكر القومي التقدمي بحزم وحسم ليقول : لا . ان وجود اسرائيل لن يصبح قانونيا ولو اعترفت بها النظم العربية . لن يصبح قانونيا ولو اعترف بها الشعب العربي الفلسطيني . لن يصبح قانونيا ولو اعترفت بها النظم العربية والشعب العربي الفلسطيني معا . الفكر القومي التقدمي لا يعلق قانونية وجود اسرائيل وعدم قانونيته على مواقف ارادية سواء كانت ارادة قيادات او ارادة نظم او ارادة شعوب . لماذا؟ . الاجابة خلال البناء المتراكب للفكر القومي التقدمي الذي يساند بعضه بعضا فتكون منه وحدة نظرية غير قابلة للاخلال .

قال محمد السخاوي في مقاله الجيد المنشور في العدد الرابع ذاته تحت عنوان : " مسئوليتنا القومية والتوازن الدولي " :

" .. ان الارض العربية- المفهوم المادي للوطن العربي- هي ملكية تاريخية خاصة بالشعب العربي ومشتركة فيما بينه وبالتالي فهي ملكية تاريخية مشتركة لكل الاجيال العربية السابقة واللاحقة والحالية. فلا احد يملك الحق في التنازل عن اي جزء من الوطن العربي لانه ليس حقا خالصا له وانما هو- اي الوطن- حق تاريخي مشترك لكل العرب . كما ان الشعب العربي الآن (الذي) يتمثل في الجيل الراهن لا يملك الحق في التنازل عن اي جزء من وطنه لشعب اخر او امة اخرى لان الوطن العربي ليس ملكا خالصا للجيل العربي الراهن وانما هو ملكية تاريخية مشتركة لكل الاجيال العربية اللاحقة . كما انه لا يستطيع اي جزء من الشعب العربي - حتى ولو كان الشعب العربي في فلسطين- ان يتنازل عن فلسطين - حتى ولو جزء من فلسطين - لقوى الاستعمار والصهيونية- لان فلسطين ليست ملكا خالصا للفلسطينيين وانما هي ملك للشعب العربي ولكل الاجيال العربية.. " .

هذه خلاصة الموقف القومي الصحيح من مشكلة الاعتراف وعدم الاعتراف بالوجود الاسرائيلي . ان الفكر القومي التقدمي يرفض - على ذات الاساس العقائدي - شرعية الدول العربية ذاتها من حيث هي تجسيد سياسي للتجزئة، فهل يمكن للفكر القومي التقدمي ان يعلق شرعية ا لوجود الاسرائيلي على ارادة النظم او ارادة المنظمات ؟ لا. للاقليمية منطق اخر . كل شعب عربي يملك وطنه. الشعب الفلسطيني يملك أرض فلسطين. فكما يستطيع نظام عربي ان يعترف باسرائيل . قد " يستدرج " الشعب الفلسطيني فيعترف بها ... فيكون وجود اسرائيل قد اصبح قانونيا . اذا سلمنا بهذا المنطق فقد فتحنا لاعداء امتنا الطريق الذي يقطع المسيرة القومية . الحصول على الاعتراف بالوجود الاسرائيلي دفعة واحدة أو على دفعات، صراحة او ضمنا، من نظام عربي اثر نظام ، قهرا أو تآمرا أو استدراجا الى ان تضيق الارض بالشعب العربي في فلسطين فيعترف هو الاخر ... وتنتهي المشكلة فيما يظنون .

هذا ما يحاولونه.

هذا ما يفزع الدكتور عودة فيصرخ في مقاله محذرا النظم والمنظمات . من حقه ان يفزع . من حقه ان يصرخ محذرا لكن ليس من منطلق " المسئولية القومية " التي اختارها عنوانا لمقاله . من منطلق المسئولية القومية نكمل ما قاله محمد السخاوي فنقول :

أيها السادة اصحاب النظم والمنظمات .

ان اعتراف العالم كله باسرائيل لم يضف على وجودها اية شرعية. والا لما قاتلت اولا لترغمكم على الاعتراف بها . والا لما قبلت مفاوضتكم اخيرا لتستدرجكم الى الاعتراف بها . الاعتراف ايها السادة لا يلزم الا من صدر منه . راجعوا قواعد القانون الدولي . عندما تعترفون بإسرائيل لا تمنحونها شرعية الوجود فهذا لا تملكونه. انتم تلزمون نظمكم ومنظماتكم التصالح والتعامل مع اسرائيل، لا اكثر من هذا . فلا تفعلون الا الخروج على الثورة العربية والوقوف مع اعداء امتكم. تعزلون انفسكم . تلوثون تاريخكم . ثم يبقى الوجود الاسرائيلي غير مشروع تعصف به الثورة العربية عاجلا او آجلا لا تلزمها حجة مما فعلتم . وعندما تتحرر فلسطين وتزول دولة اسرائيل يزول معها كل اعتراف سابق ، سواء كان صادرا منكم او كان صادرا من دول اخرى . انكم اذن تدفعون ثمنا فادحا في مقابل بضاعه فاسدة .. وان كان القوميون يحذرونكم الان فليس مرجع هذا الى اعترافهم بنفاذ ارادتكم في الاعتراف باسرائيل بل ليجنبوكم هاوية تاريخية اولا، ثم ليوفروا على الثورة العربية بعض الجهود التي تحملونها اياه باعترافكم . اذ، لا يخفى عليكم- رجاء- انه عندما تقتحم الثورة العربيه ساحة المعركة ممثلة للشعب العربي كله ستعصف بالمعترفين و المعترف بهم جميعا.. وفاء منها " بالمسؤولية القومية " .

ويا اخ عودة . ان ما يفزعك الان وتحذر منه الثورة " الفلسطينية " ليس الا المحصلة النهائية لاقليمية الثورة ذاتها او قبولها الاقليمية . منذ ان قيل ان مسئولية تحرير فلسطين تقع على عاتق شعب فلسطين ومنذ ان قبلت الثورة ، تلك المسئولية الاقليمية عزلوها او عزلت نفسها عن نطاق "المسئولية القومية " وقبلت ان تكون منظمة فلسطينية حتى تصلح لتكون نظاما فلسطينيا. فلا تداوي الثورة بما كان داءها . ان الثورة تحتاج الى ثورة لتصحح هويتها فحرض المؤمنين على القتال .

انذار :

الى الاخ صاحب الصور المطبوعة على غلاف الشورى ، يا اخانا. ارجو الا تظن انك حر في ان تضع على غلاف الشورى ما تشاء من خطوط والوان . ان كنت حرا في أن تخطط وتلون ما تشاء فالقراء احرار في ان يحفظوا ابصارهم بعيدا عما يخدش الحس بالجمال . ما الذي تريده منا ؟.. الا نشتري الشورى؟ ... ام ننزع غلافها حتى لا نضطر الى النظر الى ما ترسم . لا تحتج بحرية الخلق الفني وذاتية الفنان الخلاق . اننا نعرف من كل هذا ما يكفي لنقول لك ان الفن- قبل

كل شيء- خلق جمالي . وان له مقاييس موضوعية لا تهدر باسم الذاتية لانها ذات القواعد العلمية للتعبير عن الذات. وانما لنراك فيما ترسم " متساهلا " كانك تظن انك حر في ان تضع على غلاف الشورى ما تشاء من خطوط والوان . فأما ان تجد فتجتهد فتجيد واما ان نقترح على مجلة الشورى ان تغير جلدها ...

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

القا هرة ٢٧ تموز (يوليو) ١٩٧٤

٤

التعب الموهوم

جاءني العدد الخامس من " الشورى " في اليوم العاشر من اب (اغسطس) . في آب احاول- كما يفعل كثير من الناس- ان ارتاح . شهر آب هو شهر الراحة . منذ ان عرفنا ان للراحة شهرا- او شهرين حسب المقدرة المالية- ونحن نهيء انفسنا للراحة في آب . كنت اشعر شعورا حادا بالحاجة الى الراحة. ثم جاءت " الشورى " . نقد "الشورى " غير مريح . هل اعتذر؟ نقرأ اولا في الشورى ثم نعتذر . قرأت قراءة التعب (بفتح التاء وكسر العين). التعب (بفتح التاء والعين) يشتت الانتباه ويضعف المقدرة على التركيز. عندما نتعب نطلب الراحة. هكذا يقولون . هو قول غير صحيح .

السؤال هو: هل نطلب الراحة لاننا تعبنا او نطلب راحة حتى لا نتعب؟

نطلب راحة حتى لا نتعب؟

ما نسمية التعب هو احساس ينبه الى ان الجسم على وشك الانهاك . نطلب الراحة حتى لا نصل الى حد الانهاك . الانهاك هو التعب الموضوعي . عجز الجسم بيولوجيا عن الاستمرار في الجهد . نبذل جهدا. نحرق خلايا لنمد الجسم بالطاقة اللازمة للفعل . نعوض الخلايا اولا بأول . نفرز حامض اللبنيك . يضعف رويدا رويدا معدل التعويض . نقترب من حد الانهاك . يصدر العضو المجهد رسالل كهربية الى المخ منبها الى انه على وشك التوقف عجزا . تصل الرسائل الى الفحص الجبهي (جهاز الفعل الارادي) . يصدر امرا بالكف عن العمل حتى لا نتعب . حتى لا نصل

الى حد الانهاك والعجز . الى هنا يكون التعب حقا ويكون طلب الراحة صدقا . في الحق لا يجدي التحايل. لا بد من الراحة .

النفس الانسانية اكثر تعقيدا من هذا بكثير.

هناك تعب موهوم . نشعر بالتعب لاننا- على وجه- نريد ان نتعب . وليس لاننا قد بذلنا جهدا متعبا. لم يكن هذا معروفا. عرف بعد ان اخترع الايطالي موسو جهازا لقياس التعب . اسم الجهاز " ارجوجراف ". تبين من التجريب المعملي للتعب وقياسه ان الظواهر البيولوجية التي تولد الاحساس بالتعب يمكن توليدها هي باصطناع الأحساس بالتعب . عندما تقتنع بأننا على وشك الانهاك ، نحس بالتعب ويبدأ الجسم في تعويض جهد لم يبذل اصلا . يأتي الاقتناع بتقدير الجهد المطلوب فيكيف الجسم ذاته على بذل طاقة مقدرة سلفا لعمل معين . اذا انتهت الطاقة المقدرة ولم يتم انجاز العمل يحس الانسان بهبوط حاد في المقدرة على الإستمرار. يحس بالتعب . بيولوجيا يكون قادرا على الاستمرار . نفسيا يكون قد اوشك على الانهاك . هذا تعب موهوم . نعرفه عندما نتعرض لمنبه جديد فنكتشف اننا ما زلنا قادرين على العمل .

منذ بدء العام نعد انفسنا للراحة في آب . قبل ان نبدأ العمل نجهز المكان والمقر للراحة. طوال العام ونحن نترقب آب لنرتاح ترقبا مقطوع الصلة بما نبذل من جهد. طوال العام ونحن نحشد طاقاتنا حشدا مقدرا بنهاية تموز (يوليو) . عندما يوشك تموز ان ينتهي نكون في حاجة الى الراحة . لا لاننا قد بذلنا جهدا يوشك ان ينهكنا ، ولكن لأن آب قد اوشك ان يبدأ. وآب شهر الراحة.

في مثل هذه الحالة جاءني العدد الخامس من " الشورى "، فقرأته قراءة التعب اقرأه ثم اعتذر. اكتشفت انه تعب موهوم . تعب آب . ما ان قرأته حتى عاد شتات الانتباه الى وحدته . تبينت انني لم اكن ابداً في حاجة الى الراحة. الواقع انني لم ابذل طوال العام جهدا يستحق أن اعوضه. بلغت مقدرتي على بذل الجهد حداً يسر لي ان اعود الى قراءة كتاب " الاقليمية الجديدة " الذي عرضته الشورى في عددها الخامس . كنت قد قرأته حين صدر اول مرة . قرأت العرض فأدركت ان الذي عرضه يحتاج الى الراحة . ظلم الكتاب ومؤلفه وظلم قراء " الشورى " عندما اخل اخلالا شديدا بمضمون واحد من الكتب الجيدة لواحد من المجتهدين في الفكر القومي التقدمي . الى هذا الحد اعادت الي " الشورى " انتباهي المشتت ومقدرتي الضائعة على التركيز.

كتاب مظلوم :

الاخ عبد الله محمد الريماوي واحد من كبار الذين ثابروا على الاجتهاد في الفكر القومي التقدمي. منذ عام ١٩٥٩ لم يكف عن الكتابة . اول ما كتب لم ينشر . كان عن ازمة حزب البعث الذي كان الريماوي واحداً من قادته. كتب بعد هذا كتبا عدة حاول فيها ارساء قاعدة نظرية للثورة العربية. آخرها كان " البيان القومي الثوري " (من جزئين)، كان ذلك قبل هزيمة ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧. يسميها الريماوي بنكسة الاندحار. اثرت النكسة تأثيرا قويا في عبد الله محمد الريماوي على المستويين النفسي والفكري ، كان شأنه في هذا شأن كثير من القوميين المخلصين لتجربة الثورة قبل ١٩٦٧. رد الريماوي على " نكسة الاندحار " بكتابه " الاقليمية الجديدة ". يستحق هذا الكتاب ان يقرأ لثلاثة اسباب " من اجلها نحرض الشباب القومي على قراءته.

السبب الاول : انه حلقة من سلسلة من الكتب التي كتبها عبد الله محمد الريماوي . وعبد الله محمد الريماوي يحاول في كتبه ان يقدم جوابا على السؤال الذي ما يزال يشغل الشباب القومي : ما هي نظرة الثورة العربية . من هنا كان واجبا على كل شاب قومي يبحث جادا عن الجواب ان يقرأ كل ما كتب عبد الله محمد الريماوي بما فيها كتاب " الاقليمية الجديدة " .

السبب الثاني : ان كتاب " الاقليمية الجديدة؟ يتضمن تطورا او تطويرا لفكر الريماوي على ضوء هزيمة ١٩٦٧ . من هنا يعتبر نموذجا صالحا لمعرفة اثر تلك الهزيمة على تطور او تطوير الفكر القومي التقدمي عامة او في واحد من اتجاهاته على الاقل .

السبب الثالث: ان كتاب " الاقليمية الجديدة " . وثيقة اتهام ضد المسئولين عن " نكسة الاندحار". نقصد وثيقة فكرية ونضالية معا. عبد الله محمد الريماوي ليس مفكراً مجتهداً فقط بل هو أيضاً مناضل ساهم ايجابيا فى المعارك القومية وانحاز الى قيادة عبد الناصر سنة ١٩٥٦ فأدان حزب البعث العربي الاشتراكي واسس " حزب البعث العربي الاشتراكي الثوري " الذي لم تطل حياته حتى يختبر نضاليا . من هنا فان الكتاب اتهام من داخل القوى القومية التقدمية او " نقد ذاتي " وليس اتهاما من خارجها. ويهم الشباب القومي ان يقرأوا نقدا ذاتيا لا شبهة في اخلاصه لغاياتهم الاستراتيجية.

وبعد،

فالكتاب من ٢١٣ صفحة . منها ١٣٨ صفحة مخصصة لدراسة " الاقليمية " قبل الدخول في موضوع الكتاب " الاقليمية الجديدة " . يقول الريماوي في صفحة ١٤٠ " ان الأبواب السابقة من هذا الكتاب كانت مقدمة ضرورية حددنا فيها ظاهرة الاقليمية العامة تحديدا واقعيا وتاريخيا واضحا، فحددنا مصالحها وقواها وتابعنا تاريخ نشوئها ونموها تمهيدا لبيان نشوء الاقليمية وتطورها وملامحها ومن ثم لتقييمها " .

فماذا فعلت " الشورى " فيما عرضت؟

لخصت هذا الجزء العام الذي لا يعدو ان يكون مقدمة لموضوع الكتاب . لم تعرض " الشورى " اذن على قرائها شيئا عن الاقليمية الجديدة ، كما طرحها المؤلف في كتابه ، هذا ظلم بين للكتاب والمؤلف والقراء . اقتصر العرض على مقدمته. حرم المؤلف من حق طرح افكاره كاملة . حرم القراء من معرفة ما هي الاقليمية الجديدة كيف نشأت وكيف تطورت وموقفها من قوى الثورة العربية، ومسئوليتها عن " نكسة الاندحار " وما تحمله من مخاطر على مستقبل النضال القومي. يكفي ان نشير الى ان عبد الله محمد الريماوي بعد ان حدد الاقليمية القديمة (المرتبطة بالاستعمار) والاقليمية الشيوعية، والاقليمية البترولية، كقوى اقليمية تقليدية قال ان " الاقليمية الجديدة ، اشد خطرا على مستقبل الأمة العربية من الاقليمية القديمة والاقليمية الشيوعية والاقليمية البترولية .

قال في صفحة ١٤٦:

" ولقد ترتب على ما تقدم ان اصبحت قوى الاقليمية التقليدية على مختلف صورها وشعاراتها قوى عارية" مفضوحة امام الجماهير العربية ، غير قادرة على تضليلها او ارباكها حتى لو كانت قادرة- مؤقتا- على قهرها. واصبحت العلاقة بين القضية العربية وقواها الثورية من جهة وبين الاقليمية التقليدية وقواها الرجعية من جهة اخرى علاقة العداء الصريح والصراع السافر.

" وهكذا فقد اصبح خطر الاقليمية التقليدية وقواها المذكورة على القضية العربية هو خطر الاعداء الواضحين الخارجين عن صفوف قوى هذه القضية المعزولين عنها كذلك.

" ولكن الامر يختلف- اختلافا كبيرا- بصدد الاقليمية الجديدة وقواها . وذلك لانها تدعي العمل للقضية العربية وتدعي تجسيم الثورة والثورة العربية كمنهاج لهذا العمل ،

بينما هي في الواقع ليست كذلك . ولانها تحاول ان تقف أمام الجماهير العربية في موقع الثورة العربية بينما هي في موقع ادعيائها حيث تتمتع بقدرة على تضليل هذه الجماهير وارباكها وتمزيقها.

لست اريد ان اقول من هم الذين كان يعنيهم عبد الله محمد الريماوي عندما كتب ما كتب في شباط (فبراير) ١٩٧٠، لان غاية عرض اي كتاب- يا ايتها الشورى - تحريض القارىء على قراءته باثارة اعجابه او فضوله، وليس- كما فعلت الشورى- احباط رغبته في ان يقرأ. لمجرد اثارة الفضول، تحريضا على قراءة كتاب " الاقليمية الجديدة " اقول ان الذين يعنيهم عبد الله محمد الريماوي بالاقليمية الجديدة هم اولئك الذين كانوا سنة ١٩٦٧ في مراكز القيادة من القوى التي نسميها " القوى العربية التقدمية " .. لقد حاول ان يثبت انهم قد تحولوا الى صفوف الثورة المضادة بصرف النظر عن نواياهم .

ايها الشباب القومي،

لا تتكلوا على ما عرضت " الشورى " في عددها الخامس واقرأوا كتاب " الاقليمية الجديدة " لتغنوا معرفتكم باثر هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ في الفكر القومي . ويا ايتها " الشورى " حرضي الناس على قراءة الكتب ولا تصديها عن المعرفة بالعرض المخل .

عقدة المشكلة:

كان ادراك الظلم الذي وقع على واحد من المفكرين القوميين واحداً من أسباب التحرر من وهم التعب واكتشاف المقدرة على النشاط . السبب الثاني كان موضوعا لو تحاور فيه اثنان فوق قبري لشاركت عظامي في الحوار. انه موضوع التنظيم القومي . اقترح على " الشورى " ان تخصص قسما ثابتا من كل عدد لنشر الدراسات والاراء وادارة الحوار حول موضوع التنظيم القومي .

" التنظيم والنظرية والنضال الثوري " كان عنوان مقال الاخ اياد سعيد ثابت. هل يعرف كل القراء الاخ اياد سعيد ثابت؟

اقترح على " الشورى " ان تتولى تعريف القراء بالمناضلين القوميين . معرفة الناس لبعضهم بعضا أول شرط التقائهم . التقاؤهم اول شروط التحامهم . عندما يلتحمون يولد التنظيم . عقدة مشكلة التنظيم القومي ان المناضلين غير قادرين على الالتحام . الاخ اياد يعرف ان هذى هي العقدة. مقاله جيد ورصين . قرأته مرتين . المرة الاولى لاحيط بفكرته . المرة الثانية لافتش فيه عن حل عقدة المشكلة.

قال الاخ اياد محللا للعقدة :

" ان ليبيا مدعوة اليوم كي تمارس مسؤولياتهما في :

١- العمل على توحيد التيار الناصري .

٣- التحام الثوار في ليبيا مع الثوار العرب لخلق اداة الثورة العربية الاشتراكية. ولكن يا اخ اياد من هم الثوار العرب؟

اجاب مقدما : " ان هذه الساحة قد قدمت لنا الجزء الاكبر من الجواب على السؤال الحيوي المطروح من هو الانسان الثوري؟... فقد استطاعت هذه الساحة ان تحقق فرزا نوعيا لا يستهان به. انها قدمت الينا حصيلة لا بأس بها من الثوار العرب ممن توفرت فيهم - على الاقل- الحدود الدنيا لشروط الثورة. ان التحام هؤلاء الثوار سيحقق النواة المطلوبة ".

لا شك في هذا يا اخ اياد. لا شك ان الانسان الثوري ليس قليلاً في الارض العربية . لكن من الذي يفرزه؟ يعينه؟ يختاره ؟ يحكم بأنه هو الانسان الثوري وليس الآخر ؟ هذه هي العقدة في المشكلة . هذه هي الثغرة في مقالك القيم . ننتظر منك جوابا على هذا السؤال . ارجو الا يكون الجواب دعوة ليبيا الدولة او الثورة الى الانتقاء والاختيار. لقد انتقلت واختارت من قبل وكان مؤتمر القوى الوحدوية الناصرية الذي لم تبق منه الا ذكريات الفشل . لا تحمل ليبيا الثورة فوق طاقتها . رجاء.

حديث الجبهة :

عبد الناصر يقود الجماهير العربية على امتداد الوطن العربي في معارك التحرر القومي . التنظيم القومي غائب. عبد الناصر يدعو الى الحركة العربية الواحدة . هذا من ناحية. من ناحية اخرى معارك التحرر تقتضي ان توحد القوى المختلفة اصلا قواها ضد العدو المشترك . تلك هي الجبهة. التقاء مرحلي مؤقت لتحقيق غاية مشتركة ثم تنفض الجبهة وتعود القوى المختلفة اصلا الى الصراع حول القضايا المؤجلة. لو كانت الحركة العربية الواحدة قائمة تحت قيادة عبد الناصر لدخل عبد الناصر بها في جبهة مع كل القوى ذات المصلحة في التحرر . لكنها غائبة . معارك التحرر لا تنتظر. لا بد من الجبهة بين القوى المتاحة . القوى المتاحة قوى اقليمية . فلتلتق في جبهة من اجل التحرر. الى ان تقوم الحركة العربية الواحدة .

في اطار هذا الواقع دعا جمال عبد الناصر الى ان توحد القوى التقدمية في كل دولة عربية جهودها في جبهة وطنية. كانت تلك دعوة صحيحة واقعيا وعلميا في إطار ظروفها الموضوعة .

لماذا ؟

قال الاخ صفوان قدسي في مقالة : " عبد الناصر والحركة العربية الواحدة " : " ان الجبهة الوطنية التقدمية في ظروف معينة هي الصيغة العملية لتحقيق الوحدة الوطنية. والوحدة الوطنية المطلوبة ليست سوى التجسيد العملي للفكرة القائلة انه في مراحل معينة من التطور التاريخي لا تستطيع فئة بعينها ان تنفرد بقيادة العمل السياسي والوطني ، وانه يتوجب على كل القوى الوطنية التقدمية ان تشارك في قيادة العمل السياسي والوطني ، وأن يكون لها دورها الفعال والمؤثر فى صنع القرارات التي يترتب عليها مستقبل الوطن ومصيره " .

لماذا ؟

قال فى موضوع آخر وتأكيدا لفكرته : " .. انه في مواجهة عدو يحاول بالقوة المسلحة ان يضع يده على اجزاء عزيزة وغالية من ترابنا الوطني يلزم الا يكون هناك أي تفريط بأية طاقة متاحة دون الاستفادة منها في تعزيز قدرات الوطن ويلزم في الوقت نفسه حشد كل الطاقات وصبها في قناة العمل الوطني..

كل هذا صحيح .

ثم بنى على هذا الاساس الصحيح بناء غيرمستقر .

بدأ فقال قولا عاما : " ان الجبهة الوطنية التقدمية ليست صيغة نهائية، وانما هي مرحلة على طريق التنظيم السياسي الواحد. والجبهة الوطنية التقدمية تحمل مخاطر الانفجار والتمزق ما لم يرافقها جهد صبور للارتقاء بهذه الجبهة الى مستوى الوحدة التنظيمية والفكرية التي يقوم عليها التنظيم السياسي الواحد " .

ثم خصص فقال " وعندما اعلن في شهر اذار عام ١٩٧٢ ميثاق الجبهة الوطنية التقدمية في القطر السوري العربي ، كان واضحا ان هذا الميثاق يشتمل على كل ما من شأنه ان ينتقل بالعمل السياسي والوطني الى مرحلة جديدة وكان واضحا ان هذا الميثاق يقدم صورة تفصيلية لطبيعة المهمة الموكولة الى الجبهة امر تحقيقها وانجازها. وكان واضحا ان هذا الميثاق يكرس الحقيقة القائلة ان الجبهة ليست صيغة نهائية للعمل السياسي، وانما هي تمثل مرحلة على طريق التنظيم السياسي الواحد الذي يشكل هو بدوره مرحلة اخرى على طريق الحركة العربية الواحدة التي تعتبر بحق الصيغة المثلى للعمل العربي القومي الموحد.. " .

هكذا اراد الاخ صفوان قدسي ان يتحدث الى القراء تحت عنوان " عبد الناصر والحركة العربية الواحدة "، حديثا استنفد نصفه في كسب تعاطف القراء عن طريق الاشادة بالقائد الخالد ليصل في النهاية الى ما كان يريده من البداية. كان يريد اقناع القراء بطريق خاص لبناء التنظيم القومي يتم على مراحل :

المرحلة الاولى : جبهة وطنية تقدمية في كل اقليم .

المرحلة الثانية: تتحول الجبهة الى تنظيم واحد في كل اقليم .

المرحلة الثالثة: تتحول التنظيمات الاقليمية الى تنظيم قومي واحد.

الاخ صفوان يعيد هنا ما بدأت به الاحزاب الماركسية منذ ١٩٦٣ ونقلته عنها بعض الاحزاب ذات الاتجاهات القومية . وقد كانت تلك دعوة مضادة- منذ بدايتها- لدعوة الحركة العربية الواحدة التي اعلنها جمال عبد الناصر سنة ١٩٦٣ ايضا . اعتقد ايضا انها ما تزال حتى الان أشد الدعوات تعويقا لبناء التنظيم القومي رغم ما قد يكون وراءها من نوايا حسنة.

لماذا؟

لان توالى المراحل التي يراهن عليها الاخ صفوان مستحيل .

١- المرحلة الاولى أي قيام جبهة وطنية تقدمية في كل اقليم قابل للتحقق في ظروفه التي ابانها باكبر قدر من الوضوح الاخ صفوان .

٢- المرحلة الثانية أي تحول الجبهة الوطنية التقدمية في كل اقليم الى تنظيم واحد مستحيل الا في حالتين . وجه الاستحالة ان الجبهة تفترض الوجود السابق لقوى منظمة مختلفة في المنطلقات او الغايات تلتقي مرحليا في مواجهة خطر مشترك لتحقيق غاية معينة. اما ان تنهزم الجبهة واما أن تنتصر . ان انهزمت فقد انتهت . ان انتصرت اصبحت كل قوة منظمة ملزمة مبدئيا وحركيا بأن تعود الى الممارسة طبقاً لمنطلقاتها الخاصة الى غاياتها المتميزة . أي تعود قوى الجبهة جميعا الى المواقع الفكرية والحركية المختلفة التي بررت نشأتها المتعددة منذ البداية . ثم يبدأ الصراع الذي تأجل الى ان يتم النصر في النضال المشترك . يستحيل اذن إن تنتهي الجبهة الى الوحدة . قلنا الا في حالتين :

الحالة الاولى : ان يستغل الطرف الاقوى في الجبهة فترة التحالف الجبهوي لتصفية الوجود التنظيمي المستقل للاطراف الاخرى بسلبها كوادرها وقواعدها اما اقناعا او بوسائل اخرى . حينئذ تسفر الجبهة عن بقاء تنظيم واحد وتصفية الاخرين . لا يقال هنا ان الجبهة هي الطريق الى الوحدة، ولكن يمكن ان يقال ان الجبهة ستار للتصفية لينفرد الاقوى بالوجود فيكون حزبا واحدا.

الحالة الثانية: ان تكون الجبهة بين حزب منظم وبين " شلل " ملتفة حول قيادات فردية لا تملك عناصر التنظيم الجماهيري . حينئذ تكون الجبهة دعوة ذكية لامتصاص تلك الشلل او من يصلح من افرادها وهضمه في جسم الحزب القائد.

ونترك للاخ صفوان ان يكتشف على ضوء هذا نوع الجبهة الوطنية التقدمية التي اعلن قيامها في القطر السوري في اذار ١٩٧٢ ومصيرها . انه ادرى منا بالواقع . نحن لا ندري الا ان حزب البعث في سورية قد شكل جبهة مع قوى ذات اسماء طبقا لميثاق اعلن ولكنه مند ذلك التاريخ لم يعترف بشرعية تلك القوى ولم يسمح لاي منها بأن يكون لها منبر صحفي ثم زاد فاشترط لقبولها في الجبهة الا تمارس اي نشاط في قطاعات شعبية محددة . فقبلت. فان اسفرت الجبهة الوطنية التقدمية في سورية عن تنظيم واحد فانه- يقينا- سيكون هو ذاته حزب البعث بمنطلقاته وغاياته واساليبه.

٣- المرحلة الثالثة أي تحول الاحزاب او التنظيمات الاقليمية (اعني اقليمية التشكيل) الى تنظيم قومي واحد وهم مستحيل . ذلك لان تلك المنظمات الاقليمية التي قبلت اولا ان تجسد التجزئة في ذاتها لا تستطيع ان تتجاوز ذاتها. ومن حيث انها قبلت ان تكون اقليمية (اعني اقليمية التشكيل حتى لا اثير نقاشا حول الشعارات التي يمكن لاي واحد ان يرفعها) فانها قد قبلت التجزئة. فان كانت اضعف من ان تتولى السلطة في اقطارها فانها لن تستطيع حتى الحوار بعضها مع بعض عبر حواجز التجزئة. فان استطاعت ان تتحاور وتلتقي وتتعاون فانها لن تصل الا الى ان تكون جبهة من منظمات اقليمية . عندئذ يحتمي كل تنظيم باقليميته خوفا من مخاطر التصفية التي تكمن في صيغة الجبهة فتتكرس اقليميتها اكثر فأكثر . اما اذا كانت من القوة بحيث استولت على السلطة فستتحول الى دولة اقليمية " عندئذ تكون قيادتها ملتزمة بدستور دولتها . اول التزام في اي دستور هو الحفاظ على كيان الدولة... " الخ .

الجبهة أذن يا اخ صفوان صيغة مطلوبة في ظروفها التي ابنتها في مقالك باكبر قدر من الوضوح. لكنها ليست طريقا الى وحدة التنظيم في اي اقليم . لا وليست طريقا الى الحركة العربية الواحدة. وعندما تطرح كطريق الى الحركة العربية الواحدة تسد الطريق على الجهود التي تبذل من اجل قيام الحركة العربية الواحدة تنظيما قوميا يرفض منذ البداية ان يجسد التجزئة في ذاته. وعندما يقوم التنظيم القومي ممثلا لجماهير الامة العربية بصرف النظر عن انتمائها الاقليمي سيدخل في جبهة مع كل القوى التى تشاركه اهدافه المرحلية. فرجاء بارك ما شئت الجبهة الوطنية التقدمية في سوريا او في اي قطر عربي يعجبك ولكن بعيدا عن " عبد الناصر والحركة العربية الواحدة " اذ لا يخفى عليك ان عبد الناصر قد اعلن ان الحركة العربية الواحدة ضرورة تاريخية وحمل الشباب العربي مسئولية وجودها بعد فشل مشروع الوحدة الثلاثية سنة ١٩٦٣ بين مصر وسوريا والعراق . ولا يخفى عليك ان حوارا مضنيا قد دار في القاهرة بين عبد الناصر وممثلي حزب البعث في العراق وسورية واخرين انتهى الى اعلان الوحدة الفكرية بينهم في ميثاق فكري وقعوه جميعا ، والتزامهم بتحقيق الوحدة الثلاثية طبقا لدستور وضعوه ووقعوه جميعا ومع ذلك لم تتم الوحدة..

انني احاول ان اكون هادئا فيما مسست به موضوعا لو تحاور فيه اثنان على قبري لهبت عظامي تشترك في الحوار . فاغفر لي ان كان قلمي قد افلت من محاولتي في أي موضع . وستغفر- قطعا- لو عرفت ما يمكن ان يرد به غيري على مثل ما قلت .

ان اردت ان تعرف فاقرأ كتاب " الاقليمية الجديدة " .

التعب الحق :

قلنا من قبل ان الفص الجبهي من المخ هو اداة الفعل الارادي " نقول الان انه يوجه الانفعالات ايضا عن طريق تحكمه في موضع آخر من المخ يسمى القشرة الثلموسية ، عندما يكون الفص الجبهي ذاته على وشك الانهاك لفرط ما بذل من جهد في الانتباه تفلت القشرة الثلموسية من حكمه جزئيا او كليا . هنا لا يشعر الانسان بتعب بل يشعر بانفعالات متضاربة. سأم . انقباض . قرف. او شيء من هذا القبيل . عندئذ يكون في حاجة حقيقية الى الراحة . أشعر الان بشيء كمرارة اليأس من الحديث- بعد كل تجاربنا- عن الجبهة وعلاقتها بالتنظيم القومي . لا من أثر ما نشر في الشورى فالواقع انني وجدت الحوار مع كتابها ممتعا . ولكن لاني تعب . قرأت الشورى اكثر من مرة ثم قرأت " الاقليمية الجديدة " وكتبت ما كتبت في وقت متصل .

الى اللقاء اذن بعد آب .

ولعل الاعداد التالية ان تكون في مستوى العدد الخامس .

حاشية :

يا اخ جمعة، اين باب الوثائق؟ هل انتهت وثائق الثورة العربية؟.. سيظهر هذا التعليق على العدد الخامس في العدد السابع الذي يصدر في السابع من تشرين (اكتوبر) فلتنشر الشورى في ذلك العدد جانبا مما سجلته وثائق العدو وحلفائه عن بطولات الجندي العربي في معركة العاشر من رمضان. ولنصل جميعا، يومئذ، صلاة الغائب على ارواح شهدائنا الابرار.

القاهرة في ١٣ اغسطس ١٩٧٤

٥

الحق المر:

سأل ابو ذر الغفاري رضي الله عنه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يوصيه. اوصاه وصايا عديدة. منها واحدة تقول : " قل الحق وان كان مرا " . حفظ ابو ذر الغفاري ما اوصى به فعاش وحيدا ومات وحيدا ولسوف يبعث وحيدا . قبل ان يموت وحيدا قال فيه علي بن ابي طالب كرم الله وجهه: " لم يبق الان احد لا يبالي في الله لوم لائم غير ابو ذر ". قال ابو ذر الغفاري مفسرا وحدته : " ما زال بي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لم يبق لي قول الحق صديقا ".

لا عليك ابا ذر. كنت بغير صديق . الان انت قدوة . السنا نعود اليك بعد مئين من السنين نستمد شجاعة قول الحق المر من الانتساب الى اسمك؟ ولسنا نبالي في الحق ان نفقد الاصدقاء الذين كتبوا العدد السادس من "الشورى" او غيرهم .

نقول :

صدر العدد السادس من " الشورى " في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٤. هو اول عدد من " الشورى " يصدر في ايلول (سبتمبر) . للامة العربية ذكريات مرتبطة بشهر ايلول (سبتمبر) . نذكر منها انفصال الاقليم الشمالى (سورية) من الجمهورية العربية المتحدة . نذكر منها ما جنت ايدي حسين بن طلال على الثوار في الاردن . نذكر منها استشهاد الزعيم القائد الخالد جمال عبد الناصر . نذكر منها ثورة الفاتح من سبتمبر في ليبيا.. نذكر كل هذا وغيره فنشفق على مجلة " الشورى " مجلة الفكر القومي التقدمي . ان ايلول اختبار جدي لمجلة قومية تصدر في دولة. ما الذي ستقوله "الشورى" في ايلول (سبتمبر) وزحمة الذكريات فيه. هل تتذكر مع ثورة الفاتح من سبتمبر جريمة الانفصال ومذبحة المقاومة واستشهاد الزعيم القائد فتكون قد اطلت من نافذة شهر ايلول على الوطن العربي كله ام تحصر نفسها فتقصر رؤيتها على موقعها من الارض العربية فلا تذكر من ذكريات ايلول الا ثورة الفاتح من سبتمبر كأنها مجلة " الفكر الليبي ".

لم تنجح الشورى في الاختبار.

ليس في العدد السادس من " الشورى " كلمة واحدة عن جريمة الانفصال .

ليس في العدد السادس من " الشورى " كلمة واحدة عن مذبحة المقاومة.

ليس في العدد السادس من " الشورى " كلمة واحدة عن استشهاد الزعيم القائد.

كل العدد السادس (اغلبه)- عن ليبيا وعن ثورة الفاتح من سبتمبر. كأن ليس في الوطن العربي الا ليبيا. وكأن لم يقع في ايلول (سبتمبر) حدث يستحق اهتمام القوميين التقدميين ، عرضا ودراسة وحوارا، الا ثورة الفاتح من سبتمبر.

نقول الحق، والحق مر، ان العدد السادس من " الشورى " قد غلبت عليه الرؤية الاقليمية. الأنه تحدث كثيرا عن ثورة الفاتح من سبتمبر ؟.. لا. ثورة الفاتح من سبتمبر تستحق الاشادة بمنجزاتها في عيدها الخامس . الأنه لم يتحدث الا عن ثورة الفاتح من سبتمبر ؟.. نعم . ان ايلول (سبتمبر) هو شهر الاحزان القومية . شهر التجارب القومية المرة . شهر الدروس والعبر لمن يريد ان يجنب امته مثل ما أصابها من انفصال سورية، وذبح المقاومة، وغياب الزعيم القائد. لست اتصور قوميا يحمل هموم امته يمر به ايلول (سبتمبر) فلا يذكر احزانها فيرثي وحدتها المؤودة وثوارها المغدورين، وقائدها الشهيد، ثم يكفكف بعبرة الدروس الماضية عبرات الجماهير العربية المسحوقة ويكشف لها طريقها الى مستقبل بدون احزان .

مع ذلك فليس هذا هو كل شيء . ليس الاقتصار على الحديث عن ثورة الفاتح من سبتمبر هو الدليل الوحيد على الرؤية الاقليمية التي طبعت العدد السادس من " الشورى ". الاكثر دلالة هو ان الحديث عن ثورة الفاتح من سبتمبر كان ترجمة لرؤية اقليمية للثورة ذاتها .

مثال رقم ١:

خالد ابراهيم . حكم بأن التنظيمات السياسية على اختلاف صيغها واهدافها وعلى امتداد الساحة العربية فشلت في تحقيق الحد الادنى من مسئولياتها الوطنية منها او القومية . ثم حكم بأن الشارع العربي الآن يعاني وكما لم يعان من قبل حالة من الذهول . لا تفصله عن حالة اللامبالاة سوى مسافة قصيرة . ثم حكم بفقدان الاجابة على السؤال المطروح : كيف يمكن الوصول الى الاهداف القومية المنشودة؟

تلك الاحكام كانت مقدمة لحديثه عن " المسئولية القومية.. الاستعداد والمقدرة " الذي انتهى فيه الى ما قاله : " نحن نواجه اذن تآمرا مدروسا ويجري تنفيذه فصلا فصلا وتواجه الثورة العربية مسؤولية قومية يجب حملها. ولانه لا يكفي الاستعداد لحمل هذه المسئولية مع فقدان القدرة على المضي، ولا يكفي وجود القدرة مع فقدان الاستعداد فان من الطبيعي ان تنتهي المسئولية القومية الى مستعد قادر ولا نعتقد ان هناك سوى ثورة الفاتح من سبتمبر من يريد ان يحمل هذه المسئولية ومن يقدر على حملها "

مهلا يا اخ خالد :

ان الاعجاب بثورة الفاتح من سبتمبر يبرر تحميلها، ما تطيق من المسئولية القومية، اما ان " تعتقد" ان ليس هناك سوى ثورة الفاتح من سبتمبر من يريد ان يحمل هذه المسئولية ومن يقدر على حملها فانك تحكم على الشعب العربي كله حكما منحازا لثورة الفاتح من سبتمبر . انك تحكم بالعقم والعجز على امة كاملة لتضع المسئولية القومية كلها على عاتق فصيل من ابنائها . مع المسئولية القومية كلها قيادة الامة كلها كما لا يخفى عليك . وتلك رؤية ضيقة بقدر ضيق الاقليم الذي تكتب فيه. قصيرة بقدر بعد علمك بكل ما يحتضنه الشعب العربي من ارادة ومقدرة . تلك رؤية اقليمية لانها لا تستكشف الارادة القومية في الشعب العربي كله بل تقيس ارادة القوميين في اقليم على ما تعرف خارج الاقليم فتحكم بأن ليس هناك سوى ثورة الفاتح من سبتمبر من يريد ان يحمل هذه المسئولية ومن يقدر على حملها .

ولماذا حكمت؟

قلت: " لانها تقود ولا تحكم، وبذلك فهي في منأى عن تطويق الثورة بالدولة " .

هل انت واثق من هذا؟.. اخشى ان تكون مبالغا في الاستهانة بمقدرة الدولة- اية دولة- على تطويق الثورة، اية ثورة. وهي مبالغة نحذر منها القراء من الشباب العربي . فكم من ثورة ذهبت ضحيتها فتحولت الثورة الى اداة للدولة بالرغم من الحفاظ على الشعارات الاولى . المشكلة ليست سهلة الى الحد الذي حكمت به . اعني مشكلة الصراع بين الثورة "القومية " والدولة الاقليمية.

ولنختبر- نظريا- بعض جوانب ذلك الصراع .

فنسأل:

هل تستطيع اية ثورة في اية دولة عربية ان تصدر قانونا يؤكد هويتها القومية بأن تقول مثلا :

- " يعتبر كل عربي وافد الى " الدولة " او مقيم فيها من رعاياها فله كافة الحقوق وعليه كافة الالتزامات المقررة فيها بصرف النظر عن الدولة العربية التي يحمل جنسيتها ".

او قانونا يقول :

" استثناء من قوانين " الدولة " التي تحرم الاحزاب والمنظمات يباح للشعب العربي في " الدولة " والمقيمين فيها من ابناء الشعب العربي خارجها ، ان ينشطوا، فكرياً وحركيا لتأسيس الحركة العربية الواحدة " .

او..... الخ .

اريد ان اقول للشباب العربي حذار من ان يصل اعجابكم بأية ثورة في دولة عربية الى حد رؤية الامة العربية من خلالها بدلا من رؤيتها من خلال الامة العربية على مستوى المشكلات وعلى مستوى الحلول . ان هذى رؤية اقليمية سبق ان ذهب ضحيتها قوميون كثيرون . ثم رجاء، لا تستهينوا " بالدولة " فتتوقعوا من القادة فيها ما لا يتفق مع طبيعتها كمؤسسة اقليمية . وكل دولة عربية هي مؤسسة اقليمية ولو كان الحاكمون فيها قوميين . ذلك هو الحق وان كان مرا.

مثال رقم ٢:

وليتأمل الشباب العربي، ان كان ما يزال غير مقتنع بأن الاعجاب بالثورات في الدول العربية قد يصل بصاحبه ، غير الحذر، الى مآزق اقليمية يضع فيها فصيلا من الامة في مواجهة الامة مقارنة ومحاكمة وتقييما. ليتأمل الى أي حد وصل الاعجاب بالاخ بابكر كرار وهو يتحدث عن "الاضافات الفكرية للثورة الليبية ". لا تتأملوا الاضافات فلسنا نعتقد ان احدا من ثوار الفاتح من سبتمبر يدعي ابداعها بدون سابقة فكرية، بل تأملوا مصدر الاضافة كما يراه الكاتب .

قال : " في خلال السنوات الخمس الماضية تكشفت عبقرية البيئة والشعب على ارض ليبيا عن مساهمات فكرية بالغة الاهمية " .

ما شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله .

بيئة ليبيا اصبحت، دون البيئة العربية كلها، بيئة عبقرية . الشعب على ارض ليبيا اصبح، دون باقي الشعب العربي، عبقريا، فابدع بعبقريته في بيئتة العبقرية اضافات غير مسبوقة !!! يستطيع القوميون ان يفهموا تماما عبقرية الامة التي اكتسبتها عبر تاريخها الموحد. لكل امة نواح عبقرية خاصة. فللأمة العربية عبقرية خاصة مثلها مثل كل الامم . ليبيا جزء من الامة العربية. فيها قدر من عبقرية الامة التي هي جزء منها . اما ان تختص هي وحدها بعبقرية خاصة فهو عزل لها عن امتها . رؤية اقليمية. اما عن عبقرية البيئة فهي عودة الى نظرية دارسة. نظرية تقول ما قاله الحزب القومي السوري من أن الارض ذاتها ذات خصائص عبقرية لا تلبث أن تنتقل الى من يقيمون عليها فيصبحوا بها شعبا عبقريا. وقالها الصهاينة عندما قالوا ان ارض فلسطين ذات ارادة خفية فهي لا تمنح خيراتها الا لليهود .

الاخ بابكر كرار لا يقصد شيئا من هذا. مع ذلك يبقى مفيدا للشباب العربي الذي يطالع مجلة "الشورى " ان نحذره من الرؤية الاقليمية التي قد يدفع اليها الحماس .. أو اليأس .

فنقول :

ايها الشباب العربي،

تختلط الاقليمية والقومية في الواقع العربي بحكم ان الامة العربية مقسمة بين الدول الاقليمية بدون فائض قومي . كذلك تختلط الاقليمية والقومية في الفكر العربي ، بحكم ان القوى غير مفرزة في الوطن العربي . وينتج عن هذا ثلاث زوايا لرؤية الواقع :

١- رؤية اقليمية خالصة، ترفض الانتماء القومي ، بل تنكر وجود الامة ذاتها وتستقل بذاتها مشكلات وحلول .

٢- رؤية قومية خالصة ، تلتزم انتماءها القومي ولاترى الاقاليم مشكلات وحلولاً الا من خلال المشكلات والحلول القومية .

٣- ثم رؤية اقليمية مختلطة تقبل انتماءها القومي ولكنها ترى المشكلات القومية وحلولها من خلال مشكلات وحلول الاقليم الذي تنتمي اليه.

فاحذروا الرؤية الاقليمية الخالصة والمختلطة. والمختلطة منها اكثر اغراء من الخالصة. وتشبثوا حتى في التفاصيل بالرؤية القومية . حينئذ قد ترون في ثورة الفاتح من سبتمبر ايجابيات

لم يرها كتاب الشورى فتكتبون عنها في عيدها السادس مالم يكتبوه . ولقد ترون فيها من السلبيات ما يكون ذكره في عيدها اكثر جدوى لها ولكم من كل ما قيل . لان الحق اجدى ولو كان مرا.

الوجه الاخر:

على السفود ينضج الشواء من اللحم . لا شواء ولا نضج ولا سفود اذا انعدمت المادة . هنا نأخذ ما يكتبه الناس في " الشورى " لنقدمه الى الشباب العربي من القراء بعد ان نحاول انضاجه لا محل لقلم ابي ذر اذا كانت الفكرة غائبة من صفحات " الشورى " .

من الافكار التي غابت ، لا ادري كيف، الحديث عن ثورة الفاتح من سبتمبر من حيث هي ثورة الضباط الاحرار "الوحدويين" . اعني الحديث عن علاقة الثورة بهدفها الاساسي : الوحدة لماذا لم نقرأ في العدد السادس من " الشورى " شيئا عن الثورة والوحدة . في المنطلقات . في الاهداف . في الاسلوب . في الادوات .. الخ . الأن الثورة قد حققت نجاحا يشكر في كل ميدان ولم تحقق في سبيل الوحدة نجاحا يذكر ؟ . ان تجارب الفشل اكثر خصوبة للمعرفة من تجارب النجاح . من حق الشباب العربي ان يتعلموا من التجارب التي فشلت حتى لا يفشلوا مرة اخرى . لكن المادة غائبة. نحن لا نقدم وجبات من عندنا مبتدئين بل ننضج ما يقدمه الكاتبون للقراء . اذن، نأسف لما غاب ، ثم ننتقل الى مواد اخرى .

نصف الحق:

يتضمن " ملف " العدد السادس من " الشورى " ثلاث دراسات قيمة : " التخلف والتنمية " بقلم الدكتور عبد المجيد شوربجي . " التخطيط الاقتصادي " بقلم حسين العلواني " الثورة والتنمية " بقلم مختار بورو...

(١) التخلف والتنمية :

اشهد بان مقال " التخلف والتنمية " من اجود ما قرأت في " الشورى " منذ صدورها ومن افضل ما كتب في موضوعه " بمثل هذه الدراسات العلمية الجادة تعيش " الشورى " وتأخذ مكانا مرموقا بين مثيلاتها في الوطن العربي . اقترح على " الشورى " أن تعيد نشر مقال الدكتور عبد المجيد شوربجي عن " التخلف والتنمية " في كتيب يكون متاحا بدون مقابل لمن يطلبه من الشباب العربي. لعله ان يكون اسعد حظا من الكتاب الذي اهدته مع العدد السادس ولم يصل الى من اشتروها. لاقتراحي تكملة. ان يكمل الدكتور شوربجي بحثه بمثل الجدية والصفاء الذهني الذي بدأه بها . ذلك لان مقال الدكتور شوربجي عن " التخلف والتنمية " ناقص من وجهة النظر القومية التقدمية.

لقد كتب فأجاد عن مشكلات التخلف والتنمية في العالم الثالث . ضرب امثلة شتى من دول ما يسميه "العالم العربي" . القوميون لا يعرفون ما يعنيه " العالم العربي " . نحن نعرف الامة العربية والوطن العربي . نعرف الدول الاقليمية القائمة على اساس تجزئة الامة العربية شعبا ووطنا . بعد ان نسلم مع الدكتور شوربجى بصحة ما جاء في مقاله عن مشكلات التخلف والتنمية على المستوى العام، اي مستوى العالم الثالث الذي تنتمى اليه الامة العربية ، ننتظر - كنا ننتظر- ان تضاف المشكلات الخاصة الى المشكلات العامة كنا ننتظر ان ينتقل بنا الكاتب من العام الى الخاص لنعرف منه اثر التجزئة في مشكلات التخلف واثر الوحدة في التخطيط الاشتراكي للتنمية.

مثلا:

قال : " اتضح للمؤتمر (المؤتمر الثالث للتنمية والتصنيع الذي عقد في مدينة طرابلس في الجمهورية العربية الليبية) انه بالرغم الجهود التي بذلتها الدول العربية في سبيل التصنيع حتى الان فان نصيبها في عام ١٩٧٠ لم يتجاوز ٠,٤٪ من الانتاج الصناعي العالمي و ٦٪ من الانتاج الصناعي لمجموعة الدول النامية كما بلغ نصيب الفرد العربي من الانتاج ما يوازي ٣١ دولارا مقابل ١٨٩ دولارا للفرد في بلدان امريكا اللاتينية ولم تتعد نسبة الناتج من الصناعات التموينية الى الناتج المحلي الاجمالي ١٠٪ بالنسبة للدول العربية في مجموعها وانها اذا ما اخذت " كمجموعة اقليمية " فانها تعتبر طبقا للمعيار الذي اعتمده المصرف الدولي للانشاء والتعمير من الدول التي ما تزال في سبيل التصنيع " .

جميل . هكذا تطرح المشكلات .

ولكنا كنا ننتظر ان نعرف اثر التجزئة في هذه المشكلات . هذه هي الدول العربية " كمجموعة اقليمية " . هل كانت طبيعة مشكلات التخلف والتنمية تختلف لو كانت دولة واحدة؟ بوضوح اكثر هل عوقت التجزئة ذاتها- مع تثبيت كل عناصر التنمية الاخرى – الجهود التي بذلتها الدول العربية في سبيل التصنيع حتى الان؟. لقد اقترح الدكتور شوربجى حلولا علمية لمشكلات التخلف في العالم الثالث- ومنه العالم العربي- فهل تضيف الوحدة شيئا الى تلك الحلول؟.. الفكر القومي التقدمي الذي يسلم بكل ما جاء في المقال الرصين من حقائق علمية عن المشكلات وحلولها بالنسبة الى العالم الثالث يزعم ان في الوطن العربي اضافة واقعية للمشكلات والحلول . التجزئة اضافة الى المشكلات تحول دون ان يبلغ الشعب العربي بذات الامكانيات المتاحة له الان ، بذات الجهد الذي يبذله الان ، معدل التنمية الذي كان يمكن تحقيقه في ظل الوحدة . فتضاف الوحدة العربية الى حلول مشكلات التخلف. وعندما يختتم الدكتور شوربجى دراسته القيمة بقوله : ان الاشتراكية هي الثورة على التخلف ولا بد للثورة من ثوار، يكون القوميون التقدميون في انتظار تكملة خاصة بالتخلف والتنمية وعلاقتهما بالتجزئة والوحدة في الوطن العربي يكون ختامه : ان الوحدة الاشتراكية هي الثورة العربية على التخلف في الوطن العربي ولابد للثورة العربية من ثوار اشتراكيين وحدويين .

وعندما يقول :

" ان التصنيع في الدول النامية هو ثورة الشعوب العربية المظلومة من اجل خلاصها . انه يحتاج كما ذكر الاخ جلود في افتتاحه لمؤتمر التنمية الصناعية العربي ، الى الجرأة والاقدام كما يحتاج الى وضوح الرؤيا الفلسفية ، وعندما يصر على التأكيد على اهمية الفلسفة الواضحة للتصنيع فذلك يعني به الطريق الموصل له الا وهو الطريق الاشتراكي " .

يكون قد صدق .

ولكنا نحسب انه عندما يصر الاخ جلود على التأكيد على أهمية " الجرأة والاقدام " من اجل التصنيع فانه يعنى " الطريق الموصل له الا وهو الطريق الوحدوي " .

فهل يتفضل الدكتور شوربجي بتكملة بحثه. نحن الشيوخ من القوميين التقدميين ننتظر ونرجو لنستفيد فنتعلم فما بالكم بالشباب ؟.. كلنا في انتظارك يا دكتورنا العزيز..

(٢) التخطيط الاقتصادي :

هذا مقال جيد من حيث انه تناول التخطيط الاقتصادي في جانبه الفني . كيف توضع الخطة الاقتصادية وما هي شروط كفاءتها . جيد لولا انه مختصر . الكاتب معذور . لست اعتقد ان العدد السادس من " الشورى " كان يتسع لمقال طويل ثان بجوار مقال الدكتور شوربجي . نأخذ على المقال ما اخذناه على ما سبقه . سلبيته بالنسبة الى مشكلة التجزئة وهدف الوحدة . كنا ننتظر ان يجيب الاخ حسين العلواني على سؤال ذي اهمية بالغة لكل الاشتراكيين الذين يضعون خطط التنمية في ظل التجزئة. صحيح ان عملية التخطيط تتحلل- كما قال- الى ثلاثة عناصر:

اولا تحديد الامكانيات القومية

ثانيا تحديد الاهداف القومية

ثالثا الاختيار الاقتصادي

صحيح وجيد .

لكن ماذا يعني الاخ حسين علواني بكلمة " القومية " في تحديد الامكانيات والاهداف . الفكر القومي التقدمي يعني بالامكانيات القومية امكانيات الامة العربية كلها .. يعني بالاهداف القومية (من التخطيط) اشباع احتياجات الشعب العربي كله. فهل هذا ما يعنيه الاخ حسين العلواني؟.. يصر الفكر القومي التقدمي على ابراز هذا الشمول لان التخطيط الاقتصادي في الوطن العربي يصادف مشكلة خاصة بالأمة العربية (وامم قليلة اخرى) هي مشكلة التجزئة. التخطيط الاقتصادي قد يكون شاملا الدولة وقد يكون شاملا الامة . يختلف في الحالتين عندما يكون تخطيطا اقتصاديا للدولة تصدق كل كلمة قالها الاخ حسين العلواني ما عدا فقرة غريبة سنعود اليها عندما يكون التخطيط اقتصاديا لامة مجزأة ، تدخل التجزئة القائمة او الوحدة المتوقعة عنصرا من عناصر الخطة الاقتصادية لتحدد الامكانيات قوميا واقليميا، ثم تحدد الاهداف قوميا واقليميا، ثم تحدد الإختيار الاقتصادي بحيث تبقى الخطة الاقتصادية قابلة للتطبيق عند تحقيق الوحدة ، او- على الاقل- بحيث لا تقوم الخطة الاقتصادية حائلا او

عائقا في سبيل الوحدة . هكذا يفعلون – مثلا- في المانيا الشرقية حيث يتضمن التخطيط الاقتصادي " خطة " لاحتمالات الوحدة الالمانية .

هذه " التكملة " مفتقدة في مقال الاخ حسين العلواني مع انها تكملة حاسمة. بها يفرز الاشتراكيون انفسهم فهم اشتراكيون اقليميون . او هم اشتراكيون وحدويون . وبها تلتحم الوحدة بالاشتراكية او تنفصل . في كل الحالات هي تكملة تمثل جوابا على سؤال مطروح بين الشباب العربي : ما علاقة الوحدة بالاشتراكية؟ ... فلعل الاخ حسين العلواني لا يدع الشباب العربي في انتظار الجواب طويلا .

الفقرة الغريبة:

هي غريبة لانها- فيما نرى- لا تتسق مع المنطق العلمي المحكم الذي صاغ مقال " التخطيط الاقتصادي " . تقول الفقرة :

" يمكن القول بان فكرة التخطيط الاقتصادي ترجع الى احد ثلاثة منابع : التقنية- الاشتراكية- الوطنية. فينصح الفنيون باللجوء الى التخطيط الاقتصادي لاقتناعهم بانه الاسلوب الوحيد لبلوغ الرشد الاقتصادي . أي ان استغلال الموارد المتاحة بالشكل الذي يضمن بلوغ اقصى عائد ممكن وعلى ذلك فانهم لا يبغون اهدافا سياسية او اجتماعية وانما تنحصر نظريتهم فقط من الناحية العلمية. اما الاشتراكيون فانهم يؤيدون التخطيط الاقتصادي لانه يساعد على بلوغ اهداف اجتماعية محددة وهي المساواة الأقتصادية والاجتماعية فهم لا يهتمون كثيرا بالرشد الأقتصادي أي الاستخدام الاقتصادي للموارد بقدر اهتمامهم بالمساواة الاقتصادية والاجتماعية التي هي اكثر اهمية من الاهداف التكنيكية البحتة، وترجع ضرورة التخطيط الاقتصادي في ظل الاشتراكية الى عجز الاقتصاد عن تحقيق المساواة الاقتصادية والاجتماعية اذا ما ترك دون تدخل الدولة.

" اما الوطنيون او القوميون فهم يناصرون التخطيط الاقتصادي لاعتقادهم بانه سوف يساعد على تحقيق اهداف سياسية لا يمكن للاقتصاد غير المخطط ان يحققها فالوطنيون يضعون الاقتصاد في خدمة السياسة حتى يمكنهم تنمية القوة العسكرية لدولهم ضد الدول الاخرى فهم يعتقدون والامر كذلك ان مصالح دولهم في تضاد مستمر مع مصالح الدول الاخرى ولذلك فهم

يلجأون الى التخطيط الاقتصادي الذي يمكنهم من تحقيق ما يصبون اليه من قوة داخلية وخارجية " .

لا .

ليس في هذه الفقرة جملة واحدة صحيحة. اني اشم فيها رائحة أفكار مهترئة لا تتفق مع منطق المقال وسياقه. هل دست فيه ام دست عليه؟.

فأولا: ليس صحيحا ان فكرة التخطيط ترجع الى واحد من ثلاثة منابع . التقنية. الاشتراكية. الوطنية. ان افتعال الغربة بين هذه الخصائص الثلاث ومحاولة وضع القارىء في موضع الخيار بينها تعسف لا مبرر له من الواقع او العلم . فالتخطيط الاقتصادي له شروطه التقنية التي لا بد من توافرها ليكون تخطيطا اقتصاديا والتخطيط الاقتصادي الشامل الامكانيات والاهداف القومية هو النظام الاقتصادي الاشتراكي ذاته لانه البديل عن المنافسة الحرة التي هي قانون الاقتصاد الرأسمالي ومميزه . فعندما يضع الرأسماليون خططا اقتصادية، " لمؤسساتهم " الخاصة يكون هدفهم اما استغلال الشعب او قضاء بعضهم على بعض وبالتالي لا يكون لخططها علاقة لا بالامكانيات القومية ولا بالاهداف القومية فهو اذن ليس التخطيط الاقتصادي الذي عرفه صاحب المقال . والتخطيط الاقتصادي الاشتراكي هو وحده ، ولا شيء غيره ، الذي يعطي لكلمة الوطنية، او القومية؟ مضمونها العيني . فالوطنية انتماء مشترك الى وطن معين . والوطن امكانيات مادية وبشرية. فالاستئثار بموارد الوطن ليس وطنية. وبدون اشتراك المواطنين في الامكانيات المتاحة في وطنهم تكون الوطنية كلمة فارغة . ولا تتم هذه المشاركة الا بتوظيف كافة الموارد في الوطن لخدمة جميع ابنائه ، وهذا لا يتم الا بالتخطيط الاقتصادي هكذا تكون التقنية والاشتراكية والوطنية خصائص ثلاثة للتخطيط الاقتصادي لا بد من توافرها جميعا ليكون تخطيطا اقتصاديا بالمعنى العلمي لهذا التعبير. ولقد ذكر صاحب المقال ان التخطيط الاقتصادي الشامل قد ظهر في الاتحاد السوفياتي سنة ١٩٢٨. فهو اذن من ابداع الاشتراكيين في وطن كان حينئذ محاصرا اقتصاديا. ابدعوه تحت تأثير الرغبة في الانقاذ الوطني واذا كانوا قد نجحوا فيه حتى وصلوا الى القمر فلا شك انهم قد ادوه " تقنيا " كما يجب ان يؤدى فكأن النشأة التاريخية للتخطيط الاقتصادي كانت اشتراكية وطنية تقنية معا.

وثانيا : ليس صحيحا ان الفنيين لا يبغون اهدافاً سياسية واجتماعية. لا يوجد احد لا يبغي من وراء عمله اهدافا سياسية واجتماعية سواء اعلن اهدافه ام اخفاها . وفي كل الحالات

يكون الفنيون في كل مجتمع في خدمة النظام السياسي والاجتماعي السائد مريدين او مكرهين ، اعني انهم لا بد لهم من ان يستهدفوا تحقيق غاياته حتى لو اختلفوا معه . فالنشاط الفني اذن مرتبط باهداف سياسية واجتماعية دائما، ولا يوجد ولا يمكن ان يوجد نشاط فني - او غير فني- لوجه الفن وحده .

وثالثا: ليس صحيحا ان الاشتراكيين لا يهتمون بالرشد الاقتصادي أي بالاستخدام الاقتصادي الامثل للموارد بقدر اهتمامهم بالمساواة الاقتصادية والاجتماعية . تلك كانت النظرية الماركسية في نشأتها الاولى وإلى ما قبل سنة ١٩٢٤ (وليس ١٩٢٨) عندما كان الماركسيون يتصورون ان الثورة الاشتراكية ستنفجر في الدول المتقدمة حيث يكون الرخاء قد تحقق فلا تبقى الا المساواة في العائد الاقتصادي . ولكن كل هذا قد انتهى على يد لينين في روسيا ثم قبر نهائيا في العالم الثالث حيث يواجه الاشتراكيون مشكلات التخلف والاستغلال معا وحيث يكون شعار الاشتراكيين " الكفاية والعدل، والحق ان ا لاشتراكيين لم يبدعوا التخطيط الاقتصادي من اجل المساواة " في الفقر " بل ابدعوه في الامم المتخلفة من اجل التنمية الاقتصادية بدون استغلال . فهو ادأتهم في التنمية قبل ان يكون اداتهم في المساواة . الم يذكر صاحب المقال في اول مقاله ان التخطيط الاقتصادي طريق لحل المشكلة الاقتصادية التي قال عنها انها تقوم اساسا على ندرة الموارد بالنسبة للحاجات . اذن فالتخطيط الاقتصادي كان وما يزال طريق الاشتراكيين الى تجاوز الندرة الى الرخاء .

رابعا : فليس صحيحا، بل هو افتراء ان يقال ان القوميين يعتقدون ان مصالح دولهم في تضاد مستمر مع مصالح الدول الاخرى ولذلك فهم يلجأون الى التخطيط الاقتصادي الذي يمكنهم من تحقيق ما يصبون اليه من قوة . ان هذا اتهام للقومية- او الوطنية- بأنها شوفينية او عدوانية دائما. وكأن الوطنيين والقوميين لا هم لهم الا الاعتداء على غيرهم تحت تاثير اعتقاد مرضى بان مصالح دولهم في تضاد مستمر مع مصالح الدول الاخرى . كأن القوميين او الوطنيين هم المسئولون عن الحروب التي تشنها الدول الاستعمارية على اوطانهم ... الخ .

لماذا قال الاخ حسين العلواني كل هذا ؟ ...

لست ادري . وهو- بعد- قول غريب على سياق الحديث كأنه مدسوس فيه او مدسوس عليه .

أيا ما كان الامر،

فأن القوميين الاشتراكيين يقولون لهذه الفقرة من المقال : سلاما.

(٣) التنمية الاقتصادية على اساس الاعتماد على القدرة الذاتية؟

هذا هو المقال الثالث من ملف " الشورى " (العدد السادس) . هو من حيث النوع افضل ما قيل في ثورة الفاتح من سبتمبر بمناسبة عيدها الخامس . قراءته ممتعة. فيه تتحول الثورة الى حياة وهذا اقصى ما تطمع فيه اية ثورة ناجحة . المقال يتحدث عن الواقع في ليبيا الدولة. في هذه الحدود لا ملاحظات الا الاشادة به والتحريض على اعادة قراءته لمن قرأه وقراءته لمن فاته العدد السادس من "الشورى" . مع ذلك هناك ملحوظة صغيرة نشير اليها لأننا سبق ان تحدثنا عنها . اعني علاقة الوحدة بالتنمية الاقتصادية في ليبيا انني كقومي اكره كلمة القدرة الذاتية لانني ارفض " ذاتيات" الدول العربية، ولا اثق بعائد المقدرة الذاتية ولو في المدى الطويل .. ولقد رفع شعار المقدرة الذاتية في فترة تاريخية سابقة من موقع معاد للوحدة..

لماذا لا يجتنب الشباب القومي- وهم يكتبون- بعض التعبيرات سيئة السمعة . ان الامر لا يحتاج الا الى قدر ضئيل من الانتباه لكي يكتشف الدكتور مختار بورو ان تقسيمه قوة العمل في ليبيا الى عمال " وطنيين " وعمال " غير وطنيين " يصدم القارىء الذي لا يقبل هذه التفرقة الاقليمية بين العرب العاملين في ليبيا ويغذي النزوع الاقليمي بين العاملين انفسهم .

وبعد،

فهل كانت كلماتي فاشية. اني اذن اتلبس روح ابي ذر الغفاري رضى الله عنه. كان يقول الحق ولو كان مرا. وكان يقوله بقسوة جافة.

لقيه ابو موسى الاشعري يوما فلم يكد يراه حتى فتح ذراعيه وهو يصيح من الفرح بلقائه : " مرحبا ابا ذر... مرحبا أخي!. ولكن ابا ذر دفعه عنه وهو يقول : " لست بأخيك انما كنت اخاك قبل ان تكون واليا واميرا " .

والسلام على اصحاب ملف " الشورى " .

فذلكة نفسية :

مقال "سيكولوجية المكتبة العربية" الذي كتبه الدكتور ملاك جرجس مقال ظريف . ينبه الشباب العربي الى ما يستحق الانتباه . الاستفادة بعلم النفس في فهم بعض الظواهر الاجتماعية . ينصب المقال على المكتبية (البيروقراطية) . حاول تفسير سلوكها على اسس نفسية جماعية. فيكتشف ان البيروقراطيين مرضى . " بالجملة " المرض الجماعي مبرر نفسيا لان السيكولوجية الجماعية مبررة علميا . يقول فرتهيمر: " عندما يعمل جماعة من الناس سويا، يندر ان يظلوا مجرد عدد من " الادوات المستقلة " ولن يحدث هذا الا تحت ظروف خاصة جدا . والذي يحدث بدلا من ذلك هو ان يصبح المشروع العام محط عنايتهم جميعا وبالتالي يعمل كل منهم باعتباره جزءاً من كل ". وهي حالة نفسية اسماها شولته حالة " النحن " .

البيروقراطية اذن مرض والبيروقراطيون مرضى ، هكذا اراد لهم الدكتور ملاك جرجس . وهم عنده مرضى " بالشيزوفرينيا " او الفصام . وهو- كما قال- " مرض اهم اعراضه الانكماش والخوف وعدم المقدرة على الاخذ والعطاء والخوف من التجديد او المبادأة ، مما يجعل المريض بهذا المرض شخصا سلبيا يدور داخل محيط نفسه ويعاني لدرجة كبيرة من أحلام اليقظة تلك الاحلام التي تحقق له الراحة والرضاء والشعور بالعظمة وتعوضه في الخيال عن الكثير الذي يعجز عن تحقيقه في الواقع " .

هذا هو مرض " الشيزوفرينيا ".

وهناك مرض آخر اسمه " السيكوباتيا؟.

يقول علماء النفس :

" يرتكب السيكوباتيون اعمالهم دون خجل، وفي بعض الاحيان علانية، بل يفاخرون بها. ليس في مقدورهم ان يحتفظوا بسرية اعمالهم وقد يدركون باللفظ خطأ هذه الاعمال ولكن ينقصهم نمو العواطف. وهم يستخفون بالامر ولايتحمسون لشيء. كما انهم على كثير من فجاجة الانفعال. ولكنهم من ناحية اخرى يعجزون عن اي تدبير معقد. وقصاراهم ان يقوموا ببعض الحيل الصغيرة التي يسهل كشفها. ويعوزهم بعد النظر فهم لا ينتفعون من التجربة السابقة برغم ما يبدو عليهم ظاهريا من سواء او تفوق ذهني . كما انهم يعيشون في ملذات الحاضر وتجرفهم اهواء اللحظة الراهنة. وهم لا يعبأون بالنتائج التي يتعرضوا لها من اعمالهم او

التي يتعرض لها اقاربهم او المجتمع . وهم يرتكبون جميع انواع الجرائم فهم يسرقون ويكذبون وينصبون . على الرغم من هذا فانهم يبدون امام الغرباء كقوم اذكياء ظرفاء " .

فهل البيروقراطيون مرضى:

با لشيزوفرينيا؟..

ام بالسيكوباتيا ؟..

نترك الاجابة للقراء هواة الفذلكة .

٦

تحية للمجتهدين :

سؤال : ما الذي يحدث لو تقدم العلم فحصن الناس ضد المرض؟

جواب: يتعطل الاطباء.

سؤال: ما الذي يحدث لو تقدمت المجتمعات فانقطعت الجرائم؟

جواب: يجوع المحامون .

سؤال: ما الذي يحدث لو تقدمت الشعوب فامتنعت الحروب؟

جواب: تفلس الولايات المتحدة الامريكية.

سؤال اخير : ما الذي يحدث لو اصبح كل ما يكتب في" الشورى " في مثل تفوق " ملف العدد السابع "؟

جواب: يطفىء ابو ذر ناره ويحمل سفوده ويختفى . باسم القراء، ولست الا واحدا منهم انوب عنهم فضالة، (الفضالة هي الوكالة عن الغير فيما ينفعه بدون اذن سابق وهي مشروعة)، احيي الدكاترة حسين مؤنس، ومحمد فاروق النبهان، ومحمد النويهي، ومحمود زايد، واشكر لهم

ما قدموه في العدد السابع من " الشورى " تحت العنوان العام؟ " الدين والتطور الحضاري في الوطن العربي ". كان ما كتبوه وجبة فكرية ناضجة. لا أقول وجبة دسمة . الوجبات الدسمة " ثقيلة، و " ضارة ".

لماذا؟

نقول " ثقيلة " للوجبات التي تبقى في المعدة اكثر من المتوقع . الوجبات الدسمة هي التي تبقي الطعام في المعدة اكثر مما يجب ، مع ان " الدهن " (اغلبه) لا يتم هضمه في المعدة بل في الامعاء الدقيقة. أي ان المعدة لا تبذل جهدا " يذكر" في هضم الدهون . تعبر منها الدهون ولا تتوقف فيها. تهضم الدهون بما يفرزه البنكرياس في الامعاء من انزيمات (ستبسين). فكيف تضعف الدهون حركة المعدة مع انها لا تقتضي منها جهدا يذكر؟

هذا اعجاز من اعجاز اسرار التكوين .

تصب المعدة عصارتها وتهضم ما تهضم من كتل الطعام الا الدهون . تنقبض المعدة وتنبسط في حركة موجبة لتمزج افرازاتها بكتل الطعام فيها . اثر كل موجة تدفع بجزء اكتمل هضمه فيها الى الامعاء الدقيقة . تستقبل الامعاء الدقيقة ما تدفعه المعدة وهي ساكنة الى ان يأتي دورها في بذل الجهد. يأتي دورها عندما تدفع اليها المعدة موادا دسمة . الامعاء الدقيقة دقيقة. لا تحتمل كل ما تقدر عليه المعدة . فكأنها تريد ان تقول للمعدة اني مشغولة بما قدمت فلا تدفعي الي بالمزيد الى ان انتهى مما انا فيه . يقول عالم الكيمياء الحيوية منك (١٨٨٤) انه بمجرد، ملامسة الدهون للسطح الداخلي للامعاء الدقيقة ينطلق من الأمعاء " هرمون " يحمل رسالة الى المعدة . لا يأخذ طريقه خلال كتلة الطعام الى المعدة القريبة (جغرافيا) بل عبر الدورة الدموية الاسرع اتصالا. لا يذهب الى اليدين او القدمين او الرأس او القلب... الخ، بل يشق طريقه الى المعدة مباشرة . ما ان يصل حتى " تدرك " المعدة الرسالة فتبطىء انقباضها وانبساطها. تبقى الطعام فيها اكثر مما يجب، معفية الامعاء الدقيقة من مزيد من الدفعات، حتى تؤدي الامعاء وظيفتها بدون اجهاد .

فنشعر بثقل الطعام من طول بقائه في المعدة .

الامعاء الدقيقة ليست بيروقراطية او استغلالية او انتهازية. انها لا تستغل استجابة المعدة لتتلكأ هي . تنشط لاداء وظيفتها لتتحول الدهون الى جلسرين واحماض دهنية (الينيك-

لينوليك- لينولينيك- كلوبا نودنيك- اراشيدونيك) . لكل شيء طاقة وحدود . في الوجبات الدسمة لا يكفي تعاون البنكرياس والامعاء الدقيقة لهضم المواد الدهنية المتدفقة ، شراهة، الى المعدة . فكأن الامعاء الدقيقة لا تريد ان تعطل المعدة اكثر مما فعلت . فتمتص من الدهون المتدفقة اكثر مما تستطيع هضمه. هكذا تصل الى الدم كمية من الدهون - كما هي بدون هضم- في شكل حبيبات دقيقة. يتجه بعضها الى الكبد فتتزايد كمية الكلسترول . الكلسترول سبب اساسي لامراض " الجلطة " التي تتحول مع الدم الى ان تصل الى مواقع ضيقة فتقفلها مؤدية الى الوفاة . ويدور بعضها مع الدم ويترسب على جدار الشرايين فتضيق وتفرض على القلب جهدا مضاعفاً لدفع الدم فيها. مع توالي الوجبات الدسمة يتوالى الترسيب او الضيق الى ان يؤدى الى ما يعرف باسم الذبحة الصدرية، وهو مرض بالغ الخطورة على الحياة .

لكل هذا نقول عن " ملف الشورى " (العدد السابع) انه وجبة ناضجة ولا نقول وجبة دسمة. لكن هذا لا يعني ان قد انقطع القول وعلى ابي ذر ان يطفيء ناره و سفوده ويرحل . بل ان لدينا ما يستحق القول . هكذا أظن على الاقل وليس كل الظن اثما.

الدين والحضارة القومية :

اولا : يحصر الدكتور حسين مؤنس الجوانب الحضارية من الاسلام في :

(١) الجانب الحضاري من العقيدة الاسلامية :

الاخوة الانسانية في الدين على اساس ان " ابراهيم وموسى وعيسى، كلهم مسلمون مثلهم في ذلك مثل محمد صلى الله عليه وسلم " والحرية " ان يترك للناس الحرية في الدخول فيه (الاسلام) فمن اقتنع دخل ومن لم يقتنع تركه حتى يفتح الله عقله وقلبه للايمان ".

(٢) الجانب الحضاري مع الشريعة الاسلامية:

١- العبادات : نفعها للبشر لانها " واجبات دينية تعود على من يؤديها من البشر بالخير لان الله سبحانه ليس في حاجة الى الخلق او الى اي شيء يعملونه ". ومن فوائدها تعليم الناس المحافظة على المواعيد والاتحاد والنظافة. وقد ادت الى تنشيط فن العمارة والهندسة والفنون

والصناعات (الصلاة) والتآخي (الزكاة) والتعارف الذي يؤدي الى النشاط ا لاقتصادي (الحج).. الخ.

ب- المعاملات : التوفيق بين مصلحة المجتمع وحريات الفرد والاكتفاء بالعمل الى درجة الايمان، والحض على التعلم وطلب العلم.. الخ

ثانيا : يقصر الدكتور محمد فاروق النبهان الجوانب الحضارية من الاسلام على جانب واحد عبر عنه في عنوان مقاله " الفكر السياسي في الاسلام " . يؤكد في فقرات مقاله المتتالية تفوق الاسلام "كنظام سياسي" الى حد الدفاع عن " الخلافة" . ثم يؤكد تفوقه كنظام اجتماعي واقتصادي . انه جملة- يتحدث عن الجانب الحضاري من الاسلام الذي يتصل بالتنظيم الاجتماعي في نواحيه الدستورية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ثالثا: يقصر الدكتور محمد النويهى مقاله على " ازمة التطور الحضاري في الوطن العربي " مبينا بقوة ثورية- ثورية حقا لا مجازا- دور التقليد الديني في الوصول الى الازمة، مقترحا للخروج من الازمة الابداع الحضاري بدون قيد من اجتهادات السلف الصالح ، مؤكدا اتفاق هذا الابداع المتجدد المتطور المواكب لحركة التقدم الانساني مع الدين . فهو يتحدث بقوة ثورية عن ذلك الجانب الثوري من علاقة الدين بالحضارة . جانب الحركة. التغيير . التطوير. ان الدكتور محمد النويهي يوجد علاقة حميمة بين الدين وبين حركة التطور الاجتماعي . عرفنا ان مقال الدكتور محمد النويهي وان كان يحمل عنوانا يتصل بالازمة الحضارية، ينصب على جوهر موضوع العلاقة بين الدين والتطور الحضاري .

رابعا : اما الدكتور محمود زايد فقد تناول موضوع الدين والتطور الحضاري في جانبه " الاممي " حيث ابرز دور الاسلام كرابطة مشتركة بين امم عدة وما يمكن ان يسفر عنه من تقريب بين تلك الامم فيما يسميه بالوحدة الاسلامية فيقول ابو ذر :

ان اساتذتنا الافاضل قد اجادوا فيما قالوا ولكنهم نسووا او تناسوا او لم يتسع المقال ليذكروا اهم وابقى واخلد جانب حضاري كان مرجعه الاساسي الى الدين الاسلامي . تكلموا فأجادوا عن الاخوة الانسانية. عن الحرية والحرية للانسان . عن التعليم ولا يتعلم الا الانسان ، عن السياسة والنظم السياسية وهي لا تقوم الا في مجتمع الانسان .. باختصار، عن الحضارة في اغلب جوانبها ما عدا اهم تلك الجوانب : الانسان . لم يقل احد منهم كيف طور الاسلام الانسان . الانسان المفرد مجرد. اذن كيف طور الاسلام المجتمعات الانسانية ؟

باختصار كبير .

من عشائر وقبائل، الى مجتمع لا قبلي ، الى شعوب دخلها الاسلام مختلفة اللغة والدين والسياسة والاقتصاد والانتماء فصهرها في بوتقة فحولها خلال مئات السنين من شعوب مختلفة الى امة واحدة . انها الامة العربية المولود الحضاري للاسلام دينا وثورة . ادركها وهي متخلفة اطواراً عن الطور القومي . او وهي تنمو في مرحلة الشعوبية نحو مرحلة القومية، فاختصر مسيرتها الحضارية ومزجها واعطاها عناصرها المشتركة ووفر لها كل الامن اللازم لتتفاعل وتثمر، فكانت الثمرة التاريخية هي الأمة العربية و عندما طور الاسلام البشر من عشائر وقبائل وشعوب متفرقة إلى امة واحدة، طور البشر هياكلهم السياسية وانماط تعاملهم الاقتصادي و الاجتماعي وطرز بناياتهم وهندستهم وفنونهم ولغتهم ايضا . اما لماذا لم يفعل مثل هذا بغير القبائل والشعوب التي اصبحت امة عربية، فلأنه ادركها وهي امم مكتملة فأعطاها حضارة ولم يخلقها حضاريا . الفرق دقيق ولكني احسبه واضحا.

هذا- ايها السادة- هو الخلق الحضاري للاسلام . لم يكن موجودا قبله فاوجده . بدأه بعناصر تكوينه الموروثة من العصر القبلي والشعوبي فغذاه من عنده بالعناصر المشتركة اللازمة للتكوين القومي. بعد هذا، فان كل ما قلتموه- ايها السادة- يمكن ان ينسب الى الحضارة العربية. حتى الازمة التي تحدث عنها الدكتور محمد النويهي هي ازمة التطور الحضاري للعرب . حتى المخرج من الازمة كما اقترحه هو مخرج الامة العربية من ازمتها.

ايها السادة : كان قبل الاسلام عرب. ولم تكن قبل الاسلام امة عربية. بل ولدت نواتها بمولده. ونمت بنموه واكتملت نموا تحت رايته ، فلا ينبغي لنا الآن ان نتحدث عن الاسلام والتطور الحضاري فنذكر كل شيء ما عدا الامة التي صنعها الاسلام فهي من خلق ثورته الحضارية .

ثم :

أليس عنوان الملف " الدين والتطور الحضاري في الوطن العربي "؟

والسلام عليكم ورحمة الله .

اجتهاد في الاستراتيجية والتكتيك:

من قواعد الاجتهاد في الاسلام انه مثوب مرتين ان اسفر عما هو صحيح . اما اذا اسفر عن خطأ فمثوب مرة واحدة . الاسلام هو الدين الوحيد الذي يحض على الاجتهاد بغير خوف من الخطأ ، بل بترقب الثواب في كل حال . يقول الدكتور محمد النويهي في مقاله الرائع وهو يطالب بحملة فكرية منظمة :

" ان هدف الحملة الفكرية المطلوبة هي ان نقنع الناس بوجوب الاخذ بالنظرية العلمانية الخالصة في كل ما يختص بامور معاشهم ودنياهم وهي لن تفلح في هذا الا اذا اقنعتهم بان الاسلام - دين كثرتهم- فيما عدا مسائل العقيدة والعبادة ، لا يتنافى مع النظرة العلمانية ، بل ليس من المغالات ان نقرر ان موقفه من اموردنيانا هو موقف علماني صرف " .

ويقول في موضع اخر عن المعنى الكامل للاجتهاد انه :

" لم يكن مقصورا على القياس بمعناه الضيق او تحديده المعروف في علم المنطق ، اي العثور في القرآن او السنة على مسائل مناظرة يطبق عليها نفس الحكم الذي شرعه القرآن او السنة لمسألة قديمة " بل هو الادلاء بالحكم الجديد على هدى المصلحة وحدها والاحتجاج له بانه يجلب منفعة او يدفع ضررا، وانه لذلك يكون حكما اسلاميا مقبولا " .

هذا- ان صح- مشجع .

وانا احمل اسم ابو ذر ولا احمل علمه بالدين .

مع ذلك سأجتهد في " استنباط " بعض الاحكام من آيات بعيدة عن احكام العبادات والمعاملات جميعا. خوفا من الخطأ الجسيم . من الاخطاء الجسيمة التي لا يسترها الاجتهاد- يا دكتور محمد النويهي- ان يكون تأويل النص القرآني . طريقا الى الغائه او نسخه. الله امر ونسخ . هذا صحيح. ولكنه هو الآمر الناسخ ، ولا اله الا الله .. هنا استنبط احكاما من ايات اجتهادا على هامش ملف الشورى واتعلم من الآيات دروسا في الصراع .

قال الله تعالى :

(١) " ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين .اذ قال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التي انتم عليها عاكفون . قالوا وجدنا آبائنا لها عابدين . قال لقد كنتم انتم واباؤكم

في ضلل مبين . قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين . قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين " .

(٢) " وتالله لاكيدن اصنمكم بعد ان تولوا مدبرين " .

(٣) " فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون . قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظلمين. قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم . قالوا فأتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا أأنت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم . قال بل فعله كبيرهم هذا . فسئلوهم ان كانوا ينطقون " .

هذه مواقف ثلاثة . كل موقف منها يمثل مرحلة مختلفة من مراحل الصراع بين ابراهيم والكافرين. في الموقف الاول كان ابراهيم يدعو ويحاور عله يقنع الكافرين بالحق من غير صراع . في الموقف الثاني بدأ ابراهيم باعلان ارادته المؤكدة بانه مصر على الوصول الى غايته بالكيد وغيره ما دام الحوار لم يجد شيئا مع قوم يصرون على الضلال ولا يعقلون . ابراهيم هو الذي بدأ " فاعلن لخصومه ولم يكتف بفشل الحوار معهم . هذه ملحوظة تستحق الانتباه كان ابو ابراهيم وقومه على حال مستقر من عبادة الاوثان . كان ابراهيم الثائر على الواقع المستقر الذي يريد تغييره . بدأ هو الحوار. وهو الذي بدأ الصراع . لأن التوقف عند اية مرحلة من مراحل الثورة قبول لاستمرار الواقع . هو في الواقع هزيمة للثورة وتصفية لكل ما قطعته من مراحل المبادرة . الثورية للتقدميين دائما فان فقدوها لم يعودوا تقدميين ، لو كان ابراهيم قد توقف عند نهاية الحوار مع ابيه وقومه لما توقف كفر الكافرين . انقطع الحوار فبدأ ابراهيم الصراع جهارا . يلزمنا مزيد من الانتباه الى اعلان الصراع . " تالله لاكيدن اصنمكم بعد ان تولوا مدبرين " . اعلن انه سيكيد . لم يقل لهم كيف يكون كيده . في الصراع لابد من اعلان المبدأ والهدف . على ضوء المبدأ والهدف يحدد كل واحد مواقفه. اما الخطط " التكتيكية " للتنفيذ فلا تعلن . ليس من حق العدو ان يعرف " كيف " تكيد له. لو عرف لاعد العدة دفاعا عن موقفه او هزيمة لموقفك . لو مكنته من المعرفة لهزمت نفسك وخنت قضيتك . لم يكن ابراهيم يجهل ما سيفعل كيدا . فاعلن موقفه واخفى خطته . كان هدف المرحلة ان ينجح في كيده ولم يكن هدفه من الحوار. النجاح في التنفيذ لا يتوقف على ما تستطيع. يتوقف ايضا على ما لا تستطيعه القوى المعادية. كل ثغرة في صفوفهم تفتح لنا بابا للتقدم . نعد العدة كاملة ونسلبهم عدتهم ان استطعنا . ابراهيم سيحطم الاصنام فكيف يتغلب على حارسيها . لكي ينجح لا يكفي ان يحمل فأساً في يده وشجاعة الايمان

في قلبه . حبذا لو كانت الاصنام بغير حراس . اذن فليوحي اليهم ابراهيم بما يضعف مقدرتهم على المقاومة . اعلن لهم انه سيكيد اصنامهم " بعد ان تولوا مدبرين " . لم يكن هذا وعدا من ابراهيم لاعدائه . ان اخلفه قيل له " عيب " ان اخلاف الوعد غير اخلاقي . اخلاف الموعد مع الصديق ليس اخلاقيا. اخلاف الوعد مع العدو موقف اخلاقي ان كان يهزمه او يساعد على هزيمته. كان وعد ابراهيم تشتيتا لانتباههم . ان حرسوا اصنامهم فقد قال انه لن يضرب ضربته . يكفي اذن ان يوجد الحارسون حتى لو كانوا غير منتبهين اتكالا على ان مجرد علمه بوجودهم سيمنعه من المحاولة. ولكن ابراهيم نفذ وعيده.

ثم جاءوا به وبدأ الموقف الثالث. ابراهيم بين اعدائه. يحيطون به. بدأ استجوابه . " قالوا انت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم؟ ". بماذا يجيب ابراهيم؟ هل يصدقهم القول؟.. ذلك كان موقفه الاول في المرحلة الاولى . مرحلة الحوار والاحتكام الى العقل . مرحلة " الديموقراطية ". انهوا هم تلك المرحلة وبدأ هو مرحلة الصراع . الان هو وهم اعداء يواجه بعضهم بعضا . " قالوا انت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم "؟. ليس هذا السؤال في مرحلة الصراع بحثا عن الحقيقة بل بحثا عن مبرر شكلي لبطش مبيت. الصدق لا يكون الا بين الاصدقاء . لاحق للاعداء في ان يعرفوا الحقيقة لانهم لا يبحثون عنها ولا يرتضونها. فلقننا ابو الانبياء واحد من اهم قواعد التعامل مع الاعداء . حجب الحقيقة عنهم .

قال : " بل فعله كبيرهم هذا ".

ولم يكذب ابراهيم عليه السلام . فقد كان صادقا في موقفه الثالث كما كان صادقا في موقفيه الاول والثاني، والعبرة في كل موقف بظروفه الذاتية والموضوعية. بحيث يظل الموقف " التكتيكي " محكوما دائما بالهدف " الاستراتيجي " كما يحدده المبدأ " العقائدي ". ذلك هو مناط الصدق في الموقف. غير هذا موقف مثالي . المثالية فشل محض ولو ارضت فضول صاحبها او غروره.

على ضوء هذا :

فان تسجيل المواقف علنا لمجرد الحصول على البراءة الذاتية وافتراض الصدق فيما تعلنه القوى المعادية، والغضب منها، ان نكصت، وطرح الاسئلة فضولا لمجرد اكتشاف الاجابات الصحيحة ، والاجابات المتسرعة تحت تأثير استفزازات الاسئلة ، والتنازل عن المبدأ من اجل الاستراتيجية، والتنازل عن الاستراتيجية من أجل التكتيك،

والتنازل عن التكتيك من اجل الذات، ... ... الخ

كل هذا يخذلنا في معركتنا المصيرية ضد عدونا الشرس الواعي ، ثم انه يخالف احكاما استنبطناها من آي الذكر الحكيم .

والله اعلم

رد على رسالة شاب عربي :

أي بنى،

سألتني في العدد السابع من الشورى الجواب على اسئلة عدة وقلت لي :

" والدي،

" ان لم تجبني على اسئلتي فستكون من هؤلاء الكتاب القوميين الذين يعتقدون ان بكتابتهم عدة صفحات في مجله فقد ادوا كل واجبهم " .

جوابا اقول:

أي بنى،

ان كنت لا تعرف ان المنهج العلمي هو قسمة العمل بين متعددين بحيث يتحدد واجب كل واحد بمقدرته فاعرف. ان كنت لا تعرف ان مقدرتي لا تتجاوز المعرفة فاعرف. ان كنت لا تعرف انني اعتقد ان بكتابتي عدة صفحات في مجلة قد اديت كل واجبي فاعرف. ان كنت لا تعرف ان الادعاء بما يتجاوز المقدرة يجرح الامانة الذاتية ويضر بالاخرين فاعرف. ان كنت لا تعرف ان القادرين على حمل القلم قد لا يقدرون على حمل الرشاش فاعرف . ان كنت لا تعرف ان القادر على معرفة المشكلة قد لا يعرف حلها وان القادر على معرفة حلها قد لا يقدر على تنفيذه فاعرف . ان كنت لا تعرف ان ليس كل الذين يجهرون بالقومية قوميين فاعرف . ان كنت لا تعرف ان واجب اقامة التنظيم القومي اداة للثورة العربية هو واجبكم انتم الشباب فاعرف.

واخيرا ان كنت تريد ان تعرف من والدك ابي ذر كيف تؤدون واجبكم في اقامة التنظيم القومي اداة للثورة العربية ، فاحسب- يا ولدي- انني قد اجبت فيما كتبت من هذا المقال ، فتعرف عليه تعرف.

وفقك الله يا بني

ولك من والدك ابي ذر خالص التحية.

القاهرة في ٢١ أكتوبر ١٩٧٤

٧

الأخطبوط :

الاخطبوط حيوان مائي ينتمي الى فصيلة الرخويات له ثماني ارجل فيها محاجم ماصة يلتصق بها في فريسته . بعض انواع الاخطبوط يسمى " الحبير " مرجع اسمه إلى أنه يطلق من حوله مادة سوداء " كالحبر " تختلط بالماء فتحجبه عن الرؤية . وسيلة من وسائل التضليل . بالرغم من السواد القاتم الذي يخفي جسم الاخطبوط الصغير وتبدو اطراف ارجله الثمانية تضرب في كل اتجاه فيحسب الناظر اليه انه يرى ثمانية حيوانات " دودية " المظهر تتحرك منفصلة ومستقلة بعضها عن بعض .

ذكرني بالاخطبوط الواحد الخفي وارجله المتعددة الظاهرة، والضاربة في كل اتجاه ، مقال الاخ عبد الله بلال في ملف " الشورى " (العدد الثامن) .

قال الاخ عبد الله بلال تحت عنوان : " تحالف قوى الشعب العاملة ولماذا؟ " ، ان الحوار الذي دار حول تطوير صيغة الاتحاد الاشتراكي العربي قد كشف تيارات عديدة : " والكثير من هذه التيارات تستهدف ضرب صيغة التحالف بالمطالبة جهارا بتصفية تنظيم الاتحاد الاشتراكي العربي والدعوة الى تعدد الاحزاب " .

عددها فقال ، باختصار:

التيار الاول :

" يرى ان يتحول الاتحاد الاشتراكي الى حزب و منطق هؤلاء ان الاتحاد الاشتراكي العربي في شكله الراهن لا يمثل حزبا ولا مجموعة من الاحزاب وانه ينبغي في ممارسته العمل السياسي أن يسير كما يسير العالم باساليب حزبية ".

فيقول ابوذر :

تبدو هذه الدعوة عاطفة على الاتحاد الإشتراكي العربي فتقترح عليه صيغة اكثر انضباطا وفاعلية في العمل السياسي هي صيغة الحزب . غير ان وراء هذا العطف رغبة في تصفية الاتحاد الاشتراكي العربي من حيث هو صيغة تحالف قوى متعددة . اعنى أنه عندما يتحول الاتحاد الاشتراكي العربي الى حزب ينتهي التحالف وينفض الحلفاء ويبقى " الحزب " اداة للصراع ضد الذين كانوا يوما حلفاء متحالفين وعندما ينفض الحلف يسقط " ميثاقه " الذي التفت عليه القوى المتحالفة. ويسقط مع الميثاق الالتزام بكل ما جاء به وخاصة التحول الاشتراكي .

التيار الثاني :

" يرى تغيير اسم الاتحاد الاشتراكي العربي لان اسمه غير ذي مدلول ويطرح اسما بديلا عنه هو " التحالف الوطني المصري " .

فيقول ابوذر:

ان مقارنة الاسمين " الاتحاد الاشتراكي العربي " و " التحالف الوطني المصري " تكشف النوايا الخفية التي تحتج بالاسم كأنما الذي يعنيها هي العناوين . فالواقع ان " التحالف الوطني المصري " يبقى على التحالف ولكنه يحذف منه " العربي " و " الاشتراكي " وهي اسماء لمضامين مميزة لثورة ٢٣ يوليو . فكأن وراء الرغبة في تغيير الاسم نوايا مبيتة لتصفية ثورة ٢٣ يوليو في إتجاهها العربي عامة والاشتراكي خاصة .

التيار الثالث :

" يرى اصحابه الابقاء على الاتحاد الاشتراكي العربي بعد تحقيق شرط واحد هو الغاء نسبة الـ ٥٠٪ المخصصة كحد ادنى لتمثيل العمال والفلاحين " .

فيقول ابوذر:

لماذا العمال والفلاحون؟ لان عبد الناصر قد قال وهو يقدم الميثاق " فيه طبقة انداس عليها مئات السنين وفيه طبقة مغلوبة على امرها كانوا يعتبرونها سلعا انتاجية وهما العمال والفلاحين لازم تطلع وتاخد وضعها الطبيعي ... والا لن نستطيع ان نقضي على الاستغلال " . والاشتراكية هي نظام الغاء الاستغلال فكأن اصحاب هذا التيار يريدون – خفية- تصفية الاتجاه الى التحول الاشتراكي .

التيار الرابع :

" يرى الغاء الاتحاد الاشتراكي والعودة الى نظام احزاب ما قبل ثورة ٢٣ يوليو .

فيقول ابوذر :

ان العودة الى نظام الاحزاب التي كانت قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ هي عودة الى النظام الليبرالي . والنظام الليبرالي هو الشكل السياسي للنظام الراسمالي . فكأن هذا التيار يخفي نواياه في تسويد الحديث عن الديموقراطية ليعود الى الرأسمالية . غايته الخفية هي تصفية الاتجاه الى التحول الاشتراكي .

التيار الخامس :

" يرى الابقاء على الاتحاد الاشتراكي وابعاده عن النشاط السياسي وتحويله الى جهاز اداري للخدمات يمحو الامية في خمس سنوات مثلا " .

فيقول ابوذر :

ذلك لان القانون الاساسي للاتحاد الاشتراكي العربي قد اورد من بين اهداف الاتحاد الاشتراكي العربي هدفا يقول : " تحقيق الثورة الاشتراكية التي هي ثورة الشعب العامل " فان هذا التيار لا يضيف الى مهمات الاتحاد الاشتراكي العربي " محو الامية في خمس سنوات " بل يقدم له هذه المهمة في مقابل ان يتخلى عن هدفه الاصيل الذي هو انجاز التحول الاشتراكي.

التيار السادس:

يرى تصفية الاشتراكية.

فيقول ابوذر:

انتم الامناء مع انفسكم وان كنتم خائنين لمصالح الشعب . وجماع مصالح الشعب هو في النظام الاشتراكي .

التيار السابع :

يرى تصفية النظام كله.

فيقول ابوذر:

انهم الاعداء الشجعان . انهم يستحقون صرامة الردع ولكنهم يستحقون احترام الشجاعة. وهم بعد اهون ضررا من الاعداء المنافقين . وهم مثلهم يستهدفون من الحوار حول الاتحاد الاشتراكي العربي تصفية النظام كله، والنظام كله مصوغ تحت شعاره " حرية، وحدة، اشتراكية" فلا بأس عند هؤلاء من أن يخسروا الحرية والوحدة من اجل ألا يتم التحول الاشتراكي .

التيار الثامن :

يرى الابقاء على الاتحاد الاشتراكي العربي وتجريده من السلطة .

فيقول ابوذر:

ذلك لان القانون الاساسي للاتحاد الاشتراكي العربي الذي حدد له هدفا " تحقيق الثورة الاشتراكية التي هي ثورة الشعب العامل " منحه السلطة اللازمة لتحقيق هدفه فقال : " ان الاتحاد الاشتراكي العربي، وهو السلطة الشعبية، يقوم بالعمل القيادي والتوجيهي وبالرقابة التي يمارسها باسم الشعب بينما يقوم مجلس الامة، وهو سلطة الدولة العليا، ومعه المجالس النقابية والشعبية، بتنفيذ السياسة التي يرسمها الاتحاد الاشتراكي العربي ". فكأن غاية هذا التيار الثامن ان يسلب الاتحاد الاشتراكي العربي سلطة قيادة ورقابة الاجهزة المنوط بها تحقيق الثورة الاشتراكية .

من كل هذا يرى القراء ويرى الأخ عبد الله بلال ان ما اسماه تيارات متعددة افرد لكل منها فقرة خاصة انما هي أطراف ارجل الاخطبوط الكامن في جوف الماء الاسود الذي عكره بما افرزه من "حبر" ليختفي في ظلمته تضليلا . ونعلم أن القوى التي افرزت نفسها في الحوار حول تطوير الاتحاد الاشتراكي العربي تحت لافتات ديموقراطية او لا ديموقراطية ، حزبية او لا حزبية

، كانت تتصارع فعلا، بقسوة محدودة بما هو مباح ، حول قضية اساسية هي قضية التحول الاشتراكي. كانت المعركة الاصلية الخفية هي اشتراكية أو لا اشتراكية .

على ضوء هذا يستطيع القراء الذين تتبعوا الحوار ان يفهموا موقفين من الحوار مختلفين وان كانا متميزين بانتسابهما الى قوى اشتراكية .

الموقف الاول :

هو موقف الجماهير العريضة من الفلاحين والعمال والطلاب وبعض المثقفين الذين اشتركوا في الحوار تحت شعار " الناصرية " هؤلاء دافعوا بحرارة عن الاتحاد الاشتراكي العربي وقدموا مقترحات ايجابية لتطويره وكان وجه الغموض الظاهري في موقفهم كما رآه البعض انهم يدافعون عن تنظيم هم قاعدته التي لم تستطع- في الممارسة تحويله الى اداة فعالة لتحقيق ارادتهم . كان يبدو غريبا من الذين لم ينصفهم الاتحاد الاشتراكي العربي - في الممارسة - ان يدافعوا عنه . غير ان هذا الغموض الظاهر الذي بدا غريباً للبعض كان موقفا سليما وواقعيا وموضوعيا لأن تلك الجماهير العريضة كانت اوعى بواقعها الموضوعي من ناقديها السطحيين . لقد استطاع العمال والفلاحون والطلاب وبعض المثقفين ان يتبينوا ما وراء الصخب الدائر حول قضايا الديموقراطية . تبينوا ان المعركة الدائرة تحت لافتات ديموقراطية هي دائرة اصلا حول قضية الاشتراكية . ولقد كان يكفي لكشف هذه الحقيقة معرفة النوعيات التي هاجمت الاتحاد الاشتراكي العربي . انها- اغلبها- ينتمي الى الاقطاع والرأسمالية المضروبة من قبل ، خرجت من جحورها تناور ، وتنافق ، وتتمحك بالديموقراطية وهدفها الاساسي هو العودة الى النظام الرأسمالي وتصفية ما تم من انجازات التحول الاشتراكي .

الموقف الثاني .

هو موقف التيار التاسع ويستحق فقرة خاصة.

الرجل التاسعة:

قلنا ان للاخطبوط ثماني ارجل فقط . وليس له رجل تاسعة . ولكن الاخ عبد الله بلال قد لاحظ ان الاخطبوط السياسي الذي يحاول ان يلتف ويمتص المكاسب الشعبية في معركة تطوير الاتحاد الاشتراكي العربي رجلا تاسعة اسماها التيار التاسع ..

قال :

التيار التاسع :

وهذا التيار يبلور موقف ورأي اليسار ودوره في اطار التحالف. وينادي هذا التيار بأنه يمكن الاتحاد الاشتراكي العربي والقوى الاجتماعية الداخلة فيه من ان تعبر عن نفسها من خلال منابرها الخاصة وان يحتضن الاتحاد الاشتراكى العربي افكار واتجاهات جميع القوى المتحالفة وذلك بتنظيم الحوار فيما بينها ديموقراطيا مع تحديد اهم المصالح الخاصة بكل قوة اجتماعية وترتيب أولوياتها بحيث لا تتعارض مع المصالح الموحدة ذات الوزن القومي الشامل " .

" وينادي عناصر هذا التيار الماركسي بان اتاحة تعدد الاحزاب لا تعني ان الصراع الاجتماعي لا بد ان يتعرض لمسار دموي تشهد بذلك تجربة اغلب دول العالم وعراقة مصر كفيلة بدرء هذا الخطر. واذا احتاج الامر الى تعديل في الدستور فان التعديل ضروري لمواجهة تطوير الاتحاد الاشتراكي العربي ، ويكون العمل السياسي وحده هو اداة تجمع الاحزاب الوطنية".

نلاحظ :

(١) ان في التيار " اليساري " تيارين . الاول يقترح اجراءات تسمح بتنظيم الحوار الديموقراطي داخل الاتحاد الاشتراكي العربي مع قبول الاتحاد الاشتراكي العربي صيغة لتحالف قوى الشعب العاملة . وهذا التيار اليساري يرفض عودة الاحزاب وتنتمي اليه الجماهير العريضة التي دافعت عن الاتحاد الاشتراكي العربي وقدمت مقترحات ايجابية للممارسة الديموقراطية داخله. ولا ينتمي الماركسيون الى هذا التيار . انه - على وجه - تيار ناصري .

(٢) ان في التيار " اليساري " تيارا ثانيا هو التيار الماركسي . وكعادة الماركسيين في مواجهة كل مشكلة اجتماعية لم يرد فيها نص ينقسم هذا التيار الى ثلاث شعب :

أ- شعبة تتبنى التيار اليساري الناصري الذي اوردناه من قبل على أمل ان تتحول المنابر المتعددة داخل الاتحاد الاشتراكي العربي الى احزاب متعددة من خلال الممارسة.

ب- شعبة تتبنى تصفية الاتحاد الاشتراكي العربي والعودة الى الاحزاب وتقدم بدلا من صيغة التحالف في الاتحاد الاشتراكي العربي صيغة الجبهة بين الاحزاب الوطنية دون ان تقول كيف يمكن حمل الاحزاب على قبول الجبهة.

جـ- شعبة اخرى تقول بالنص : " ان الشيوعيين المصريين يقفون الى جانب الليبراليين المصريين في نضالهم ضد احتكار السلطة " . ويقولون بالنص : " ان شعار تحويل ٢٣ يوليو إلى نظام كما اعلن السادات لا يعني الا شيئا واحدا وهو ان جميع المصريين سواء الذين عزلوا سياسيا في الفترة السابقة (لأسباب سياسية او اجتماعية) او الذين لم يعزلوا متساوون في الحقوق السياسية والجميع يساهمون في بناء البلاد " . ويقولون بالنص : " ان نقطة البداية هي في التخلص من هذه الصيغ: الكفاية و ا لعدل- الـ ٥٠٪ عمال وفلاحين ... ا لخ . لانها عقبات حقيقية في سبيل اقامة حلف وطني ؟ " . ويقولون بالنص : " ان الثورة في بلادنا تمر بمرحلة الثورة الوطنية الديموقراطية التي تسمح بتطور ملائم للرأسمالية . ان مضمونها ما زال بورجوازيا بمعنى انها لن تقضي على رأس المال بل سيسمح له بالتطور والنمو بطريقة ملائمة " . ويقولون بالنص : " ان شعارات الاشتراكية سواء كانت ماركسية او ميثاقية لا تصلح اليوم لبلادنا " . ويقولون بالنص : " ان الحديث فقط عن القطاع العام دون القطاع الخاص هو شعار يساري المظهر لا يفعل شيئا سوى ان يفسد القطاع العام .. اننا نرى ان العقبة هي في عدم الاعتراف باهمية وضرورة تطور ونمو القطاع الخاص ،.. ثم ينادون بتصفية الاتحاد الاشتراكي العربي وعودة الاحزاب .

وهكذا يرى الاخ عبد الله بلال ، وقراء " الشورى " ان شعب التيار الماركسي ليست أصيلة، انها "زغب " او نتؤات على ارجل الاخطبوط الرجعي الكامن في الماء العكر ويصدق ما نعرفه من ان للاخطبوط ثماني ارجل فقط .

درس من الاغتراب الحضاري :

كان حديثنا عن " الاخطبوط " مقدمة يريد " العم " ابوذر ان يخلص منها الى درس تعلمه مبكرا ودفع ثمنه غاليا ، ويريد ان ينقله الى الجيل العربي الجديد من الشباب العربي . يقول هذا الدرس انه عندما يحتدم الصراع بين القوى الاجتماعية يدعى كل منها حقا ويقدم كل منها ادلة على حقه، وتتشابك الدعاوى والادلة ، ويثور غبار المعركة، يكون على كل حريص على ان يصل الى الموقف الصحيح ان يحصن نفسه ضد اغراء واستفزازات الصخب الظاهر ويحاول ان

يتبين في جوف الغبار الداكن جسم " الاخطبوط " عندئذ يعرف حقيقة المعركة فيستطيع ان يأخذ الموقف الصحيح . بغير هذا قد يجد حسنو النوايا انفسهم مقاتلين في صفوف اعدائهم ضد غاياتهم ، ولقد سقط في المعارك كثيرون شهداء حسن نواياهم بدون ان يفطنوا - قبل ان يسقطوا- الى انهم كانوا شهداء غبائهم .

اعتقد- بقدر فهمي للغة العربية واساليب صياغتها- ان هذا هو الدرس الذي اراد ان يطرحه الاستاذ مطاع صفدي في مقاله " العويص " عن " الاغتراب الحضاري " في العدد الثامن من الشورى . قال :

"... تظل ظاهرة التناقض الصدامي المادي (الصراع السياسي) هي الظاهرة الدالة عن باطن العملية الجدلية في اشتمالها الفنى ذاك (الصراع الاجتماعي) شرط الا يتحدد الوعي بتلك الظاهرة (يقصر انتباهه عليها) بل يستند اليها باعتبارها المجال الموضوعي لبروز عناصر الصراع ، على ان يتخطاها الى جدلية هذه العناصر (يتبين ما تحتها من عوامل الصراع الاجتماعي).

" ان الصراع اليومي الذي تستقطبه الفعاليات السياسية وحتى العسكرية ، والاستراتيجية يؤلف حقيقة الظاهرة الدالة (على وجود صراع اجتماعي) وقد اعتاد ان يشد الوعي الجمهوري (وعي الجماهير) الى منبهاته الحادة المستمرة . وبالمقابل كان هذا الوعي الجمهوري بدوره يؤلف ردا انفعاليا يثبت مثول المقاومة المباشرة ويعطيها حضورها المادي الواضح (يجسد المقاومة) ولكن عندما يتوقف الوعي عند حدودها الاولية (عندها يقف عند ادراك الصراع السياسي فقط) يحدد ذاته و يضعف مقدرته (يلغى ممارسته) .

" اذ بينما تخدم الظاهرة الدالة في مجال احداث الصدمة (تحرك الصراع) فانها تجتزىء الوعي (تضعفه) عن متابعة بقية مستويات النشاط الجدلي المتوغل في حركة الصيرورة الاجتماعية للحضارة المقاومة (الكامن في حركة الواقع الموضوعي المحرك للصراع) وتقلصه (تقصر حركة الوعي) فى اطار ردود الفعل الانية على ظاهرة الصراع الصدامي كما يجري في الساحة الجماهيرية التي تمسرح وتضم اقطاب الصراع (تظهر وتكشف القوى المتصارعة) دون ان تبنى فعالية اشتمال وتجاوز نحو الصيرورة الاعمق (دون ان تسمح بالتأثير الشامل في حركة الواقع الموضوعي) .

" هكذا تتقلص بالتالي حركة الوعي (تقل) و تخلق حولها ظروف اغتراب (انفصال) لا يلبث ان يفصلها، هذا بدوره (الاغتراب) عن اساسية الاغتراب الاشمل (رفض الواقع جملة) التى

تنبع هي عنه في الاصل (لان الواقع الموضوعى هو الذي تشير اليه الدالة الظاهرة الذي يؤدي تركيز الانتباه عليه الى عدم ادراك عوامل الصراع الكامنة في الواقع الشامل للدالة الظاهرة وغيرها)...

يكفي هذا فقد تعبت ولم استطع ان " اترجم " باقي الفقرة " بمستوى جدارتها التاريخية وليس منطقيتها العقلانية فحسب " .

هكذا يرى الجيل الجديد من الشباب العربي ان مطاع صفدي وابا ذر متفقان والله أعلم .

استدراك :

ان كل ما قيل فيما سبق هو عرض وتعليق وانضاج لما طرح على صفحات العدد الثامن من "الشورى " من حديث عن الحوار الذي دار حول تطوير الاتحاد الاشتراكي العربي وليس فيه رأي ابي ذر . قلنا في اعداد سابقة اننا لا نقدم هنا وجبات من عندنا بل نأخذ الوجبات المقدمة كما هي ونضعها على السفود لتنضج .

ولكئى اوضح لابنائي من الجيل العربي الجديد الذي يعنيني قبل كل قارىء لماذا استدرك هنا كما لو كنت اخفي شيئا لا اريد ان اقوله ، اقول :

ان لدينا ثلاث مؤسسات جماهيرية تحمل كل منها اسم " الاتحاد الاشتراكي العربي " :

١- المؤسسة الاولى :

هي الاتحاد الاشتراكي العربي كما جاء في الميثاق وفي قانونه الاساسي . تحالف من قوى الشعب العاملة : الفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية . يقوده حزب اشتراكي يقال له "طليعة الاشتراكيين" هذا " الاتحاد الاشتراكي العربي " مفهوم من حيث هو متكامل البنية. فلا بد لكل حلف من قيادة ، والقيادة هنا للحزب الاشتراكي " طليعة الاشتراكيين" .

٢- المؤسسة الثانية:

هي " الاتحاد الاشتراكي العربي " كما تحقق في الممارسة . تحالف من قوى الشعب العاملة: الفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية يقوده حزب يقال له : " طليعة الاشتراكيين" انتقت اعضاءه الرأسمالية الوطنية والبيروقراطية التابعة لها فحال الحزب - عن طريق احتكاره لقيادة المؤسسة الجماهيرية - دون ان يشترك الفلاحون والعمال والجنود والمثقفون في اتخاذ القرارات السياسية التي " تحقق الثورة الاشتراكية ". اصبح الفلاحون والعمال والجنود والمثقفون تابعين للرأسمالية الوطنية والبيروقراطية وليسوا حلفاء فانفض الحلف عمليا - في الممارسة- بالرغم من وثائقه الفكرية ونظامه الاسا سي .

٣- المؤسسة الثالثة:

هي الاتحاد الاشتراكي العربي كما هي حاليا . تحالف بين قوى الشعب العاملة : الفلاحين والعمال والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية ولكن بدون حزب قائد للتحالف ، لا اشتراكي ولا غير اشتراكي انه هنا تجمع جماهيري بدون قيادة من داخله ، فهو في مرحلة ركود في انتظار ما يسفر عنه الحوار حول تطويره .

الذي لم يفهمه ابوذر ابدا هو : على أية واحدة من هذه المؤسسات الجماهيرية التي تحمل اسما واحدا ولكنها مختلفة نوعيا كان ينصب الهجوم او يقوم الدفاع . كان المتحاورون يتحدثون لغة واحدة عن " الاتحاد الاشتراكي العربي " ولكن كل واحد منهم كان يعني مؤسسة بعينها من نماذج " الاتحاد الاشتراكي العربي " الثلاثة . وبعضهم كان يخلط بين المؤسسات جميعا فلا يفهم ابوذر شيئا مما يقولون.

كان ابوذر يرى ان المواقف لا ينبغي علميا ان تخرج عن واحد من اثنين :

١- الموقف الاول يستند الى ان " التطوير " يعني تغيير الواقع ليطابق النظرية ومؤداه تطوير "الاتحاد الاشتراكي العربي " الواقع (المؤسسة رقم ٣) ليطابق " الاتحاد الاشتراكي العربي " كما جاء في الميثاق والقانون الاساسي (المؤسسة رقم ١) على ضوء السلبيات التي اسفرت عنها المؤسسة رقم ٢..

٢- . الموقف الثاني يستند الى خطأ النظرية (الميثاق) . ومؤداه ليس تصفية الاتحاد الاشتراكي العربي فقط بل تصفية تحالف قوى الشعب العاملة ، وتصفية القطاع العام .. باختصار تصفية ثورة ٢٣ يوليو لحساب العودة الى ما قبل ١٩٥٢ او لحساب نظام بديل جديد .

غير ان الحوار اختلط والمواقف تعددت وتداخلت جهلا او نفاقا او تكتيكا يحسب نفسه ذكيا حتى اصبح للأخطبوط تسعة ارجل .

فاعتزل ابوذر الحوار، ربما قدوة بابي ذر رضى الله عنه الذي اعتزل او عزلوه في موضع قاحل خارج المدينة... حتى مات .

بالمناسبة:

بهذه المناسبة احيى الاخ حسن العلواني على مقاله القيم " الثورة الاجتماعية في فكر عبد الناصر" تعجبني المقالات المدروسة المدعومة بالارقام الرياضية . الارقام احسم دليلا من الكلمات لانها لا تحتمل التأويل . بعد استنفاد الارقام الحاسمة ، عاد الاخ حسن العلواني الى الحديث عن تحالف قوى الشعب العاملة وهم الفلاحون والعمال والمثقفون والجنود والرأسمالية الوطنية . وهو ذات الموضوع الذي تحدث عنه من قبل في سياق حديثه عن " تحالف قوى الشعب العاملة.. ولماذا؟ " الاخ عبد الله بلال .

انه موضوع نجده في كل حديث عن عبد الناصر او الناصرية .

نجد دفاعا عنه في كل دفاع عن عبد الناصر او الناصرية .

ونجد هجوما عليه في كل هجوم على عبد الناصر او الناصرية .

وهذا حق .

فتحالف قوى الشعب العاملة صيغة ابدعها الزعيم الراحل جمال عبد الناصر وضمنها الميثاق وقامت عليها المؤسسة الجماهيرية " الاتحاد الاشتراكي العربي " فهي لصيقة بالناصرية. من هنا فانها تستحق من كافة الشباب العربي، ومن الناصريين، كهولا وشيوخا ، العناية بها ودراستها وتعميق اصولها الفكرية وحدودها التطبيقية. وينتهز ابوذر هذه المناسبة ليقدم الى الشباب العربي من الجيل الجديد موضوعين للدراسة.

الاول: ان صيغة تحالف قوى الشعب العاملة، مثلها مثل كل تحالف، لا تقوم الا اذا تضمنت قيادة لهذا التحالف، تتجه به الى غايات محددة من قبل . هي التي يتم على اساسها التحالف. ولقد كان الميثاق الذي قدمه الزعيم الراحل جمال عبد الناصر هو " ميثاق " التحالف الذي يحدد غاية حركة نضال القوى المتحالفة . اما القيادة- في الميثاق- فكانت لطليعة الاشتراكيين وهو الاسم الذي اختير حينئذ للناصريين بقيادة جمال عبد الناصر .

السؤال هو : ما الرأي في هذه الصيغة (التحالف) اذا قامت على ميثاق " غير ناصري " او اذا كانت بقيادة غير الناصريين؟.. بصيغة اخرى : هل التحالف مقصود بذاته حتى في حالة الاغتراب (مع الاعتذار للاستاذ مطاع صفدي) عن مضمونه وغايته وبحيث يكون على الناصريين في كل الظروف ان يتمسكوا بالتحالف حتى لو كانت قيادته او غايته غير ناصرية؟..

الثاني : ان من مبررات صيغة تحالف قوى الشعب العاملة تجنيب القوى الشعبية مخاطر الصراع الاجتماعي وهذا مبرر بأن الصيغة قد وضعت في وقت كانت معارك التحرر على اشدها. ومعارك التحرر تفرض على جميع القوى الاجتماعية التحالف ضد العدو المشترك . من ناحية اخرى وضعت صيغة تحالف قوى الشعب العاملة بينما كان جمال عبد الناصر في السلطة ملتزما ومنفذا لمراحل التحول الاشتراكي ، وكانت تلك الصيغة بديلا عن " الصراع الطبقي " او وسيلة لتذويب الفروق بين الطبقات سلميا كما جاء في الميثاق .

السؤال هو : لو انتهت معارك التحرر، أو اذ لم يعد الاشتراكيون الناصريون في السلطة، وبالتالي لم يعد في امكانهم ، عن طريق التشريع القانوني والتطوير الاقتصادي ، تذويب الفروق بين الطبقات، هل يكون على الناصريين ان يبقوا ملتزمين بصيغة تحالف قوى الشعب العاملة وتجنب الصراع الاجتماعي (الطبقي) .

في سؤال واحد :

هل صيغة تحالف قوى الشعب العاملة من حيث هي أداة نضالية " مبدأ " ام استراتيجية ناصرية ام تكتيك مرحلي يشترط فيه ان يكون تحت قيادة الناصريين؟..

لكي تكون الاجابة اسهل، يرجو ابوذر الشباب العربي من الجيل الجديد الا يحصر نفسه- وهو يبحث عن الاجابة- في الاقطار التي تأخذ بهذه الصيغة حاليا وهي مصر العربية صاحبة

التجربة الناصرية وليبيا العربية الامتداد للثورة الناصرية ، بل تصوروا انفسكم تبحثون عن الاجابة في لبنان او السعودية او العراق او تونس مثلاً ...

ذلك لان ابا ذر يتمنى لكم دائما ان تروا كل المشكلات من موقف قومي تمتد رؤيته لتحيط بوطنكم العربي الكبير ، وفي الاجابة على هذين السؤالين تدريب لكم على تناول المشكلات على مستواها القومي .

والسلام عليكم ورحمة الله و بركاته .

القاهرة في نوفمبر ١٩٧٤

٨

المذهب المحظور :

في يوم ١٥ أبريل سنة ١٩٢٠ كان السيدان بارمنتر وبيراردييللي يسيران معا في مدينة " سوث بيزمترى " (ولاية ماسوشيت- الولايات المتحدة الامريكية) . الاول يحمل كمية من المال والثاني يحرسه. كان مالا يستحق حارسا خاصا . ثم قتلا . لم يترك القاتل (او القتلة) اثرا الا اختفاء المال وجثتين . في ٥ مايو ١٩٢٠ قبضت السلطات في الولايات المتحدة الاميركية على اثنين من الايطاليين المهاجرين اليها هما ساكو وفانزتي بتهمة قتل بامنتر وبيراردييللي . قدم المتهمان للمحاكمة امام قاض اسمه ويسترتاير . في ١٤ يوليو من العام ذاته قرر المحلفون ان المتهمين مذنبان فصدر الحكم باعدامهما . لم تكن المحاكمة عادلة على أي وجه . اهدر فيها القاضي والمحلفون كل الضمانات القانونية للاثبات والدفاع ، كان الامر يبدو كما لو كان ثمة سبب خفي يحاكم من اجله المتهمان وان المحاكمة بكل شكلياتها ليست سوى ستارا لاعدامهما . كان ذلك هو الواقع . كان المطلوب اعدام الايطاليين المهاجرين بصرف النظر عن علاقتهما بالقتيلين.

أحدث ذلك التدبير " القانوني " المفضوح لتغطية جريمة قتل متهمين بريئين ردة فعل جماهيرية (لجان ومظاهرات وندوات ونشرات وصحافة.. الخ) تدين المحاكمة وتطلب اعادتها . كان من اثارها تأجيل تنفيذ الحكم مرة بعد اخرى . الى ان جاء يوم ١٨ نوفمبر ١٩٢٥.

كان ذلك اليوم محددا لتنفيذ حكم الاعدام في شخص اخر اسمه سلتينومديروس جزاء ارتكابه جريمة قتل ثابتة. فلما ان حانت ساعة الاعدام استيقظ ضميره - كما يقولون- وفاجأ ممثلي السلطات المشرفين على تنفيذ الحكم فيه باعتراف مفصل يتضمن ويثبت انه هو الذي قتل المرحومين . بارمنتر وبيراردييللي بالاشتراك مع بقية عصابة جوموريللي احدى العصابات التي كانت تفرض بارادتها سيطرة اجرامية على المجتمع الامريكي في ذلك الوقت . اعنى من الجدود الاوائل لعصابة المافيا . ميراث الجرائم ما يزال متصلا في المجتمع الامريكي الرأسمالي . نهايته.

احيا ذلك الاعتراف امال المتهمين البريئين ودعم الحركة الجماهيرية التي تساندهما . فقد حصحص الحق (حصحص او حصص كلاهما صحيح يعني بان وظهر) فتقدما بطلب اعادة محاكمتهما على ضوء الادلة الجديدة التي ادلي بها سلتينومديروس . الطلب يتفق مع القانون . لكن القانون الامريكي كان (تعدل بعد ذلك) يخضع الاستجابة له لتقدير المحكمة العليا . رفضت المحكمة العليا اعادة المحاكمة . نفذ الاعدام فعلا في البريئين ساكو وفانزتي يوم ٩ ابريل ١٩٢٧. لم يكن اعدامهما نهاية القضية الا بالنسبة إليهما استمرت الحركة الجماهيرية، اكثر نشاطا، واوسع مجالا، واحكم تنظيما تريد ان تعاد المحاكمة لتبرئة " اسمى " البريئين . فشكلت لجان تحقيق قضائية، وتشريعية، وجماهيرية ، وصحفية ، لم تنته الا في ابريل ١٩٥٩ .

انتهت بانهاء الحديث في الموضوع حتى سنة ١٩٥٩ كانت اسباب اعدام البريئين اقوى من أية عدالة في المجتمع الامريكي . وبقيت القضية كتابا لا تخلو منه مكتبة احد من رجال القانون هناك .

و الآن،

ما السبب الذي قتل القضاء الامريكي من اجله ساكو و فانزتي؟

تقول الوثائق : " الفوضوية " . كانا يدينان بمذهب "الفوضوية ". المذهب الذي يلتقي على عدائه كل من الرأسماليين والشيوعيين وتحاربه كل الدول بدون استثناء وسخرت من اجل "

تشويهه " اجهزة الثقافة والاعلام والدعاية في العالم اجمع فاستقر في اذهان البشر، الا قلة قليلة ، انه مذهب العنف والتدمير والاغتيالات . مذهب الاجرام بكل مساوئه . لم تكن تلك الحملة العدائية " العالمية " ضد "الفوضوية " بدون أي مبرر . فالواقع انها بدأت في الفترة من ١٨٩٤ و ١٩٠١ وفيها حكمت ثلة من " الفوضويين " بالاعدام على سادي كارنو رئيس جمهورية فرنسا واليزابيث امبراطورة النمسا، وهمبرت الاول ملك ايطاليا ، ووليام ماكفيلي رئيس الولايات المتحدة الامريكية . غير ان تلك الحملة الارهابية التي وجهت ضد رؤساء الدول ، والتيار الارهابي في الحركة الفوضوية ذاتها ، انتهت تماما في اواخر العشرينات من هذا القرن . وبقي الاتهام قائما ضد " الفوضوية " و "الفوضويين " حتى هذا اليوم . مع ان المذهب اسسه وانتهى اليه وارسى فلسفته جماعة من قمم المعرفة الانسانية الذين لا ينكر احد عليهم اليوم تفوقهم الفكري واخلاصهم للانسانية .

زينون من بين الفلاسفة الاغريق . رابيليه وفينيلون وبرودون من بين المفكرين والفلاسفة الفرنسيين. وليام جولدوين من علماء الاجتماع في انجلترا . هيس وكارل جرون وماكس شتيرن ونيتشه في المانيا . ميكائيلي باكونين وبطرس كروبتكين وليو تلستوي في روسيا .. الخ .

ماذا يقول المذهب؟.. نرجع الى فيلسوفه الاكبر بيير جوزيف برودون ، الفرنسي . ولد عام ١٨٠٩ وتوفي عام ١٨٦٥. كان عامل مطبعة ثم مصحح تجارب الطباعة. ومن خلال قراءته ما يكتب لتصحيح اخطائه المطبعية اصبح واحدا من اكبر فلاسفة عصره واغزرهم انتاجا (الف عشرة مجلدات كبيرة في الفترة من ١٨٣٧ حتى ١٨٦٥ ، غير مئات الابحاث القصيرة التي كان يكتبها يوميا). ولما كان يصحح كل شيء فقدعرف شيئا من كل شيء وكتب في كل شيء تقريبا . وقامت بينه وبين كارل ماركس مناظرة طريفة تذكرنا بالمناظرة التي قامت بين الغزالي عندما الف كتابه "تهافت الفلاسفة " فرد عليه ابن رشد بكتابه " تهافت التهافت " . فقد الف برودون كتابا ضد الماركسية اسماه " فلسفة البؤس " فرد عليه كارل ماركس بكتاب اسماه " بؤس الفلسفة " المهم ان برودون يلخص جوهر مذهب " الفوضوية " في قوله :

" ان الجمهورية المثالية هي فوضى حقيقية ، انها ليست حرية خاضعة لنظام كما هي الحال في الملكية الدستورية ، وليست حرية مسجونة في نظام ، انها حرية مبرأة من جميع اصفادها وخرافاتها، واهوائها، ومغالطاتها، واستغلالها ، وسلطتها. انها حرية تبادلية وليست حرية محدودة. الحرية ليست بنت النظام بل امه " .

نعم كان برودون يقول :

" الحرية ليست بنت النظام ، هو الذي يخلقها على ما يريد بل " هي امه " التي تخلقه على ما تريد، وما تريده الحرية من النظام اولا وقبل كل شيء الا يكون على حسابها . الا يفترسها بعد ان تلده. كأولاد العقارب يتغذون بجثة امهم بعد ان يولدوا من شق في بطنها .

وما النظام كما كان يراه برودون ؟

انه الدولة، بدستورها، بجيوشها، بقوانينها، بلوائحها، بحكوماتها، بشرطتها، بمحاكمها، بسجونها، ضد هذا الجهاز الكريه كما وصفه نيتشه كان يقف برودون ويقف كل الفوضويين ، اتباع مذهب "الفوضوية " . بالمناسبة الفوضوية Anarchism من كلمتين اغريقيتين : An وتعني لا . و Arkhos وتعني حاكم ، ومعناها الحرفي " لا حكومية او لا دولية " . وقد جنت عليها الترجمة العربية التي تعني " لا نظام " كما جنت من قبل كلمة " الاشتراكية " على اصلها Socialism فظن الناس ان المذهب الاجتماعي العظيم " الاشتراكية " يعني مشاركة المشتاعين في الحياة فخلطوا بينها وبين الشيوعية.

ما البديل عن الدولة؟

في الاجابة على هذا السؤال يسقط المذهب " الفوضوي " في اختبار العلم ويكشف عن طبيعته المثالية الفاشلة. يبدأ الفوضويون بتقرير مثالي – ميتافيزيقي . يقولون : ان الانسان خير بطبعه- فارفعوا عنه قيود الدولة ونظامها وسيتصرف كل انسان على الوجه الذي يلائم بين حريته وحرية الآخرين عن طريق تبادل المنافع بينهما . ويصبح المجتمع مجموعات من الاسر تتعامل فيما بينها ، اسر ابوية . اسر زراعية . اسر تجارية . اسر صناعية.. ستنتج كل اسرة اقصى ما تستطيع من خدمات ومواد ، وتبادل فائض انتاجها بما يفيض لدى الاسر الاخرى ، وستبدع الجماهير تلقائيا خلال حركتها العفوية – بعيدا عن أي تنظيم – افضل نظام للتعاون والتبادل فيما بينهما بدون قهر. بدون دولة .

المقتل في مذهب الفوضوية هو ان الجماهير قد بدأت هكذا تاريخيا فاهتدت خلال حركتها العفوية الى ذلك الابداع الذي ينكره الفوضويون ويثورون عليه : النظام . الدولة. بصرف النظر عمن يستغل النظام وعمن يحكم بالدولة . فكأن الفوضوية ليست سوى ردة مثالية

الى مجتمع بائد فهي رجعية عاتية بالرغم من انها ليست ارهابية وبالرغم من اسماء الاعلام الكبار الذين اسسوها مذهبا من مذاهب " الاشتراكية " الخيالية .

ثم،

ان الشكوى من الدولة والقوانين شكوى قديمة، والدعوة الى تحطيمها وتحطيم قوانينها ليست حديثة، واذا كان المذهب الفوضوي هو اظهر المذاهب المعادية للدولة ، فان الشيوعية تبشر بالغاء الدولة والقوانين ولكن- وهذا هو الفارق بينها وبين الفوضوية - بعد مرحلة تاريخية تسود فيها دولة ديكتاتورية البروليتاريا . العبرة في كل دعوة ، وكل حركة، بما تستهدفه من خير البشر اولا ثم قابليتها لإن تؤدي الى ما تستهدفه ثانيا.

الثورة الشعبية في ليبيا :

قيل، وتردد، ان ما يحدث في ليبيا تحت شعار " الثورة الشعبية " حيث " كافة الاجراءات التي تتخذ لا يمكن الرجوع فيها الى نصوص قانونية قد لا تتفق مع ما هو واقع ، وانما تؤخذ الاجراءات حسب الحالة التي تقع تحقيقاً للتحول الثوري . وبمعنى اخر تعطيل كافة القوانين الرجعية التي تقيد حركة الجماهير في انطلاقتها لتحقيق اعلى معدلات النمو والتحول الثوري " وحيث لا يهم الاخ العقيد " ان تتحول الجماهير كلها الى قوة تحطم وتكسر حتى تبقى الجماهير في الساحة وحدها " وحيث " الجماهير تواصل زحفها من اجل الاستيلاء على السلطة . تمارس ارادتها على حريتها كي ترفع الى مراكز السلطة المختلفة العناصر المخلصة الكفؤة وكي تزيح الاخرى التي اثبتت التجربة عدم كفاءتها لسبب او لاخر... " الخ . قيل وتردد، حيث يحدث كل هذا الذي اقتطفناه من ملف "الشورى" (العدد التاسع) ان ما يحدث في ليبيا تحث شعار الثورة ما هو الا " فوضى "

فأردنا مما سبق ان يعرف الشباب العربي الناشيء من الجيل الجديد شيئا مختصرا عن الفوضى والفوضوية ليعرف على الاقل انها ليست " لا نظام "، بل هي مذهب للتنظيم الاجتماعي كل عيبه انه مثالي فاشل . ثم جاء ملف " الشورى " يعرض مقالين عن الثورة الشعبية احدهما بقلم الاخ تحسين عبد الحي والثاني بقلم الاخ اياد سعيد ثابت ليثبتا للقراء ان ما يجري في ليبيا

تحت شعار الثورة الثقافية هو ابعد ما يكون عن " الفوضى " " أو " الفوضوية " ولعله- ان كنت قد فهمت ما يجري - يجري على ما يناقض الفوضى والفوضوية .

دفاع عن الحرية :

يبدأ الاخ تحسين عبد الحي فيسلط الضوء على اكثرعقد الثورة الشعبية غموضا، نعني بها عدم المعرفة . عدم معرفة ما يجري في ليبيا تحت شعار " الثورة الشعبية " . فلأمر ما- ليس هنا موضع الحديث عنه- لا يعرف الشباب العربي كل ما يجرى في ليبيا معرفة كاملة وصحيحة. فينبه الاخ تحسين الى هذا فيقول : " في العربية الليبية لا تجدي النظرة من الخارج لما يدور على هذه الارض . وتبقى قضية المعايشة للتجربة شيئا هاما للحكم عليها " . ثم يقول : " نريد أن نقدم اجتهادا فكريا- اذا صح هذا التعبير- من خلال المعايشة والتأمل لما حدث ويحدث".

اجتهاد فكري فلا شأن للأخ تحسين بالممارسة

من خلال المعايشة فلا شأن للأخ تحسين بما يقال

من خلال التأمل فلا شأن للأخ تحسين بأية نظرية

حدث ويحدث فلا شأن للأخ تحسين بأي " حدث "

حريص، جد حريص، الاخ تحسين على ان يتحدث عن الثورة الشعبية بدون ان يكون مسئولا عنها او مسئولا فيها او مسئولا امامها .

ولكن حرص الاخ تحسين على لبس مسوح الحيدة من الحدث الكبير الذي تناوله لم يسعفه عندما تناول الموضوع فقدم الى قراء " الشورى " مقالا رصينا عميقا وواعيا ليس به عيب الا ان الحرص كان يعود اليه من حين الى حين فيقطع اوصاله ويحوله الى فقرات تقريرية تحتاج الى قراءة المقال أكثر من مرة لاكتشاف الخط الفكري المتسق الذي يربط بينها . هذا بالرغم من انه لم يكن حريصا حرصا كافيا وهو يعقد المقارنات " بنظم عربية اخرى " .

ماذا قال الاخ تحسين او ماذا كان يريد ان يقول :

اولا : ان الثورة الشعبية حركة تستهدف اولا واخيرا حرية الانسان . " الانسان العربي المعاصر ، الحر، المبدع " . ولكن كيف يكون الانسان حرا ومبدعا ؟. سأل الاخ تحسين واجاب : " في الحرية تتحدد كل قيمة الانسان ، فبالحرية يستطيع ان يبني ، وان يقهر التخلف ، ويقاتل ، ويتوحد، ويبني حضارته ويتحرر من عقدة الخوف والتخلف . وبالحرية فقط يكون الانسان انسانا وبغيرها لا يكون سوى جزءا من القطيع . ذلك القطيع البشري الذي يسوقه رعاته الى المستقبل الذي دائما ما يظل مجهولا ".

بعد ان أرسى الاخ تحسين عبد الحي هذه القاعدة ، ودعمها باجتهادات فكرية مقبولة، طبقها على "ما حدث ويحدث ، في ليبيا . فقال انه عرف عن طريق " المعايشة والتأمل " ان قد كانت في ليبيا " غيبة شبه كاملة للشعب واعتماد كامل على السلطة الثورية لتحقيق كل شيء . نمو غير طبيعي لقيادات الوسط العازلة بين القيادة الثورية والجماهير . تضخم الفكر السلوك المكتبي الذي اصبح عبئا على الواقع الشعبي . تخلف زراعي وصناعي . تواكل مستمر على دخل النفط . هروب من العمل في الاقاليم والمحافظات المختلفة . تكدس غير طبيعي في المدن " .

...

" اذن لا بد ان ننقد ذاتنا. لا بد ان نبحث في داخلنا عن الحقيقة الضائعة بين طيات نفوسنا لكي لا نتحول من ثوار لهم كثافة الواقع ووزنه الحقيقي الى ثوار بالكلمات والحروف الميتة..."

ولا يجوز الاحتجاج بما يقال دائما :

" ...ان الجماهير لم تصل بعد الى درجة الوعي لكي تنال حريتها ، ومن ثم لا بد من تعليمها اولا، ثم منحها ، الحرية ثانيا . وغاب عنهم جميعا ان الحرية تؤخذ ولا تمنح ..." .

وهذا ما يحدث بالثورة الشعبية .

".. في الثورة الشعبية تنطلق الجماهير بغير رهبة أو خوف من السلطة التي ما زالت تشكل عامل قهر نفسي ومعنوي عند الانسان العربي الفرد . تسقط وتصعد وتثبت حسب رؤياها وتصورها حتى لو كانت هذه الرؤيا قاصرة (يقصد الرؤية من الرأي او لعله يقصد الرؤيا من الاحلام) : فانها ستتدعم وتكون اكثر موضوعية مرة بعد اخرى . وعندما تتحسن الرؤيا وتتم عملية الصقل السياسي للكادر الوحدوي التقدمي من خلال الممارسة سيتحول فورا الى طاقة عمل

تبشيرية بمبادىء الحرية والاشتراكية والوحدة . ومن ثم يكون مؤهلا لتقديم النموذج الانساني الواعي. القادر. المنضبط . الحر. المؤمن بكل الاهداف والقيم والمثل العليا القومية - اذ ان هذه الثورة الشعبية واضحة المنطلقات . وضمن اهدافها المرحلية تأكيد هذه المنطلقات في عقل ووجدان وعمل الانسان في العربية الليبية " .

ويضاف من واقع معايشته وتأمله ما حدث ويحدث :

" في الثورة الشعبية شكلا ومضمونا يكون الخوف من الجماهير غير وارد على الاطلاق حيث ان هذه الجماهير مدعوة الى العمل والاستيلاء على السلطة لكي تخرج القرارات الثورية من القاعدة الى القمة ويكون دور القمة هو مجرد الموافقة والتقنين " .

ثم يختم مقاله بقوله :

" وفي رأينا انه كلما تم تصعيد جديد للثورة الشعبية كلما كان تعزيزا او تركيزا للمسيرة القومية الوحدوية في الوطن العربي " .

ثانيا : من خلال هذا الدفاع الحار عن الحرية والتأييد الكامل للثورة الشعبية والدعوة الى تصعيدها ينفي الاخ تحسين عبد الحي عن " الثورة الشعبية " في ليبيا تهمة الفوضوية . فهو يطرحها كحركة منضبطة بقيادة الثورة ، تواجه معطيات موضوعية تكبل حرية الانسان وتستهدف غايات محدودة لها. تلك الغايات كما فهمنا من مقال الاخ تحسين- ليست تغيير الواقع السياسي او الاقتصادي او الاجتماعي في ليبيا، ولكن تغيير الخوف من السلطة والزج بالجماهير في الممارسة لتنمي وعيها وتصقل خبرتها، فتتحول من مجرد جماهير عريضة متخلفة الوعي والحركة مكبوتة الرأي والهدف الى " كوادر " حرة عقائدية مناضلة من اجل غايات محددة يقول انها الحرية والاشتراكية والوحدة او دولة الوحدة الاشتراكية الديموقراطية.

المشكلة الاولى :

الحديث الآن الى قراء الشورى من الشباب العربي .

يقول ابو ذر:

ان صح ما قدمه الينا الاخ تحسين عبد الحي " من خلال المعايشة والتأمل لما حدث ويحدث ، في "العربية الليبية "، وهو اسم جميل من ابتكار الاخ تحسين ، فإن " الثورة الشعبية " تكون اول حركة في الوطن العربي واجهت المشكلة الاولى من مشكلات الممارسة الديموقراطية.

فالممارسة الديموقراطية تجري شكلا- في اية دولة- على الوجه الاتي مبتدئين من القمة الى القاع : أ- حكومة تنفرد باتخاذ القرارات السياسية أوالاقتصادية والاجتماعية تريد ان تكون قراراتها مطابقة لرأي الشعب او اغلبه .

ب- دستور يحدد للحكومة الاستفتاء لمعرفة رأي الشعب أو أغلبه اما مباشرة او عن طريق اختيار ممثلين له يعبرون عن رأيه .

جـ- قانون يحدد الاجراءات اللازمة لحصر اسماء المواطنين الذين " يعتد " برأيهم ودعوتهم الى الاستفتاء او الانتخاب وموعد الدعوة ومقار ابداء الرأي والحفاظ على سريته.

د- مواطنون يذهبون الى مقار ابداء الرأي سرا.

على ضوء حصيلة جمع وطرح الاراء يتعين الممثلون الذين ينقلون الى الحكومة رأي الشعب او اغلبه او يتعين الرأي الذي " يجب " على الحكومة ان تأخذ به وتحوله الى قوانين تلزم الاغلبية والاقلية معا. وحتى في نطاق تنفيذ تلك القوانين الجديدة تحال التفاصيل الى موظفين ولجان من الموظفين ليضعوها موضع التنفيذ .

كل هذا هو الديموقراطية، شكلا. الشكل الديموقراطي .

والعبرة فيه كله بأن يكون قائما على اساس صحيح موضوعيا . فأين هو الاساس من كل البناء الديموقراطي؟.. أنه اخونا الانسان العربي في لحظته المصيرية وهو يحاول جاهدا ان يبدي رأيه في مقار الاستفتاء او الانتخاب . انه هناك بعيدا عن أي تدخل . لا احد يملي عليه ارادته ولا احد يكتب له رأيه لانه لا يعرف القراءة مثلا . نفترض كل هذا افتراضا لنصل الى المشكلة الاولى .

ان أخانا وراء الستار يبدي رأيه ليس وحيدا .

انه يحمل فيه- ولا نقول معه- تراثه التاريخي . يحمل فقره الذي يشيع في نفسه الخوف من ان يكون رايه سببا في غضب الذين يتحكمون في رزقه . يحمل جهله الذي يشيع في نفسه الخوف من ان يكون في ستار السرية خرق تطل منه عين السلطة . يحمل تجربته وتجربة اجداده

التي علمته وعلمتهم ان الامور في دولته لا تتوقف ، وما توقفت قط على ما يقوله الناخبون وراء الستار. باختصار انه في وحدته وراء الستار لا يجد معه الا خوفه ، مما هو حقيقي ومما هو وهمي . انه انسان خائف . فيكون امام الخيار بين رأيين . رأي الانسان الذي يريد ان يحقق حريته ورأي الخائف الذي يخشى مزيدا من القيود .

الارجح انه سيختار الرأي الاخير . فيسفر الاستفتاء عن رأي الاغلبية الخائفة. اي الرأي الذي ارادته السلطة من وراء استفتائها . او يسفر الانتخاب عن ممثلين للخائفين ، لن يلبثوا ان يضيفوا اليه خوفهم من الهبوط الى القاع بعد ان صعدوا الى مقاعد البرلمانات واصبحوا قريبين من السلطة... الخ .

وهكذا...

في مجالس الوزراء وزراء خائفون على مقاعدهم .

في اللجان الحكومية موظفون خائفون على وظائفهم .

في اجهزة الاعلام مبشرون خائفون على منابرهم .

في الجامعات والمعاهد طلاب خائفون على مستقبلهم.

في المزارع فلاحون خائفون على زراعتهم .

في المصانع عمال خائفون على اجورهم .

في الاسر اباء وامهات خائفون على ابنائهم.

كل الجماهير خائفة. فممن تخاف؟

من الدولة. من القوانين . من اللوائح . من الموظفين . من الشرطة. من المحاكم . من السجون.

لماذا تخاف؟

لانها بقيت قرونا تواجه يوميا ما يخيف فعلا، فهي لا تستطيع، " بالشعارات وحدها " ان تتحرر من تراث قرون تحمله في ذاتها ، لا بد اذن من الممارسة . دفع الجماهير الى مواجهة ما

يخيفهم ومن يخيفهم لتتعلم انه ليس ثمة، ما يخيف او من يخيف.. لحل المشكلة الاولى في الممارسة الديموقراطية. وعندما تحل يستقيم البناء الديموقراطي وتنتهي مشكلة الاستبداد بالشعب تحت غطاء من الديموقراطية .

الثورة الشعبية كما يطرحها الاخ تحسين عبد الحي - اذن- حركة تاريخية لتصحيح تراث تاريخي .

وفي هذه الحدود تحتاج الى اكبر قدر من الشجاعة والصبر والتأييد .

ولكن...

الانسان والفعل الارادي:

... في كتاب جيد يحمل عنوان " محاورات فلسفية " (١٩٧٤) نقل لنا الدكتور مراد وهبه (ماركسي من مصر) حوارا امتد على مدى عام قضاه زائرا في الاتحاد السوفييتي مع الفلاسفة السوفييت المحدثين . على كل شاب عربي تقدمي ان يحصل على هذا الكتاب ويقرأه ليرى كيف يقترب المفكرون السوفييت اقترابا شديداً من منطلقات الفكر القومي التقدمي التي انكرها من قبل الماركسيون في الوطن العربي .

لاغراء الشباب العربي بقراءته سانقل اليهم فقرة طويلة من حوار دار بين الدكتور مراد وهبة وبين ثلاثة من علماء الاتحاد السوفييتي حول العلاقة بين الانسان وظروفه المادية . وكمدخل يسهل فهم الموضوع نقول ان الحوار كان منصبا على نقد نظريات العالم الروسي " بافلوف " الذي اراد ان يطبق المادية الجدلية على الفسيولوجيا فانتهى الى نظريته الشهيرة من ان كل ما يصدر عن الانسان هو " فعل منعكس شرطي " للواقع المادي المحيط به .

الذين نقدوا هذه النظرية هم العلماء السوفييت : برنشتين واوزاندري وانوخن . مات الاول والثاني اما الثالث فما يزال حيا...

قال الدكتور مراد وهبة في كتابه الجيد:

"... يذهب برنشتين في مؤلفاته على الاطلاق ، وفي تقريره - المقدم الى مؤتمر علم النفس في موسكو على التخصيص - الى ان مسالة الفعل المنعكس ليست سوى احد معطيات

المنهج الميكانيكي . وهو منهج اتبعه علماء الفسيولوجيا في القرن الماضي ، وهو يقوم على مبدأ السببية. يقول برنشتين في كتابه فسيولوجيا الحركة وفسيولوجيا النشاط الصادر عام ١٩٦٥ ان الفعل المنعكس الشرطي وغير الشرطي انما يستند الى مبدأ السببية في صورته القديمة وفي رأيه ان هذا الفهم للعلاقات السببية قد تجاوزته البيولوجيا السبرنطيقية ، بل ان هذا الفهم من شانه ان يعزل الفعل عن " الغاية " ذلك انه من المحتمل ان تكون الغاية هي سبب الفعل ، وبالتالي يأتي السبب متأخرا عن الفعل لا متقدما عليه. وهذا الاحتمال مردود الى الحياة ذاتها، اذ أن النشاط الحيوي لاي كائن ليس مجرد تكيف مع البيئة الخارجية بل هو مجاوزة لهذه البيئة تتحقق بفضل نموذج موضوع "مسبقا " وفق " حاجات" الكائن في المستقبل " .

" ويتفق اوزنادزي- مؤسس مدرسة جورجيا في علم النفس- مع برنشتين في التركيز على عامل "الحاجة" ولكنه يختلف معه في النظر الى طبيعة الحاجة . فاوزنادزي لا يقصد الحاجة البيولوجية- كما يذهب الى ذلك برنشتين- وانما يقصد المفهوم الانساني للحاجة ، ومن ثم فهو يركز على الجانب الاجتماعي، وليس على الجانب الفسيولوجي للظاهرة النفسية، فيضيف عامل " الموقف " الى عامل الحاجة، بمعنى ان اية ظاهرة نفسية انما هي محاولة لحل موقف معين (مشكلة) ومن هنا يدعو اوزنادزي الى " ايجابية " النشاط النفسي .

" اما انوخن فهو ينقد بافلوف بسبب التزامه بالمفهوم الديكارتي لعملية الانعكاس ولكنه يقرر ان بافلوف كان في امكانه مجاوزة هذا المفهوم حين اضاف ما يسميه " العامل المساعد " الى " الفعل المنعكس " وهذا العامل المساعد، في رأي انوخن لا يعني سوى " العلاقة المتبادلة بين السبب والنتيجة ، بيد ان بافلوف لم يفطن الى هذا المعنى ، ومن ثم فإنه لم يستطع مجاوزة المفهوم الديكارتي " .

" والنتيجة المحتومة من هذا النقد المعاصر لنظرية بافلوف ، في رأي بجمولوف (استاذ بقسم الفلسفة الاجنبية بكلية الفلسفة جامعة موسكو) ان الماركسية لم تعد تعميما للنظريات العلمية ، وهذا هو ما ينبغي ان يكون وهو لن يكون كذلك الا اذا التزمنا رؤية " النسبية " للنظريات العلمية " .. الى اخره .

هؤلاء قوم من الماركسيين يبحثون عن الجدل في الانسان إلى حد قول روزنتال رئيس قسم المادية الجدلية في معهد الفلسفة ، في كتابه " المنهج الديالكتيكي للماركسية " : (ان الفكر في حركته لاحظ انه يبدأ الحركة من الفكر) يصعد من العيني في الادراك (ادراك الواقع) الى

المجرد (الحل النظري) ومن المجرد الى العيني (تنفيذ الحل في الواقع) ولكن في هذه المرحلة يصعد على اساس جديد ارقى (من الواقع الذي ادركه اول الامر اما الاضافة التي ارتقى بها فلا يمكن ان تكون الا من خلق الفكر المجرد تحولت الى واقع جديد) " .

الاقواس من عند ابي ذر.

فيقول ابو ذر، بعد ان يحمد الله ، ما دام الامر كذلك فلا بد في ان نستفيد مما يقولون . (لا بأس فيه اي لا حرج . لا بأس به اي لا ضرر . كلاهما من البأس الذي يعني الخوف وليس من البأس الذي يعني الشجاعة والله اعلم) .

ان الثورة ، أية ثورة ، عمل انساني ارادي . قمة الاعمال الانسانية. ذروة الاعمال الارادية . ولكنها كغيرها من الاعمال الانسانية الارادية لا بد لها - حتى لا تكون مجرد فعل منعكس شرطي - من ان تحل مشكلة. تطور الواقع . لا بد لها من عناصر الجدل الثلاثة :

مشكلة- حل- عمل

فلنحلل " الثورة الشعبية " الى هذه العناصر الثلاثة لنعرف هل اوفت او لم توف بمتطلبات الحركة الجدلية. ومادتنا في التحليل ما نعرف مما قاله الاخ اياد سعيد ثابت في مقاله " الثورة الشعبية بين النظرية والممارسة ". ونرجو ان نصل من خلال التحليل الى اكمال الحديث الذي بدأ بلفظ "لكن... " في اخر الفقرة السابقة.

بعدا للخوف:

قال الاخ اياد سعيد ثابت في مقاله :

" وسط كل هذه الدوامة من الحماس والنقد والنقد المضاد والنقد المضاد للنقد المضاد، احاول انا- القادم من الشرق والمطرود من الفردوس كما يحلو لبعض الاخوة مداعبتي به- ان اجد لي مكانا متواضعا داخل اطار الصورة . انا ايضا لدى بعض المسائل اود ان اطرحها للنقاش . ولكن مهلا.. قبل ان اطرح نفسي داخل الصورة لا بد من قول كلمة مسبقة لا مناص من طرحها : الذي ارجوه هو الا يحاول اي انسان اسكاتي ومنعي من قول ما اريد قوله عن طريق المزايدة بشكل او بآخر..." .

اولا : هل الاخ اياد سعيد ثابت مطرود من الفردوس؟.

انه اذن مطرود من مكان بعيد عن الوطن العربي . فأني لا أعرف في الوطن العربي فردوسا ولا حتى حديقة مزهرة ؟

ثانيا : هل حاول احد ان يسكت الاخ اياد سعيد ثابت او غيره؟ هل ثمة من يحاول اسكات احد في بلد يقولون ان فيه " ثورة شعبية " ؟

هل يريد ان يخيف القراء؟

بعدا للخوف، وهيا الى " السفود ".. قال الاخ اياد ان حصيلة حواره مع المتشائمين والمتفائلين قد اسفرت عن : المتشائمون : يرون ان " الثورة الشعبية " :

أ- لم تحقق مساهمة الجماهير العريضة. نسبة المساهمين ضئيلة. تصدرتها قلة تستند الى مراكز قوى وتفرض ارهابها على الآخرين . وكانت المساهمة مظهرية " ديماجوجية " .

ب- تتحرك الثورة الشعبية مستندة الى اطارها القبلي والعشائري المتاح ، فعمقت الوضع القبلي والعشائري وعلاقاته بدل تحطيمها وان تستبدل بها علاقات ثورية جديدة .

جـ – ادت عملية تصعيد الثورة الشعبية الى طرد الكثير من العناصر الكفؤة المخلصة والمتجردة الا لمصلحة الثورة لان اخلاصها للمصلحة العامة جعلها- بالطبع- مكروهة من قبل الناس .

د- ان الثورة تفقد عن طريق الثورة الشعبية " كوادرها " التي تمثل قنوات اتصالها بالجماهير لتحل محلها عناصر رجعية معادية للثورة لن تلبث ان تعزل القيادة وقد يؤدي هذا- لا قدر الله - الى محاصرتها .

هـ- ما تكاد القيادات الجديدة تكسب من الخبرة والدراية ما يجعلها قادرة على العطاء الايجابي حتى تأتي الثورة الشعبية فتنتزعها من مكانها .

المتفائلون : يرون ان الثورة الشعبية :

أ- مكنت الجماهير فعلا من ان تشارك بارادتها الحرة في صنع حاضرها ومستقبلها .

ب- حررت الجماهير من الخوف من السلطة.

جـ- فرزت عديدا من الكوادر الشابة المخلصة التي ما كان بالامكان اكتشاف وجودها عن غير هذا الطريق .

د- دعم المشاركة الايجابية من قبل الجماهير سوف يزول بمرور الايام .

الرأي الثالث : يقوله الاخ اياد سعيد ثابت. الغاية من الثورة الشعبية.

أ- تدريب الجماهير على ممارسة مسئولياتها والمساهمة في القضاء على سلبيتها.

ب- العمل على زيادة التفاف الجماهير حول الثورة وقيادتها.

جـ- تقديم الثورة الى الصديق والعدو بشكل واضح وصريح ليرى الى أي مدى تمارس الجماهير ارادتها بشكل ديموقراطي ثوري خلاق .

اما عن السلبيات، الموجودة، فمرجعها الى ان " قيادة الثورة لم تضع- لحد الان- الخطط العلمية الكفيلة بالقضاء على العلاقات الاجتماعية والاقتصادية المتخلفة " التي تدور في اطارها الثورة الشعبية. لم تحدد القيادة : " لمن جاءت الثورة ؟ ولماذا؟.. ثم بدأ الاخ اياد في طرح خيارات : اذا كانت الثورة تريد كذا فعليها ان تفعل كيت . واذ كانت تريد كيت فعليها ان تفعل كذا .. ولم يقطع الا بالاهداف الثلاثة التي قالها من قبل . ادركها في لحظة الهام وهو يتأمل زحف الجماهير تحت اشراف الاخ القذافي على شاشه "التلفزيون" الصغيرة .. هكذا قال .

هذه هي خلاصة " الثورة الشعبية " كما عرفناها من معايشة وتأمل الاخ تحسين عبد الحي، ومشاهدة وحوار الاخ اياد سعيد ثابت ..

ولو اردنا ان نعيد ترتيب كل ما عرفناه وتوزيعه على العناصر الثلاثة للحركة الجدلية المشكلة- الحل- العمل . لوجدنا :

اولا : المشكلة :

مسلمة . في ليبيا ركود شعبي وسلبية جماهيرية وتخلف في الممارسة ادى الى تسلط الدولة واجهزتها البيروقراطية على الجماهير وقيامها حاجزا بين القيادة والشعب .

ثانيا : الحل :

تثوير الجماهير ودفعها الى مواجهة المتسلطين عليها لتتعلم الايجابية وتتدرب على الممارسة السياسية وتتحرر من الخوف فتتحرر من التسلط والاستبداد . وهذا بدأ اعلانه في زوّاره وبدأت ممارسته وما تزال .

ثالثا: العمل:

وهو مجموع الخطط التنفيذية التي يتم بمقتضاها تحويل الحل النظري إلى واقع من خلال تقسيم الحل الى مراحل وتقسيم كل مرحلة الى مهمات جزئية ومتابعة التنفيذ في اجزائه وفي مراحله الى ان يؤدي الى غايته فتحل المشكلة .

كل الانتقادات التي وجهت الى الثورة الشعبية ، وجل المخاطر الكامنة فيها ، تتصل بهذا العنصر الثالث، عنصر تحويل فكرة " تثوير " الجماهير الى انجاز متحقق في جماهير اصبحت من خلال الممارسة جماهير ثورية فعلا . اعلنت الثورة الشعبية ، الحل ، بدون خطة تنفيذ . بدون معرفة متى تبدأ الثورة ومتى تنتهي بدون معرفة المهمات الثورية على وجه التحديد ومواقعها على وجه التعيين ومضامينها بغير غموض . بدون تعيين المنفذ المسئول لكل مهمة في كل موقع . وبدون جهاز متابعة يتعرف خلال الممارسة على معوقات الحل ويتغلب عليها بدون قيادة . اعني بدون تنظيم ثوري يخطط وينفذ ويراقب ويتابع عملية تثوير الجماهير . اعني بدون حزب .

" في الثورة الشعبية " اختلط السبب بالغاية عندما غاب الاسلوب . كان السبب " حاجة " الجماهير الى " التثوير ". وكانت الغاية " تثوير " الجماهير فعلا . فلما غاب الاسلوب المنظم لعملية الحل الجدلي اصبح على الجماهير- المفترض انها غير ثورية اصلا- ان تثور نفسها. مع انها لو كانت قادرة على تثوير نفسها لما وجدت مشكلة اصلا ولما قام سبب الثورة الشعبية . إن مثل ما حدث ويحدث كمثل من يقول للمرضى هيا اشفوا انفسكم بعيدا عن تدخل الاطباء . والاطباء الاخصائيون في علاج الامراض الإجتماعية ، هم الكوادر الثورية المدربة المنظمة القادرة وحدها على ان تفجر ثورة وتقودها وتنتهي بها الى غايتها حتى لو كان موضوع الثورة هو تخلف الجماهير ذاتها . الحزب الثوري هو اداة الثورة ، اية ثورة .

لماذا كان الاخ تحسين عبد الحي حريصاً فلم يقل هذا ، ولماذا لم يقله الاخ اياد سعيد ثابت مع انه لم يكن حريصا ؟ لست ادري .

فليقلها اذن ابو ذر :

ما لم تغير ثورة الفاتح من سبتمبر موقعها غير الواقعي من حزب الثورة ، ولا اقول الاحزاب المعادية للثورة ، فلن تقترب من غايتها الا بقدر ما تسمح به طاقة اعضاء مجلس قيادة الثورة وهي محدودة . واقول غير واقعي لان مجلس قيادة الثورة جماعة منظمة وان كانت محدودة العدد ، ملتقية فكريا، تحت قيادة الاخ معمر القذافي فهم - ارادو أم لم يريدوا- حزب لا ينقصه الا الالتحام بالكوادر والتحام الكوادر به التحاما عضويا منظما ديموقراطيا .

والسلام على من اتبع الهدى .

القاهرة في ١٤ ديسمبر ١٩٧٤

٩

شكوى الى الله

الهي،

اني اشكو اليك وحدك ما تعلمه.

اني اشكو اليك وحدك لاني اؤمن بالا اله الا الله . لا في الارض ولا في السماء . وبأن كل المتألهين في الأرض جاهلون . جاهلون بخضوعهم - مثل كل البشر الاخرين - لنواميسك التي لا تتبدل. والشكوى الى الجاهلين جهالة. ثم ان الجاهلين والجهلة لا ينفعون احدا. ثم اني أشكو اليك لأن الفلاحين الفقراء الذين اقتطعوا مما لا يكاد يكفيهم ما كفاني ، الاميين الذين جاهدوا سنين طويلة ليعلمونى، ذوى الكبرياء التي حملوها في دمائهم ميراثا عن امتهم العظيمة ، قد ارضعوني كبرياءهم واوصوني بالا اقبل المذلة لنفسي او لغيري ثم قالوا لي : " ان الشكوى لغير الله مذلة " . فلست اشكو الا اليك وحدك .

واشكو اليك ما تعلمه.

لاني احاول منذ امد بعيد- قدر جهدي- ان اتأدب في الحديث بأدب قرآنك .

قلت في كتابك الكريم : " وما تلك بيمينك يا موسى ". سبحانك انك تسأل عما تعلم ولست في حاجة الى جواب . فاجاب موسى عليه السلام : " قال هي عصاى اتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى ، وكان موسى عليه السلام يعرف انك تعلم انها عصاه وانه يتوكأ عليها وانه يهش بها على غنمه وتعلم مآربه الاخرى . فقال بعض الذين تصدوا لتفسير اياتك البينات (الكلام البين هو الكلام الواضح الذي لا يحتاج الى تفسير) ان كل ذلك كان رغبة من موسى في ان يطيل الحديث اليك ليمد من نعيم مخاطبتك اياه . اطال جوابه ثم اخفى مآربه لتسأله عنها فيطول الحديث مرة اخرى . مولاي ، اني غير مقتنع بما يقولون . انه ان يصلح تفسيرا لجواب موسى لا يصلح تفسيرا لسؤالك عما تعلم . ثم اعوذ بك من ان يتهم رسولك موسى عليه السلام باستدراجك- سبحانك تعاليت علوا كبيرا- الى الحديث ولو من اجل نعيم مخاطبتك . واحسب، يا مولاي ، أن السؤال لم يكن رغبة في اكمال معرفة ناقصة فانت العليم . وان الجواب لم يكن اخبارا بما يعرف المجيب من امره غير ما يعرف السائل . حاشى لموسى ان تذهب به الظنون الى مايتجاوز الايمان بحقيقة موضعه من خالقه . واحسب، يا مولاي، ان الصيغة كلها لم تكن سؤالا وجوابا على الوجه الذي نعرفه، نحن البشر، من صيغ الجدل فيما بيننا، بل كانت خطابا الى البشرية كلها لا يسأل ولا يجيب بل يتحدث اليها في صيغة بيانية معجزة . الم يرد السؤال والجواب كلاهما في نطاق رسالتك الى البشرية بعد موسى بالاف السنين .. بلى...

والله اعلم .

هكذا اتصور، يا الهي انني اذ اشكو اليك " اخاطب الاخرين . ليست البشرية كلها بل تلك الامة العربية التي احمل همومها ولا املك لها الا الكلمات . تلك الامة التي يتحدث الناس فيها كثيرا عن الايمان بك، ويرتلون قرآنك ويجودونه ويحولونه من مصدر للايمان الى نغم والحان . وفي هذا يتبارون . ويأخذون مما يحتاجه الناس للابقاء على حياتهم وستر اجسادهم ليزخرفوا به مساجدهم، يوفون بالنذور ويحجبون الزكاة ويحج القادرون منهم وغير القادرين الى بيتك ثم ينسون- يا الهي- ان يطيعوك فيما قلت فامرت، وان يعبدوك بان يحققوا في انفسهم قولك : " كنتم خير امة اخرجت للناس " ولا ينتهجون الى وعدك - ووعدك الحق- منهجك الذي ابنته حين قلت : " لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ".

اني واحد ، يا الهي، من الذين يعبدونك ، خير عبادة ، بأن يحاولوا انفاذ كلماتك بأن تكون امتنا خير امة اخرجت للناس ولست املك الا الكلمات فاستغفرك ثم اشكو أليك وحدك ما تعلمه . وعسى ان يفطن الذين اعنيهم بشكواى الى ما اقول .

المسألة:

امرتنا، يا الهي، بان نوفي بالعهود والعقود. وقد تعاهدت وتعاقدت مع عبدك جمعة المهدي الفزاني بان اكتب بابا ثابتا في مجلة " الشورى " عنوانه " على السفود " . واستعرت في توقيعه اسم عبدك الذي رضيت عنه الامام ابوذر الغفاري . وانك لتعلم يا مولاي ما ابذل من جهد وفاء بما تعاهدت وتعاقدت ، وانه جهد يرهقني حتى إكاد اكف عن الكتابة فلا يردني اليها الا ما استمده من قوة الولاء لتلك الامة التي كرمتها في كتابك الكريم .

هكذا بدأت، يا الهي، اقرأ العدد العاشر من " الشورى " واعيد قراءته ثم اهضم ما قرأت وأتمثله. واعاني في هذا ما لا يعلمه الا انت . متاعب التحرر من ذاتي لا تلبس ذات كل كاتب . اهبط واصعد الى مستواه . انظر نظرته لعلي ارى رؤيته فاكتب عنه منصفا لا محاكما . ثم اغادر "الشورى " لاجول في ابواب المعرفة . انتقي من طرائف علومها ما يحبب الشباب في القراءة وينمي معرفتهم . واصوغه ثم ادسه فيما صاغه الاخرون حتى اخفف على القراء جفاف كلمات كتاب " الشورى " واخفف على كتاب الشورى جفاف كلمات ابي ذر . كل هذا - يا الهي- لمجرد ان اكون صلة بين اطراف الحديث المنشور لا طرفا اصيلاً فيه .

على هذا الوجه قرأت ، يا الهي، بمعونتك واحمدك ، مقالات :

١- " الناصرية واستمرارية الثورة " بقلم اياد سعيد ثابت .

٢- " عبد الناصر والتنظيم القومي " بقلم عبد الله بلال .

٣- " الناصرية ماذا تعني " بقلم صلاح زكي.

٤- " منجزات ناصرية.. السد العالي " بقلم محمد عودة.

٥- " عبد الناصر والصهيونية " بقلم عودة بطرس عودة .

٦- " من فيصل الاول الى عبد الناصر " عرض تحسين عبد الحي .

كل هذا في عدد واحد . وهذا شيء عظيم . ان العدد العاشر من " الشورى " قد صدر في الشهر الذي في مثله ولد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر . ولقد بذل جمال عبد الناصر من أجل أمته ما يستحق من أجله أن تحتفي أمته بذكرى ميلاده . انه وفاء والوفاء عظيم .

ولكنني، يا الهي، كنت اتمنى لكتاب " الشورى " واتوقع منهم ان يقولوا في ذكرى مولد عبد الناصر غير ما قالوا . ان ما قيل قد احال ذكرى قائد مناضل الى حفل تأبين تذكر فيه محاسن الموتى " اعلانا " عن وفاء الاحياء .

ان الذي قيل شهادة على ان الذين قالوه كانوا يعرفون عبد الناصر او يحبونه او يؤمنون بفكره . انهم ، يا الهي، ياعالم النوايا ، يتحدثون في ذكرى ميلاد عبد الناصر عن انفسهم ويعرضونها او يستعرضونها من خلال حديثهم عن الرجل الكبير الذي غاب .

الهي،

لقد شئت، ولا راد لمشيئتك ، ان تسترد من امتنا فجأة ، الرجل الذي قاد مسيرتها التحررية. ولقد كان عبدك جمال عبد الناصر ملء سمع امته وبصرها . ولقد توفيته بعد ان ترك بصماته على حياة امته. وخلف في كل ركن فيها ما تحمل هي مسئولية الحفاظ عليه وتطويره . ومنذ ان توفيته أصبح ما خلفه محل صراع بين الناس . ومن الناس ، يا مولاي ، من يستعملون الكلمات سلاحا قاطعا في الصراع . منهم امثال كتاب " الشورى " من يصارعون بالكلمات من اجل الحفاظ على ما خلف عبد الناصر من منجزات تقدمية . ومنهم - امثال كتاب اخبار اليوم - من يريدون ان يهيلوا عليها التراب والملايين- يا مولاي- من شباب هذه الامة يحاولون استلهام الرأي من تراث عبد الناصر ويسألون انفسهم قبل كل رأي : ترى ماذا كان يفعل عبد الناصر لو كان حيا ؟

ماذا كان يفعل عبد الناصر لو امتدت به الحياة فشهد الوفاق السوفييتي الامريكي وتطوراته، والازمة الاقتصادية في العالم الراسمالي ومضاعفاتها ، وحرب اكتوبر ونتائجها العسكرية والسياسية، وتضحيات الشعب العربي وثراء الحكام العرب ، واباحة جنوب لبنان ، وجنيف، والتسوية السلمية، والانفتاح الاقتصادي ، وازمة القطاع العام ، وبعث القطاع الخاص ، وتطوير الاتحاد الاشتراكي العربي، ومشكلة المنابر والاحزاب .. الى اخره الى اخره .

كنت اتمنى واتوقع يا الهي ، ان يتبارى كتاب "الشورى" (مجلة الفكر القومي التقدمي كما تقول) في الاجابة على هذه الاسئلة او بعضها او اكثر منها بمناسبة ذكرى مولد القائد الغائب . أن يتحدثوا عن عبد الناصر المستقبل المتجسد في منجزاته التقدمية بدلا من ، او بالاضافة الى، عبد الناصر الماضي الذي عرفوه واحبوه .

كنت اتمنى واتوقع ، يا الهي، ان يتحدثوا من موقف الوفاء له عن مواقع النضال من اجل اكمال مسيرته. ان يتحدثوا عن كيفية بناء التاريخ على هدى تراث عبد الناصر بدلا من، او بالاضافة الى، الحديث عن تاريخ تراث عبد الناصر .

لم يفعلوا، يا الهي، فتألمت.

تألمت لانني تذكرت بمرارة الاساليب والمسالك التي حالت دون ان تستفيد الامة العربية بكل ما كان القائد الكبير قادرا على ادائه الى ان فقدته فجأة فانكفأت تبكي أبنها الغائب ، لا حزنا عليه فقط ، بل وندما على فرصة تاريخية ولت بدون ان تنجز امة عظيمة كل ما كانت قادرة على انجازه تحت قيادة قائد عظيم . وتألمت من ريح المخاطر التي حركتها مقالات كتاب " الشورى " (مجلة الفكر القومي التقدمي كما تقول) . مخاطر الانتباه الى عبد الناصر الذات بدلاً من عبد الناصر الموضوع . مع انك، يا الهي، قد توفيت عبد الناصر الذات والحقته بذمتك ، وابقيت لنا عبد الناصر الموضوع وفي ذمتنا تخليده . ونحن نخلده بالحفاظ على ما انجز وتطويره . نخلده حرية في مزيد من الحرية .

نخلده وحدة في مزيد من الوحدة . نخلده اشتراكية في مزيد من الاشتراكية . نخلده قبل كل شيء وفوق كل شيء مقاتلا شجاعا ضد اعداء امته . نعم، يا مولاي ، انت تعلم انك خلقت عبدك جمال عبد الناصر مقاتلا شجاعا قبل كل شيء وبعد كل شيء .

ولما لم اقرأ في " الشورى، يا الهي، كلمة عما كان يمكن ان يفعله عبد الناصر المقاتل لو امتدت به الحياة الى ان بلغه نبأ الانذار الامريكي بغزو الوطن العربي حيث تكون منابع البترول ، زاد ألمي حتى كدت ابكي من جديد على عبد الناصر . ذلك لاني اعرف ، يا مولاي ، انه لو كان حيا لما بلغت الجرأة بالولايات المتحدة حد التهديد الصريح بالغزو المسلح . ولو فعلت لكان عبد الناصر قد عبأ الجماهير العربية العريضة ، من المحيط الى الخليج ، من اجل الدفاع عن امته، واخرس كل صوت يعلو على صوت المعركة. ذلك هو عبد الناصر الذي كنت اتمنى واتوقع من كتاب "الشورى" ان يجسدوه ، في ذكرى ميلاده ، نفيراً للقتال .. كنت اتمنى واتوقع ان يقول

واحد منهم ان الوفاء لعبد الناصر اليوم لا يمكن ان يكون اقل من دعوة الشباب العربي في كل قطر من اقطاره الى الالتحام في كتائب وتدريبها، وتسليحها ، لمقاومة الغزو الامريكي ..

ولكن احدا منهم، يا الهي، لم يقل ما يجب ان يقال..

لأن التركيز على الذات لتغطية الهروب من مواجهة متاعب النضال من اجل الموضوع ، ما يزال، يا الهي وباء يقوم حائلا دون ان تبلغ امتنا المكان الذي رشحتها له.

فماذا اقول انا او ماذا يقول ابوذر؟

كنت يا الهي في مشكلة مؤلمة .

ان كل القوى التي تريد ان تصفى منجزات عبد الناصر التقدمية تهاجم عبد الناصر ذاته . فالدفاع عن ذات عبد الناصر هو دفع للمعتدين على منجزاته في " الساحة " الذاتية التي اختاروها لهجومهم. وهو واجب . ولكن اخشى ، يا مولاي ، ان يكون اختيار عبد الناصر الذات ساحة للصراع استدارجا للقوى القومية التقدمية بصرف انتباهها عن حقيقة ما يدور حوله الصراع فما ان تنتصر في معركة تقييم الماضي حتى تفاجأ بانها قد فقدت المستقبل .

لا بد، اذن، من التنبيه الى المخاطر التي لم ينتبه اليها كتاب " الشورى " .

وكنت ابحث عن الاسلوب المناسب فخطر لي اسلوب غريب .

الوعي المفقود :

خطر لي يا الهي ان يكون تنبيهي من خلال التعليق على ما اقتطفته " الشورى " من كتاب محمد عودة " الوعي المفقود ". وهو كتاب قال عنه مؤلفه : " ليس هذا الكتاب ردا على توفيق الحكيم ولا تحيزا لجمال عبد الناصر ولكنه دفاع عن الشرف السياسي والثقافي لمصر " . ومحمد عودة كما خلقته يا مولاي ، لم يتغير . انه واحد من القلائل الذين احتفظوا بعادة استعمال ارجلهم ، وبطراز ملابسهم ، وبمستوى معيشتهم ، وبمضمون افكارهم ، في حياة عبد الناصر وبعد وفاة عبد الناصر، وفي كل الظروف . هذا النوع النادر من عبيدك يستحقون الاحترام . ولكن احترام الاشخاص لا يعني التسليم بما يقولون . ولقد كانت لي على ما كتب محمد عودة ملاحظات سمعها مني قبل ان ينشر ما كتب . قلت له بعد ان رددت اليه كتابه الذي شرفني

بقراءته قبل نشره : انت تحاور توفيق الحكيم من موقع الدفاع عن عبد الناصر . المضمون صحيح والاسلوب خاطىء . توفيق الحكيم ومن وراءه لا يبحثون عن الحقيقة فهم يعرفونها ، انهم يشهرون بها من موقف مضاد لها يستهدف اهدارها فلا تدافع بل هاجم لا تقل " ان هذا الكتاب ليس ردا على توفيق الحكيم " . بل قل " ان هذا الكتاب ردع لتوفيق الحكيم ". ولا تقل " ان هذا الكتاب ليس تحيزا لجمال عبد الناصر، بل قل " انه تحيز لعبد الناصر ضد المتحيزين ضده فإن توفيق الحكيم ومن وراءه متحيزون . فلا تكن ملاكا وانت تتعامل مع الشياطين ".

قال : انك عنيف .

قلت : لاني لست مثاليا..

وافترقنا..

منذ ذلك اللقاء ، يا الهي، ولا يكاد يكون لمثقفي العرب قضية الا قضية توفيق الحكيم . حتى ان مجلة " الطليعة " القاهرية قد جمعت فريقا من المثقفين بقيادة لطفى الخولي ليحاوروا توفيق الحكيم. لماذا؟.. انه وباء التركيز على الذات دون الموضوع الذي يجتاح مثقفي امتنا العربية. يقولون ان اليمين يحاول ان يكسب توفيق الحكيم ونحن نحاول ان نكسبه لليسار . فليكن فليكن لأيكما ما اهميته؟.. يقولون انه فنان كبير . على اعيننا ورؤوسنا ثم ماذا؟.. ان كل ما نعرفه موضوعيا ان في مصر العربية ثلاثين مليونا من الفلاحين وخمسة ملايين من العاملين والفقراء والكادحين لم يسمعوا او لم يقرأوا شيئا للسيد توفيق الحكيم وبالتالي لا يهمهم اين يكون موقعه من اليسار او اليمين . اما الذين يقرأون ويتابعون فقد اسقطوا توفيق الحكيم الفنان ذا البرج العاجي يوم ان خان قضيتهم فدعا الى الاعتراف باسرائيل .

فاردت، يا مولاي ، ان انبه الى مخاطر التركيز على الذات بان اعبر عن رأي قديم في توفيق الحكيم . وهو رأي غريب. دلالته ان قد تتلف ذات الفنان تلفا جسيما بينما يبقى قادرا على الخلق الفني، فان تجاوزه الى أي مجال اخر من مجالات الفكر او السلوك بان تلفه بيانا فاضحا. عرفت هذا من دراستي لتاريخ الفنان الخالد فان جوخ الهولندي . كان فان جوخ قد فقد قواه العقلية واودع فعلا في مصحة خاصة يحجز فيها المجانين . وهناك ، ابدع اروع واخلد لوحاته. ما ان فرغ من رسم احدى لوحاته الخالدات واراد ان يبلغ خبر انهائها الى حبيبته حتى قطع اذنه وارسلها اليها.. كان مجنونا حقا وكان فنانا حقا في الوقت ذاته .

ويقولون ان توفيق الحكيم فنان . وقد يكون كذلك فلست حكما صالحا. ولكن ما شأن الذات الفنية لتوفيق الحكيم باجتهاداته الفكرية او مواقفه السياسية؟ ان وباء التركيز على الذات هو الذي يريد ان يضع الثقل الفني لتوفيق الحكيم في كفة ارائه السياسية الخفيفة حتى ترجح . مع ان توفيق الحكيم قد يكون في طريقه الى ان تسلبه الشيخوخة ما ابقى الفن من اتزانه العقلي .

والواقع ان هذا افتراض مطروح منذ وقت غير قصير . منذ بدأ توفيق الحكيم يعبر عن نفسه تعبيرا اقرب الى الطفولة (والشيخوخة هي ردة الى الطفولة) منه الى تعبير الرجل الناضج العاقل . منذ- مثلا- ان كتب مسرحية كاملة (نشرت في جريدة الاهرام) يدور الحوار في الفصل الاول منها كلمة كلمة، وفي الفصل الثاني كلمتين كلمتين، وفي الفصل الثالث ثلاث كلمات ثلاث كلمات . نوع من التصرفات الغريبة، المقصودة لشد انتباه الاخرين لا اكثر . اكثر من هذا انه قدمها على انها من انشاء شاب ارسلها اليه مصحوبة برسالة. وصاغ الرسالة ونشرها معا. نوع من العبث الذي نعرفه من الاطفال عندما يمارسون خدعهم الصغيرة ، ثم بعدها حين اجتاحت العالم موجه المسرح "اللامعقول " وانتبه النقاد في العالم العربي الى هذه الموجة الطارئة من اوروبا وشغلوا انفسهم بها عن توفيق الحكيم . فلم يطق عقل الشيخ صبرا على ان يغيب ذكره ، فاصطنع مسرحية " يا طالع الشجرة ". ويقسم قريب منه ان توفيق الحكيم نفسه لا يعرف ماذا كان يريد ان يقول فيها مع انه كان سعيدا بها سعادة الطفل بلعبته المعقدة.. ثم توفيق الحكيم في وسط عمال مصانع حلوان يلبس ملابسهم.. ثم اخيرا " عودة الوعي" .

ان " عودة الوعي " دليل يكفي اي طبيب ليحكم على الحكيم بانه يعاني من حالة متدهورة من حالات الشيخوخة الذهنية ، السطحية التافهة، والكذب الطفولي المفضوح، والتحايل الفكري الساذج، والشرود والنسيان وغياب التفاصيل ، وتوهم الاضطهاد.. الخ .

في حوار " اليسار " مع توفيق الحكيم كان الموضوع المطروح هو " مستقبل مصر ". وتحدد هذا الموضوع بعد حوار سابق استغرق ساعات . و " مستقبل مصر " اخطر موضوع يمكن ان يتحاور فيه المثقفون ، لان مستقبل مصر هو- الى حد بعيد- مستقبل الامة العربية .

قال لطفي الخولي : ماذا عن المستقبل؟ ماذا يا استاذ توفيق ؟

فانطلق توفيق الحكيم يتحدث عن ابي جدته وجدته وزوجها اي جده . ولطفي الخولي يحاول ان يرده الى الحديث عن المستقبل ، فيصر على ان يسرد تاريخ جده الذي اشترك في الثورة

العرابية. صفحات وصفحات وهو يتحدث شاردا بعيداً عن الموضوع . ويجره لطفي الخولي جرا الى ان يصل به الى ما قبل ثورة ١٩٥٢ فيقول الحكيم انه ادان اللعبة الليبرالية التي كانت تمثلها الاحزاب ، وبعد قليل يتوهم ان احدا من المتحاورين قد قال لا يوجد الآن ليبراليون فيجزع ويقول " مصيبة " ثم يتضح ان احدا لم يقل ما توهم سماعه.. الى آخره .

لا يمكن ان يخطىء اي متابع لحوار الحكيم ان ذهن الرجل يخونه ويفلت من حين الى حين . ومع ذلك فان جمهرة المثقفين العرب مشغولون بما قال ويقول توفيق الحكيم . ويبلغ اهتمامهم به حد السماح له بأن " يخرف " فيقول في ندوة الطليعة : " اذا قوينا اليسار الاسرائيلي فان التفاهم سيكون اقل صعوبة من التفاهم مع الامبريالية ". لماذا يهتمون به هذا الاهتمام؟.. لانه فنان . له ثقل فني. نعم ولكن ما علاقة ذاته الفنية وثقلها بأفكاره السطحية وخفتها .

انهم، يا الهي ، يريدون ان يضيفوا " اسما " له ثقله الفني في كفة مواقفهم لترجح كفتهم مع انهم يعرفون ان جمهرة كبيرة من الفنانين اختلط في ذواتهم الجنون العقلي بالمقدرة على الابداع الفني . وانما يفعلون ما يفعلون يا مولاي ، لانهم يريدون ان يستغلوا وباء الانبهار العربي بذوات الاشخاص على حساب الانتباه الى مضامين افكارهم ومواقفهم . فلما ان استوى موقفا كتاب الطليعة مع كتاب " الشورى " اردت ان انبه قراء " الشورى " عن طريق نقد موقف كتاب " الطليعة" متخذا من مقالة محمد عودة التي نشرتها " الشورى " مدخلا .

وكالعادة، غادرت الشورى الى مصادر المعرفة.

الفكرة الاولى موضع البحث هي العلاقة بين الفنون والجنون . واحضرت لها مجموعة جيدة من المراجع التي تبحث في (١) الفن (٢) الجنون (٣) نماذج من الفنانين المجانين .

الفكرة الثانية موضوع البحث هي العلاقة بين الشيخوخة والعقل . واحضرت لها مجموعة جيدة من

المراجع التي تبحث في العلاقة بين الجسم والنشاط الذهني ، على رأسها ما كتبه ديكارت وسبينوزا عن هذه العلاقة . وكنت مشغولا بكل هذا لاقدم الى القراء من الشباب العربي اطرف الوان المعرفة عن هذه العوالم الغامضة. عالم الفنون وعالم الجنون وعالم الحياة في الجسم والعقل معا. وكنت انوي صياغته على الوجه الذي يحمل القراء من الشباب العربي على الضحك من

جماعة كبيرة من الكهول. وكنت احب ان يكون نقد العدد العاشر من " الشورى " الذي سينشر في العدد الثاني عشر تتويجا لجهد عام ناجح من حياة مجلة الفكر القومي التقدمي .

ثم، يا الهي، جاءني زوار.

حوار مع الزوار:

فلان.. فلان.. فلان.. فلان..

اهلا بالشباب ونسيت الاسماء لان ذاكرة الشيوخ تفلت منها التفاصيل عادة..

قالوا : نريد ان نسألك سؤالا .

قلت : خير ان شاء الله . ما هو؟

قالوا : هل انت الذي تكتب في " الشورى " بتوقيع " ابو ذر " .

قلت : وما فائدة الجواب ايا كان الجواب .

قالوا : مفيد، طبعا، يهمنا ان نعرف شخص من يخاطبنا بالكلمة المكتوبة.

قلت: ولماذا يهمكم؟

قالوا : (بعد تردد) لان قيمة الكلمة او بعض قيمتها متوقف على شخص قائلها.

قلت : ولكنكم تقرأون ما كتبه كثيرون من الفلاسفة والكتاب والادباء والصحفيون من العرب وغير العرب، وتقبلون افكارهم او ترفضونها بدون ان تعرفوا اشخاصهم ، فلماذا تريدون ان تعرفوا شخص ابو ذر.

قالوا: هذا صحيح ولكن لو عرفناهم لكان فهمنا لهم افضل ونحن نريد ان نعرف ابا ذر لنفهمه افضل مما نفعل .

قلت: أخشى ان تكون معرفتكم " الشخص " في عالمنا هذا ليس افضل بل اخطر.

قالو ا: لماذا؟

قلت : لان في عالمنا اليوم صراعا قاسيا . وامتنا مستهدفة. والفكر سلاح فعال . فلو ان القوى التي تريد ان تستولي على عقولكم مقدمة لاستيلائها على امتكم ، من خلالكم ، ارادت ان تدس في اذهانكم فكرا لما قدمته اليكم عن طريق " المشبوهين " بل لقدمته اليكم من خلال " الموثوقين " .

قالوا: وكيف نفلت من هذا الشرك؟

قلت: بأن تدربوا انفسكم على التحرر من جاذبية الاسماء .

قالوا: ولكن " ابا ذر " ليس اسما.. انه غطاء لاسم ، ومن حقنا ان نعرف اسم صاحبه حتى لا نتعامل مع اشباح .

قلت: لكم هذا الحق وستعرفونه بعد جيل.

قالوا: (باستغراب ضاحك).. جيل؟..

قلت: نعم جيل . اعني ارجو ان يكون ذلك بعد جيل .

قا لوا : ولماذا؟

قلت: لان ابا ذر، على ما اعلم، لا يرفع رأسه عن ارضه العربية حتى كاد ينحني ظهره.

قالوا: ماذا تعني؟

قلت: اعني انه يتعامل مع واقعه العربي كما هو.

قالوا: وماذا في الواقع العربي يحول دون ان يعلن نفسه؟

قلت: مشكلة يريد ان يسهم في حلها.

قالوا: ها هي؟

قلت: الانتباه الى الذات على حساب الموضوع . يريد ان يدرب الشباب العربي من الجيل الجديد على ان يتقبل الفكرة ويقيمها بدون اعتداد بقائلها قبل ان يعود فيعتد بقائلها . هل قرأتم العدد العاشر من " الشورى "؟ ان افضل- ما كتب فيه جاء تحت عنوان تقارير الشهر. كان في صميم صميم المشكلات الحية التي تمر بالعالم وتهدد امتنا بأكثر المخاطر جدية. " نحن واميركا

" ثم " الجانب الاقتصادي من رحلات كيسنجر " . هذه هي مشكلة امتنا الآن . قرأهما ابو ذر ثم قال . " خسارة. ولما سألته ما الخسارة ؟ قال انه يكاد يكون متأكدا من ان اغلب قراء " الشورى " لن يقرأوا هذين المقالين الجيدين لانهما نشرا بدون توقيع ، والقراء من العرب يبحثون عن الاسم اولا، لان الانتباه الى الذات على حساب الموضوع وباء في الوطن العربي . هكذا قال ابو ذر. ثم اضاف انه سبق ان اقترح على " الشورى " ان تصدرالمقالات بدون توقيع .

قالوا: لكن مجلات العالم كله لا تفعل هذا.

قلت: لانها مشكلة عربية من اثار التخلف الثقافي.

قالوا: وكيف هي عربية؟

قلت: دلالة التاريخ المعاصر.

قالوا: وماذا يقول التاريخ المعاصر؟

قلت: يقول- مثلا- ان الذين يسمون انفسهم قوميين تقدميين او ثوريين عربا، وهم كثيرون، ما يزالون يرددون كل يوم ان مصير امتهم متوقف على التحامهم في تنظيم قومي تقدمي ولا يفعلون. اتدرون لماذا؟

قالوا: قل انت.

قلت: الحق اقول لكم ان الذاتية فيهم قد طغت على الموضوعية فطغى ولاؤهم لاشخاصهم على ولائهم لامتهم . كل واحد منهم يذكر اسمه قبل اسم امته. يدعو الى التنظيم ويريد ان يكون محوره. يملي شروطه الخاصة على امته ويعلق مصيرها على قبول شروطه . يقيم من نفسه حكما فله في رفاقه حكم سابق لا يرضيهم .

قالوا: قد تكون الاحكام صحيحة.

قلت: لو صح نصفها لكان كل من يسمون انفسهم قوميين تقدميين او ثوريين عربا وهما لا وجود له في الواقع . او لكنا امة من الخونة والعملاء المنحرفين .

قالوا: هذه مبالغة. اسمح لنا.

قلت : اذن لو صح نصف الاتهامات المتبادلة بين الذين يسمون انفسهم قوميين تقدميين او ثوريين عربا لكان واجبا عليهم ان يردوها الى مقياس العلم .

قالوا: وماذا يقول العلم؟

قلت: يقول ان كل فرد ناقص ولا تكمل الا الجماعة . ويكون تحويل الافراد الى جماعة هو الاسلوب العلمي الصحيح لتصحيح الاحكام الفردية- الصحيحة- على الافراد يقول ان كل شيء في الوجود متغير حتى الناس . ويكون الاسلوب العلمي الصحيح عدم محاكمة الافراد على مواقف سابقة حكما نهائيا بناء على وهم انهم لا يتغيرون .

قالوا: لم نفهم تماها ما تريد من الفقرة الاخيرة.

قلت: اذن، فاعلموا- هداكم الله- ان هناك جيلا كاملا من القوميين التقدميين ناضلوا في ظروف صعبة لم يكونوامسئولين عنها . ناضلوا متفرقين في غير تنظيم فانهزموا جملة ولم يحققوا لامتهم ما كانوا يريدون . وبدلا من ان يدرسوا الظروف الموضوعية التي ادت الى فشلهم انطلقوا يتهم بعضهم بعضا، فلكل واحد منهم احكامه على رفاقه لا ترضيهم . ويعلن كل واحد منهم انه مستعد حتى للموت في سبيل امته ولكنه غير مستعد ان يتنازل عن رأيه الشخصي او بعض رأيه في سبيل ان يلتقي بآخرين . والمصيبة ان هؤلاء هم الذين يقومون عقبة في سبيل التحام الجماهير العربية في تنظيم عربي تقدمي . فمن ناحية سيكون تجاهلهم غبنا لهم لانهم كانوا مناضلين حقا ومن ناحية اخرى يملون شروطهم فلا يتصورون اي تنظيم قومي الا وهم في موقع القيادة منه .

قالوا : انك تشككنا في القوميين التقدميين .

قلت: الفردية نقيض القومية . الاولى ادنى العلاقات او هي انسلاخ من كل علاقة والثانية اسمى العلاقات لانها فناء الذات في اكثر صور المجتمعات المعاصرة رقيا وهي الأمة.

قالوا: هل هناك امثلة اخرى؟

قلت: امثلة كثيرة وكلها عربية.

قالوا: منها.. مثلا.

قلت: مثال من تجربة عبد الناصر . كان يقود امته في معارك تحريرها الضارية ويقف بصلابة ضد اعتى القوى الاستعمارية وكان يمد نضاله التحرري الى اطراف وطنه الكبير ويتجاوزه مشاركا في معركة التحرر العالمية. وكان رئيسا لدولة كثيفة التكوين معقدة البنية ورثها بيروقراطية متعفنة وثار من اجل تطهيرها. وكان مسئولا مباشرة عن ان يوفر المأكل والمسكن والملبس والمرافق والخدمات لشعب يزيد كل عام مليونا .. وكان في كل هذا قد بلغ من امته ومن دولته ارفع مراتب القيادة وصار معبود الجماهير بالمعنى السياسي وليس بالمعنى الميتافيزيقي . وفي عام ١٩٦٢ طرح على الشعب الصيغة الاولى لافكاره تحت عنوان " الميثاق ". وقال انه دليل عمل لعشر سنوات. وحذر من تجميده واعتباره الكلمة النهائية. ولم يكف ابدا عن هذا التحذير.

قالوا: (مقاطعين).. حذر من اي شيء..

قلت: حذر من موجة وبائية طاغية خلطت بين شخصية عبد الناصر الفذة التاريخية وبين الميثاق فحاولوا ان يصوروه فكرا فذا تاريخيا . حذر من موجة وبائية من الانتهازية اتخذت من " تقديس " عبد الناصر طريقا الى الارتزاق فلما ان صدر " الميثاق " رفعته الى مصاف الكتب المقدسة " حذر من الاستغلال الخطير للظاهرة العربية : الانتباه الى الذات على حساب الموضوع . وانضمت الموجتان في موجة ارهاب فكري لكل من حاول ان ينقد الميثاق او حتى يطور افكاره الى ان فوجيء الارهابيون بأن عبد الناصر نفسه قد تجاوز الميثاق متقدما عليه فكرا وتطبيقا.. انهم هم الذين يشنون الآن حملة التشهير بعبد الناصر، ومن بين ما يقولونه: ان عبد الناصر لم يلتزم الميثاق مع انه حذرهم وحذر غيرهم مما كانوا يفعلون ..

قالوا: ألم يكن يعرف عبد الناصر ظاهرة الانتباه الى الذات على حساب الموضوع فلماذا اصدر الميثاق .

قلت : كان يعرف ويجرب علاج المشكلة بأن طرح الميثاق على اكثر من ألف وخمسمائة شخص ظلوا يناقشونه اياما حتى يكون الميثاق انتاجا فكريا جماعيا ، ثم احال المناقشات الى لجنة من مائة مفكر فصاغوا ملحقا للميثاق .

قالوا: وهل اجدى هذا العلاج.

قلت: لا . لم يجد.

قالوا : لماذا؟

قلت: لان الانتباه الى الذات على حساب الموضوع ليس مجرد ظاهرة في الوطن العربي بل هو وباء . فلم يلبث المرضى ان تجاهلوا تحذيرات عبد الناصر، فأسقطوا الجزء الذي اضافه المؤتمر الى الميثاق ، ثم احالوا الميثاق كتابا مقدسا وادانوا كل محاولة لنقده او تطويره بانها نقد لعبد الناصر القائد او محاولة لتجاوز قيادته .

قالوا : مثال خطير فعلا.

قلت: اتمنى الا يتكرر. عندئذ يكون تجربة ايجابية تعلمنا منها شيئاً ينفع امتنا.

قالوا : وما هو؟

قلت : ان نعرف واقع امتنا ونتعامل معه كما هو حتى لو اردنا تغييره . وما دامت امتنا في هذه المرحلة المتخلفة تخلط بين الذاتي والموضوعي اوترجح الذاتي على الموضوعي فيجب على الواعين فيها ان يتجنبوا ان تلف مواقفهم وافكارهم رياح الوباء فيحيلهما المرض الى نصوص جامدة لن يكون من اثرها الا تقييد حركتهم انفسهم حتى لو كانوا غير راغبين في موقع التقديس الذاتي او حتى لو كانوا قادرين على الابداع المقدس .

قالوا: انك تتحدث حديث ابي ذر.

قلت: لانني اقتدي به.

قالوا: هل يخاف ابو ذر من ان يعرف احد معين انه هو الذي يكتب باب " على السفود "؟

قلت: ان ابا ذر يقتدي بالائمة من رجال التصوف الذين يؤمنون بالله حبا فيه لا خوفا منه فلا اظنه يخاف احدا.

قالوا: انك تحرضنا على اكتشاف ذاته.

قلت: رحمتك يا الهي ، ان وباء الانتباه الى الذات على حساب الموضوع ، قد سرى من جيل الكهول الى جيل الشباب.

الهي،

ان شبابا لا يتلقى المعرفة والعلم الا من " ذوات " معينة يفضلها، لن يستطيع ان يعرف ويتعلم من البدو الذين لا يحسنون تنسيق الكلام ، من الفلاحين الذين تنقطع على السنتهم الكلمات، من العمال الذين لا يقيمون وزنا كبيرا للكلمات ، من الفقراء المسحوقين الذين لا يكادون يقدرون على الكلام، من المرضى والعرايا والمشردين في المزارع الموحلة والصحارى القاحلة والمصانع الملوثة والطرقات الضيقة والمنازل المتهالكة. انهم - يا الهي- لن يطيقوا التعامل مع هذه " الذوات " المتردية حالتها الثقافية والاقتصادية والاجتماعية ولن يكون من اثر هذا - يا مولاي- الا ان ينمو جيل جديد من المثقفين العرب في عزلة من شعب امتهم العربية.. وهو خطر عظيم يهدد مصير الامة التي قلت انها خير امة اخرجت للناس .

واني، يا الهي، لا استطيع لامتي الا الكلمات، والكلمات غير مجدية في رد الخطر العظيم، فأراني- يا الهي- يمزقني التناقض بين وضوح الرؤية وقلة الحيلة فلا استطيع الا ان الجأ الى رحابك اشكو اليك وحدك ما تعلمه.

القاهرة في ١٦ يناير ١٩٧٥

١٠

كل عام وانتم بخير:

حين يظهر هذا الحديث على صفحات " الشورى " تكون مجلة الفكر القومي التقدمي قد اكملت سنة من عمرها. يستحق كل من اسهم في اصدارها وتحريرها تحية عيد ميلادها الاول ، فكل عام وانتم بخير..

ولكن هل مضت سنة حقا على اصدار " الشورى " ؟

يتوقف الجواب على " التقويم " الذي نحسب به عدد الايام و السنين؟

بالنسبة الينا ، نحن العرب ، الامر بسيط . يبدأ تقويمنا بيوم الهجرة . هكذا رأى الخليفة العظيم عمر بن الخطاب . اولا، ان ينشىء للناس تقويما جديدا لقياس الزمان قياسا مجردا ثابتا لا يتوقف ثبوته على ما يجري على الارض . وهي فكرة عبقرية الغرابة على بدوى ابن بدوى . غير

انه اذا عرف السبب بطل العجب . وسنعرف السبب بعد قليل . ثانيا : ان يبدأ التقويم بيوم هجرة الرسول عليه السلام من مكة الى المدينة (يوافق يوم ١٦ يوليو ٦٢٢ ميلادية) . فأنشأ عمر التقويم الهجرى تقويما قمريا . السنة فيه ١٢ شهرا . ويتراوح الشهر فيه بين ٢٩ يوما و ٣٠ يوما تبعا لرؤية الهلال. فما بين كل هلال وهلال شهر. وتصبح ٣٥٤ آنا و ٣٥٥ آنا اخر .

وطبقا لتقويمنا تكون مجلة " الشورى " قد اكملت عاما قبل صدور هذا العدد بعشرة ايام ونصف "تقريبا" هي الفرق في الايام بين السنة القمرية والسنة الشمسية. ونقول " تقريبا " لان الامر اكثر من هذا تعقيدا.

نبدأ الحكاية من البداية..

بشكل عام بدأت البشرية تقسيم الزمان الى ايام قبل ان تعرف الاسبوع والشهر والعام . كان اليوم بسيطا في انضباطه على النور والظلام . ما بين الغروب والغروب يوم . اما الاسبوع فهو قسمة "عملية " لا علاقة لها بالشمس او القمر. يقولون أنه تقسيم نشأ تبعا للنشاط الاقتصادي او التجاري واختلف باختلاف مواقع البشر من الارض . الاصل فيه يوم الراحة. يوم راحة بعد رحلة صيد ناجحة. يوم راحة بعد جولة تجارة رابحة. وما بين كل يومي راحة عدد من الايام يسمونها اسبوعا. فكان الاسبوع عند بعض القبائل الافريقية اربعة ايام . وفي امريكا الوسطى خمسة ايام . وعند الاشوريين ستة ايام . وعند الرومان القدامى ثمانية ايام .. وعند الساميين كان سبعة.

الذي بدأ- حين بدأ - محددا بدون خلاف هو الشهر . كان الشهر عند كل المجتمعات الاولى منضبطا بظهور القمر ودورته حول الارض . ويمتاز قياس الشهر بدورة القمر بميزتين . اولاهما حضور المقياس في دورات متقاربة فلا يحتاج تذكر اول الشهر الى اجتهاد ولا يحتاج حساب نهايته الى اجهاد ثانيتهما انه قياس زمني خالص . قياس للزمان بدون احالة الى غير الزمان . فلا يتوقف عدد الشهور والسنين في التقويم القمري على ما يجري على الارض من حوادث واحداث . ولا يقبل ضابطا موازيا او متداخلا معه فيبقى منضبطا ابدا.

نفهم هذه الميزة الاخيرة عندما نعرف تعقيدات قياس الزمان وتقسيمه على اساس ما يجري على الارض . كان ذلك هو شأن السنة الشمسية. فالاصل في التقويم الشمسي إنه تقويم زراعي وليس تقويما فلكيا. تحسب السنة فيه وتتبع فصول الزراعة والحصاد . اماعلاقته بالشمس وحركة الأرض حولها فقد جاءت تبعية ، اذ تتأثر الفصول وتتبع حركة الارض حول الشمس .

ولان الدورة الزراعية هي اصل التقويم ، لم ينشأ التقويم تابعا لحركة الارض حول الشمس منذ البداية . بل نشا مرتبطا بالدورة الزراعية وحدها..

هكذا- مثلا- كان يفعل سكان مصر الاقدمون . كانت السنة عندهم تبدأ بيوم ارتفاع مستوى المياه في النيل مبشرا بالفيضان . ثم تنقسم السنة الى ثلاث فترات زمانية . مائة وعشرون يوما " فترة الفيضان " . ومائة وعشرون يوما " فترة الزراعة " ومائة وعشرون يوما " فترة الحصاد " . وقد كان سكان مصر الاقدمون يلاحظون - كل عام- ان الفيضان يبدأ بعد انقضاء خمسة ايام من نهاية فترة الحصاد . اعني ان السنة تبدأ بعد خمسة ايام من نهاية السنة السابقة . فكانوا يسقطونها من حساب السنين ويسمونها " الايام المنسية ". ينسونها، وينسون معها حركة الفلك لتبدأ سنتهم الجديدة على مقياسهم الزراعي . ولما ان " تقدموا " في المعرفة بعلوم الفلك والهندسة اكتشفوا حوالي عام ٢٧٠٠ قبل الميلاد ان السنة الشمسية ليست ٣٦٥ يوما ، بل هي ٣٦٥ يوما و " ربع " يوم . ففكروا في ذلك الوقت البعيد في ان يضيفوا يوما الى الايام المنسية كل اربعة اعوام .. ولم يثبت فيما تركوه من آثار انهم قد نفذوا ما فكروا فيه .

كذلك كانت السنة عند قدماء الرومان عشرة اشهر قمرية. اما تلك الفترة الجدباء ، فترة الشتاء في اوروبا، التي تقابل ما يعرف اليوم باسمي يناير وفبراير، فلم تكن تدخل في حساب الشهور والسنين اصلا. كانت خارج الزمان عند قدامى الرومان لان الزمان عندهم كان مرتبطا بالدورة الزراعية التي تبدأ مع الدفء وتنتهي تحت غطاء الثلوج فى اخر ديسمبر من كل عام . أي من كل عشرة اشهر . ولم يضف الشهران الى " العام الروماني " الا بأمر من ملك روما الثاني نوبا بومبيلوس (٧١٦- ٦٧٣ ق. م) فاصبحت السنة ١٢ شهرا قمريا من ٣٥٤ يوما مقسمة على الوجه الاتي : مارس (٣١ يوما) ثم ابريل (٢٩ يوما) ثم مايو (٣٠ يوما) ثم يونيو (٢٩ يوما) ثم يوليو (٣١ يوما) ثم اغسطس (٢٩ يوما) ثم سبتمبر (٢٩ يوما) ثم اكتوبر (٣١ يوما) ثم نوفمبر (٢٩ يوما) ثم ديسمبر (٢٩ يوما) ثم يناير (٢٩ يوما) ثم فبراير (٢٨ يوما).. مع ملاحظة اننا نستعمل أسماء الاشهر المستعملة اليوم وهي لم تكن كذلك يومئذ .. أعنى لم تكن كلها كذلك .

ولم يكن اكمال السنة ومحاولة الارتقاء من القياس الزراعي البدائي الى القياس الفلكي الا بداية المتاعب لما عرف بعد ذلك بالتقويم الميلادي . الاشهر القمرية تقسم الزمان الى وحدات ثابتة وغير متوقفة على غيرها ، والسنة الشمسية تقسم الزمان على الوجه الذي يتفق مع الزرع والحصاد ودورة الفصول . ومع ذلك فان الاشهر القمرية هي وحدات تسقيم السنة الشمسية الى

عدد ثابت من الاشهر (١٢) فكأننا نقيس الزمان بمقياسين مختلفين . وهما مختلفان لا من حيث الطبيعة والثبات فقط بل من حيث عدد الايام ايضا . فالسنة القمرية (١٢ شهرا) تقل عن السنة الشمسية بعشرة ايام ونصف يوم . وهي ايام قليلة ولكنها تتراكم فيجد اصحاب التقويم الشمسي انهم في حاجة الى تعديل تقويمهم من حين الى حين ليبقى مقياس الاشهر متفقا مع مقياس السنين . لتبقى السنة- في كل عام- اثني عشر شهرا . ولتتفق بدايتها- في كل عام- مع بداية دورة جديدة للأرض حول الشمس .

اول تعديل اجراه يوليوس قيصر سنة ٤٦ قبل الميلاد. كان الفرق قد تراكم فقرر القيصر ان يمحو من سجل الزمان ٦٧ يوما من السنة الشمسية لتلتقي الشمس والقمر في بداية عام جديد . وخشي القيصر ان تتراكم الفروق مرة اخرى فيضطر خلفاؤه الى حذف جديد فعهد الى الفلكي الروماني . سوسيجن حل مشكلة الوفاق بين الشمس والقمر، فأفتى بطلاق القمر. الغى التقويم القمري لتصبح الاشهر ١٢ " اتفاقا واعتباطا " تختلف ايامها بحيث يصبح مجموعها ٣٦٥ يوما وربع يوم هو طول السنة الشمسية. وقد امكن من خلال التحكم في ايام الشهور الوصول بالمجموع الى ٣٦٥ يوما بقي " الربع " فأفتى الفلكي العتيد بان يضاف يوم الى شهر فبراير كل اربعة اعوام . وهكذا انتهى الرومان في عام ٤٥ قبل الميلاد الى ما كان قد انتهى اليه سكان مصر الاقدمون قبلهم بسبعة وعشرين قرنا كاملة... وسبحان مغير الاحوال ..

ومع ذلك، تأملوا عناد الانسان .

ان السنة الشمسية التي هي ٣٦٥ يوما وربع يوم تزيد عن السنة الفلكية (المدة التي تكمل الارض فيها دورة واحدة حول الشمس) بما يساوي ١١ دقيقة و ١٥ ثانية . أي بمقدار يوم واحد كل ١٢٨ سنة. لم ينتبه احد الى هذا الفرق الضئيل في البداية. ولكن في اوائل القرن السابع بعد الميلاد اضطرب العالم المسيحي اضطرابا شديدا . ان عيد الفصح- اهم اعياد المسيحية عند الرومان (وهو يحسب قمريا)- قد جاء بعد موعده بثلاثة ايام كاملة- وبدأ الحساب . سيأتي بعد اكثر من اسبوع في القرن الثالث عشر. بعد اكثر من تسعة ايام في القرن الخامس عشر.. وتعرض التقويم الشمسي كله لنقد رجال الدين وبدأت الدعوة الى اعادة النظر فيه بحيث تأتي الاعياد الدينية في ايام معروفة وثابتة من كل عام . وكان طبيعيا انه اذا كان بعض الناس قد شك في صحة التقويم الشمسي فان بعضهم قد شك في صحة تاريخ الاعياد .. واستمر الاضطراب قرونا الى ان انهاه مؤتمر الفلكيين الذي دعى اليه البابا جورجي الثالث عشر عام ١٥٨٢.

في ذلك الوقت بالذات، الذي كان العالم المسيحي يشكو من تعقيدات التقويم الشمسي ، وآثار تلك التعقيدات على المعتقدات الدينية، ويبحث عن حل لمشكلة ازدواج قياس الزمن رأي الخليفة العبقري عمر ان يقطع الشك باليقين فينشىء للناس تقويما جديدا، يبدأ بالهجرة ، ويقيس الزمان على دورة القمر، ولا يتوقف في ثبات قياسه على ما يصنع الناس في الارض من زرع وحصاد (تولى عمر الخلافة يوم ٢٣ اغسطس سنة ٦٣٤ ميلادية)..

وهكذا كان ...

الاستفزاز:

اعترف بانني كنت قد اعددت الفقرة السابقة قبل ان يصلني العدد الحادي عشر من "الشورى" اتكالا على ان الزمان لا يتوقف وان ابريل قادم لا شك فيه. اعددتها تحية " للشورى " وكتابها وقرائها في عيد ميلادها الاول . وبقيت انتظر " الشورى " ، التي لا تنضبط مواعيد حضورها على اي تقويم هجري او ميلادي ، وانا ادعو الله ان تكون مادتها خالية مما يفسد علينا غبطة الاحتفال بعيدها. وجاءت " الشورى" فكادت تحيل العيد مأتما ، او على الاقل نذيرا بالموت. بمجرد ان قرأت عنوان ملف الشورى فعرفت انه عن الوحدة العربية سارعت الى قراءته. واذ بي اصطدم- مرة اخرى- بالاخ عبد الله بلال... وقد اعتبرت مقال الاخ عبد الله بلال استفزازا للقراء الذين يعبر عنهم "ابو ذر" .

قال " ابو ذر " ، في العدد السادس من "الشورى " (نشر في العدد الثامن) تعليقا على ما كتب احتفالا بالعيد الخامس لثورة الفاتح من سبتمبر. بالمناسبة كان عنوان التعليق " الحق المر ". قال :

" من الافكار التي غابت، لا ادري كيف، الحديث عن ثورة الفاتح من سبتمبر من حيث هي ثورة الضباط الاحرار الوحدويين . اعني الحديث عن علاقة الثورة بهدفها الاساسي : الوحدة . لماذا لم نقرأ في العدد السادس من " الشورى " شيئا عن الثورة والوحدة . في المنطلقات. في الاهداف. في الاسلوب. في الادوات.. الخ الان الثورة حققت نجاحا يشكر في كل ميدان ولم تحقق في سبيل الوحدة نجاحا يذكر ؟ .. ان تجارب الفشل اكثر خصوبة للمعرفة من تجارب النجاح. من حق الشباب العربي ان يتعلموا من التجارب التي فشلت حتى لا يفشلوا مرة اخرى " .

هكذا قال ابوذر. فجاء الاخ عبدالله بلال بعد خمسة اشهر يتحدث عن البعد الوحدوي لثورة الفاتح من سبتمبر . فماذا قال؟..

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم . باسم الله الرحمن الرحيم .

قال عبد الله بلال ان لثورة الفاتح من سبتمبر منطلقات ثورية وممارسة نضالية في سبيل الوحدة، وخذوا عندكم :

اولا: المنطلقات الثورية :

(١) خطورة المرحلة التي تمر بها الامة العربية تحتم الوحدة (٢) الوحدة حتمية لانها ضرورة للمعركة وللبناء الاقتصادي والدفاع والبناء الحضاري (٣) دولة الوحدة ثورية تقدمية (٤) الوحدة هدف ومصير وضرورة للتحرير (٥) الوحدة تصفي سياسة مناطق النفوذ الاجنبية (٦) الوحدة ثورة ضد التجزئة والتخلف (٧) الوحدة ضد العنصرية (٨) الوحدة والحرية بكل ابعادهما تربطهما علاقة عضوية (٩) الوحدة انتصار تاريخي على كل التحديات (١٠) الوحدة ثورة شعبية (١١) الحزبية تعوق الوحدة (١٢) الوحدة ثورة الجماهير العربية (١٣) الوحدة هي النضال ضد اعداء الوحدة .

ثانيا: الممارسة النضالية:

(١) ثورة الفاتح من سبتمبر عرضت الوحدة على جمال عبد الناصر وقبلت تأجيلها (٢) ثورة الفاتح من سبتمبر اشتركت في اعلان ميثاق طرابلس ٢٧/ ١٢/ ١٩٦٩ (٣) اشتركت في اعلان بنغازي في ١٩٧١/٤/١٧ (٤) اشتركت في وضع وثائق الوحدة الاندماجية بين مصر وليبيا في ٩/١٨/ ١٩٧٢ (٥) المسيرة الوحدوية في ١٩٧٣/٧/١٨ (٦) اعلان جربة الوحدوي في ١٩٧٤/١/١٢.

وتحت كل رقم كلام كثير. وفي كل كلام جزء مقتبس من اقوال الاخ معمر القذافي . وفاتحة المقال ذاتها فقرة من احدى خطبه تكررت بنصها داخل المقال . ويسمى الاخ عبدالله بلال المجموعة الأولى من " الكلمات " منطلقات ثورية . و يسمى المجموعة الاخرى من الكلمات المكتوبة على الورق ممارسة نضالية. ويتجاهل الاخ عبدالله بلال السؤال الاساسي الرئيسي الذي طرحه ابو

ذر وقال ان الاجابة عليه اهم من الكلام الكثير : لماذا فشلت ثورة الفاتح من سبتمبر في ان تحقق الوحدة؟..

يا اخ بلال،

راجع ما تقول انه منطلقات ثورية فقد تجد فيه أن (الوحدة ، مبررة ومطلوبة من اجل منافع ذكرتها.. والمنافع تظهر وتزول وعلى اي حال لا تصلح منطلقاً ثوريا الى الوحدة القومية- كعقيدة- ووحدة التكوين الاجتماعي للامة ، يا أخ بلال ، تسلب التجزئة شرعيتها وتحيلها اغتصابا لا بد ان يزول ولو كان على حساب النضال من اجل ازالته خسائر اقتصادية او مالية او بشرية مؤقتة تعوضها الوحدة في المدى الطويل . ذلك هو المنطلق الثوري الى الوحدة ، ولو فتشت داخله لرأيت اغلب العناصر " النفعية " التي ذكرتها متحققة حتما في اوانها.. ولكن تعليق الوحدة على مكاسبها الآنية قد يفتح الباب لمن يعرض عليك يا اخ بلال تعويضا عن خسائر التجزئة بترولا، او دولارات، او ضماناً دوليا يحمي الحدود ويغنيك عن المعركة والدفاع ..

يا اخ بلال،

راجع ما تقول انه ممارسة نضالية من اجل الوحدة فقد تجد انها " جهد مبذول " . مجرد " جهد مبذول " من اجل غاية لا يمكن- موضوعيا وعلميا- ان يؤدي اليها . وهو لم يؤد اليها . وأقول لك انه لن يؤدي اليها. وليس كل جهد مبذول ممارسة نضالية تحسب لصاحبها، انما تحسب لصاحبها الممارسة النضالية التي تؤدي الى غايتها . ام تحسب ان الفشل ممارسة نضالية؟..

يا اخ بلال؟

انك لم تكتب عن ثورة الفاتح دراسة تتناول بعدها الوحدوي، ولكنك جمعت في مقالك اكبر عدد متاح من الكلمات، وهي كلمات ذات اكف غايتها ان تصفق لثورة الفاتح من سبتمبر وللاخ معمر القذافي. انها مظاهرة تصفيق . واحسب ان ثورة الفاتح في حاجة الى اشياء كثيرة ولكني اكاد اكون واثقا من انها في غير حاجة الى الكلمات المصفقة .

ارجو ان تكافىء ابا ذر على ما يعاني في الكتابة انتباها الى ما يكتب.. ولا تستفزه.

وفقك الله انه قادر على كل شيء.

وليوفق الله ابا ذر الى مقال يفتح ابوابا للمعرفة ولا يثير الغضب .

انه هناك في ملف " الشورى "، بقلم الدكتور عبدالله عبد الدايم .

العودة الى التراث.. الالماني

الدكتور عبدالله عبد الدايم ، استاذ ومفكر ومناضل . قومي مرموق . اسهم بكتاباته في اغناء الفكر القومي العربي واسهم بمواقفه في الدفاع بوجه خاص عن وحدة ١٩٥٨. له كتاب جيد نشر لاول مرة في اواخر ١٩٥٩. أي في ابان الصراع الدامي بين الحركة القومية والحركات الاممية والشعوبية في العراق . اسم الكتاب " دروب القومية العربية " . ارجو ان يحصل على نسخة منه من يقدر من الشباب العربي . يحصل عليها ليقرأها.. فان صوت الدكتور عبدالله عبد الدايم احد الاصوات المعبرة بصدق عن تجربة جيل على الشباب العربي ان يدرس تجربته .

في ذلك الكتاب يقول الدكتور عبدالله عبد الدايم :

" عصرنا هذا، لا القرن التاسع عشر، هو عصر نشوء القوميات الحقة. وايامنا هذه التي نحياها، لا الايام التي ظهر فيها بسمارك واترابه من حملة النزعة القومية ، هي التي تحمل المعنى العميق لنشوء القوميات الصحيحة "..

ويقول : " ان العصر الحالي هو عصر الصراع القومي الحق . فالقرن التاسع عشر لم يكن في الواقع عصر الحريات القومية ، وانما كان عصر العصبيات القومية الضيقة المعتدية. لقد زال الزمن الذي رغبت فيه بعض الامم بالغلبة والاعتداد بتفوقها وصفاء عنصرها " .

وقال : " حاول هؤلاء ان يسموا الفكرة العربية القومية بوسوم زائفة اخرى على رأسها تشبيهها ببعض القوميات الاخرى التي ظهرت في التاريخ وفي القرن التاسع عشر خاصة، تحت تأثير ظروف تاريخية خاصة وعلى رأسها القومية الالمانية والقومية الايطالية، وكأنهم ارادوا ان يعلنوا ان مقومات القوميات واحدة في كل زمان ومكان ".

ثم قال : " ان الفكرة القومية كما قلنا منذ البداية تنبع من واقع الشعب ووجوده الحي ولا تفرض من عل . وهي بالتالي تتلون بلون الامة التي تعبر عنها وتتقوم بمقومات حياة هذه الامة. والنظرية القومية ينبغي ان تشتق من ملاحظة الواقع واستقرائه كما قلنا. والقومية

العربية ليس لها من المقومات سوى مقومات هذا الواقع، وما عليها الا ان تجيد دراسة هذا الواقع واستخلاص اياته ومعرفة بنيته لكي تضع اسسها ومبادئها " .

لقد اطلت في النقل لانني- اولا- اريد ان انبه الشباب العربي من الجيل الجديد الى انهم عندما قرأوا ما كتبه الدكتور عبدالله عبد الدايم في العدد الحادي عشر من الشورى تحت عنوان " من فيخته الى القومية العربية " كانوا يقرأون " لاستاذ " ورائد من رواد الفكر القومي . ولانني اريد- ثانيا- ان اواجه مع الدكتور عبدالله عبد الدايم عام ١٩٥٩، ما كتبه الدكتور عبد الله عبد الدايم عام ١٩٧٥ ولي فيه مآرب اخرى . سأذكرها.

اذن فالدكتور عبد الله عبد الدايم ينطلق، اعني كان ينطلق من موقف ذي مضمونين متكاملين. الاول: ان الفكر القومي الذي ساد القرن التاسع عشر متخلف عن متطلبات العصر الحالي . الثاني: ان على الفكر المعاصر ان يأخذ من واقع امته المادة التي يبني بها نظريته القومية. هذا- طبعا- بدون حاجة الى تأكيد مالا ينكره احد : ضرورة دراسة الفكر الانساني والاستفادة منه . ندرسه في كل حال، ونستفيد منه بتبنيه إن كان صحيحاً ، او نستفيد منه برفضه ان كان متخلفا، لأن مقياس "الفائدة" هو صلاحية الفكر لمعالجة مشكلات واقعنا القومي .

غير ان الدكتور عبد الله عبد الدايم قد عاد فقدم إلى القاريء العربي ، ويهمنا من القراء الجيل الجديد من الشباب العربي ، " نصيحة " بأن يعود الى الفيلسوف الالماني احد المفكرين القوميين الممتازين كما وصفه . لماذا فخته ؟ ..

يقول : " لاننا نعتقد ان كثيرا من مبررات وجوده في عصره وفي المانيا تطرح نفسها اليوم من جديد في عصرنا وفي بلادنا العربية خاصة. ونحن من المؤمنين بأن المهاد الفكري الذي وضعه "فخته " واستطاعوا بفضله أن يحققوا لالمانيا النهوض من كبوتها والثأر لما اصابها جدير بأن يتخذه المفكرون العرب متكأ ومنطلقا عميقا لانبعاث عربي " .

التفاصيل كما يلي :

١- ان الواجب ان نميز بين افكار " فخته " الأصيلة وبين الاتجاهات والمنازع التي افادت منه وحرفت كلمة من موضعه (ا لنازية) .

٢- ان افكار " فخته " اطلقت من واقع الماني تعيس بعد هزيمتها من فرنسا وهو واقع وشيج النسب بالواقع العربي اليوم وبما يعاني من هزيمة .

٣- ان شعار القومية العربية يتعرض اليوم الى محنة كبرى والى كثير من الانحسار، بعد ان انتزعه السياسيون من المفكرين وبعد ان انكفأ عنه كثير من هؤلاء المفكرين .. فلا بد له من إحياء فكري وهو ما فعله " فخته " عندما اراد ان يحيي الأمة الالمانية .

٤- ان الاتجاهات التي اخذت تداخل الوجود العربي في السنوات الاخيرة والتي تحكمها روح "تنازلية" يقال عنها انها " عملية " في حاجة ان تتصدى لها رؤى فكرية كبيرة ونظرات قومية عميقة تكشف زيف ادعاءاتها العملية والواقعية .. وها هنا ايضا تجد افكار " فخته " مكانها الطبيعي وتبرز ردا اصيلا على مثل هذه النزعات المبررة للعجز كما كانت ايام ظهورها في القرن التاسع عشر .

ثم عرض الدكتور تحت ستة عناوين فرعية (١) القومية والتحديات الاستعمارية (٢) القومية والثورة الاجتماعية. (٣) القوميه والانسانية (٤) الروح الاقليمية (٥) القومية واللغة (٦) القومية و التربية ، " لمحات عابرة " من فكر " فخته ".. مرجعها- كما ذكر- هو كتاب " فخته " " رسائل الى الامة الالمانية " (١٨٠٨) . وليس الكتاب في متناول يدنا، كل ما نعرفه عنه هو ما نقله استاذنا ساطع الحصري في كتابه " ما هي القومية "، وانه نشر باللغة الانجليزية في شيكاغو سنة ١٩٢٢. ولما كان الدكتور عبد الله عبد الدايم قد اطلع على اصوله- كما يفهم من مقاله- فلا بد لنا من ان نسلم بما نقله عنه. ما نقله عنه وليس بما فسربه ما نقل . وما نقله عنه قليل او هو مختلط بتفسيره .

على اي حال، فان القضية التي يطرحها المقال " تتضمن " دعوة الى العودة الى " فخته" لمواجهة تحديات الواقع العربي المعاصر. وما نريد ان نقوله، تعليقا على هذا المقال، هو ان نحذر الشباب العربى من قبول هذه الدعوة لانها لا تؤدي الى مواجهة تحديات الواقع العربي المعاصر. ويقف "فخته "، وافكاره في القومية وغير القومية موقف المناقض " المتخلف " عن الفكر القومي التقدمي الذي تتطلبه مواجهة تحديات الواقع العربى المعاصر. ذلك الفكر الذي يعتبر الدكتور عبدالله عبد الدايم واحدا من رواده و اساتذته .

لماذا ؟

لان " فخته " فيلسوف " مثالي "، وقد كتب كل ما كتب من موقف مثالي، والمثالية، كفلسفة، ومنهج، رجعية ومناقضة لكل ما هو تقدمي في امتنا العربية...

مزيد من الايضاح؟..

تكرم .

المثالية و" فختة "

باختصار،

يقول فولف (١٦٧٦- ١٧٥٤) : " المثاليون هم الذين يقولون ان وجود الاجسام وجود مثالي، وجود في نفوسنا نحن ، وبهذا ينكرون وجود الاجسام نفسها والعالم وجودا حقيقيا " . ويقول كنت (١٧٢٤- ١٨٠٤) : " ان المثالية هي النظرية التي تقرر ان وجود الاشياء في المكان وخارج العقل هو اما وجود مشكوك فيه وزائف او مستحيل . والاول هو قول المثالية الاجتماعية عند ديكارت الذي صرح بان ما لا يحتمل الشك هو التقرير التجريبي اي " انا موجود " والثاني هو قول المثالية التوكيدية عند باركلي الذي اعتبر المكان وكل الاشياء التي ترتبط به بوصفه شرطا لها لا غنى عنه، فنقول اعتبر المكان وما يرتبط به من اشياء امرا مستحيلا في ذاته وصرح لهذا بان الاشياء في المكان هي مجرد " تخيلات " .. ثم مثالية "كنت" نفسه الذي يسميها مثالية " متعالية " التي تقول ان المكان والزمان والمقولات اطارات قبلية (سابقة) موجودة في العقل بفضلها يدرك العقل مضمون التجربة..

هذه هي المثالية في مميزها الاساسي : انكار الواقع الموضوعي . انكار وجوده مستقلا عن الوعي. ما ندركه موجود وما لا ندركه غير موجود. وعندما ندركه لا ندرك حقيقته الموضوعية . انما نقيسه على صورة او مثال او اطار كامن في العقل وسابق على تجربة الادراك ذاتها . وطبقا لهذه الفلسفة لا تكون الأمة العربية- مثلاً- حقيقة موضوعية الا بالنسبة لمن يعي هذه الحقيقة الموضوعية، ويصبح المستقبل القومي كله مقصورا على " التوعية " بالامة العربية وجودا والقومية علاقة والوحدة هدفاً لا أكثر . نظرية " فختة " اذ انه بالنسبة الى " فختة " لم تقف المثالية عند " كنت " . وسنحاول بقدر ما تستطيع الطاقة ان نطرح فكرته مبسطة ومختصرة .

" فختة " فيلسوف الماني (١٧٦٢- ١٨١٤)، كان حتى السنة الاربعين من عمره تلميذا " لكنت ". كتب الى صديق له في زيوريخ عام ١٧٩٠ يقول : " لقد اسلمت نفسي كلها لدراسة فلسفة " كنت ". انها فلسفة من شأنها ان تروض ملكة الخيال وتكبح جنوح الخيال عندي . انها تعطي

الاهمية للعقل وترفع الروح كلها فوق كل الشؤون الادارية ، لقد اتخذت اخلاقا نبيلة بدلا من ان اتعلق بامور خارجة عن نفسي ، فاصبحت اعني اولا بذاتي ، وهذا ما اعطاني الراحة، راحة لم اشعر بها من قبل " .

ولكن " فخته " التلميذ لن يلبث ان يضيف الى فلسفة الاستاذ تدعيما للمثالية .

كانت المثالية على يد " كنت " تبدأ من معطيات واقعية للشعور و تصعد عن طريق التحليل الى المثالية، ولم يكن هذا الاسلوب قادراً على ان ينتهي الى مبدأ مثالي واحد يحكم كل شيء، ولهذا قيل ان الكنتية تبدو منتهية الى ثنائية لا يمكن ردها الى الوحدة . فجاء " فخته " يسد هذه الثغرة في فلسفة " كنت " المثالية تحت اسم " مذهب العلم " .

فهو يقرر اولاً، انه لكي يوجد علم لا بد من ان يوجد مبدأ واحد ثابت ثبوتا يقينيا بذاته غير متوقف على غيره. لان كل ما يحتاج في ثبوته الى غيره لا يصلح هو لاثبات ما هو غيره .. هذه الفكرة قريبة جدا مما قال به بعض ائمة المسلمين (الغزالي ومحمد عبده مثلا) لاثبات وجود الله .. ويسمونه واجب الوجود . لكن " فخته " لم يبدأ من الله ، بل بدأ من الانسان . لهذا اتهم فترة طويلة من عمره وحوكم ، بتهمة الالحاد . المهم ان المبدأ الاول الاساسي هو " الانا " او " الانانية " بالمعنى الذي استعمله محي الدين بن عربي عندما قال " الانانية قولي انا انا " . ولكن " فخته " يفهمه على وجه " فعال " فيمكن ان نقول انه العقل في حالة فعل او بتبسيط كبير " الوعي ".

ولكن الوعي ، ليكون وعيا، يتطلب موضوعا يعيه، وتصبح المسألة الفلسفية هي اما انه لا يوجد وعى اطلاقا واما ان يوجد وعي وموضوع معا في الذات . كيف وجد الموضوع وعلى اي شكل وبأي محتوى؟ اوجده الوعي- حتى يبقى موجودا- في شكله ومحتواه . ولكن هذا الموضوع الذي اوجده الوعي " لذاته " ليس ناتجا عن الاحساس بشيء من الخارج . لان حتى هذه الاحساسات من انتاج الوعي باعتباره قوة فاعلة مطلقا . فالاحساس لا يتم بمجرد التلقي والانطباع بل لا بد من ان يضاف اليه قيام الذات او الانا بفعل يحول به هذه الانطباعات الى ذاته . الالوان والاضواء مثلا ليست هي الاحساس بل لا بد ان يقوم الوعي بتحويلها بفاعليته هو الى اشياء تصبح فيه هي الاحساس . فالاحساس ليس صادرا عن اشياء موضوعية بل هو من انتاج وصنع الوعي .. اذا انتج الوعي موضوعه يبدآن في التفاعل وهو تفاعل جدلي . فالوعي مطلق غير قابل للتحديد ، ولكنه وقد اوجد موضوعه قد اصبح محددا بهذا الموضوع . وهذا يعني ان الوعي ليس هو الفاعل الوحيد بل ان الموضوع فاعل ايضا لانه يحدد الوعي ذاته ... كانت هذه النقطة تمثل مأزق الفلسفة المثالية

قبل "فخته" . الاعتراف للموضوع بعد وعيه بفاعلية تحديد الوعي ذاته بحيث تكون المحصلة انتاجا "مشتركا " بين الوعي والموضوع .. وليس انتاج الوعي وحده .. فحاول " فخته" ، ان يخرج المثالية من مأزقها . وذلك هو سبب شهرته وقيمته كفيلسوف مثالي . قال – ولا ادري كيف يمكن تبسيطها في الصياغة . أن ثمة نشاطا للوعي لا يعيه . فالوعي وهو يتأمل (يعي) الموضوع الذي اوجده (يتفاعل معه) يكون " غائبا " عن تأمل (وعي) ذاته وهو يتأمل موضوعه . باختصار قد يكون مخلا – وأمري لله – اراد " فخته" ان يقول ان عملية التفاعل بين الوعي والموضوع هي ايضا عملية وعي وان كان غير قابل للادراك وبالتالي فان كل شيء في الوجود ، الوعي ، والذات ، والموضوع ، والتفاعل بين كل هذا، وما ينتج عنه من وعي أو موضوع جديد هو عملية ذهنية محضة لانه لا يوجد خارج الوعي ما يسمى واقعا موضوعيا..

تطبيقا لهذه الفلسفة المثالية- كما نرى – اختار " فخته " من كل عناصر تكوين الامة ذلك العنصر " الذاتي " وهو اللغة . فاللغة اصوات تؤدي معنى . واللغة الواحدة تؤدي معان موحدة . وعندما تكون جماعة من الناس ذات لغة واحدة ، تكون ذات وعي موحد. وعي بوجودها اولا. ولكن الوعي لا بد له من موضوع يعيه ، وهكذا يتطلب الوعي الموحد موضوعا موحدا . والموضوع الموحد هنا هو الامة الالمانية التي لا بد ان تتوحد لتكمل الذات القومية وعيا وموضوعا . قال: ان الذين يتكلمون بلغه واحدة يكونون كلا موحدا ربطته الطبيعة بروابط متينة وان كانت غير مرئية؟..

المهم، ان مثالية " فخته " قد حالت دون ان يدخل في تكوين الامة وحدة الارض مثلا، وحدة التاريخ مثلا اخر، وحدة المصير مثلا ثالثا، وحدة الحضارة مثلا رابعا، وحدة المصالح الاقتصادية مثلا خامسا، وحدة الشعور بالانتماء مثلا سادسا.. وما الى هذا مما اختار منه المفكرون القوميون ما ارضاهم في كل امة على حدة . لانه لو اختار ايا من كل هذا لكان عليه ان يتنازل عن مثاليته ليعترف بان ثمة وجودا موضوعيا خارج الذات وغير متوقف على الوعي .

لذا نجد القومية عند فخته " سلبية " ، وان اصبحت القومية عند فخته مفرغة " كما نقول اليوم " من اي ايجابية فهي " دفاعية ".. ومرجعنا فى هذا الى الامثلة التي ضربها الدكتور عبد الله عبد الدايم في مقاله لاننا نسلم بما نقله عن المصدر الذي نفتقده وانما نختلف في تفسيره.

١) القومية والتحديات الاستعمارية : هذا واضح انها القومية في حالة دفاع ضد عدوان خارجي .

٢) القومية والثورة الاجتماعية : يبشر فيها فخته بمبادىء الثورة الفرنسية نفسها التي يرى نابليون قد اجهضها . هذا واضح ايضا لان مبادىء الثورة الفرنسية هي " الليبرالية " حيث يجب على كل الدولة- والدولة القومية ايضا عند فخته- ان تطلق الحريات ولا تتدخل لا في الحياة الاجتماعية ولا فى الحياة السياسية تبعا لشعارها " دعه يعمل دعه يمر " .

٣) القومية والانسانية : الدكتور نفسه يرد عليها . يقول ان فخته يرى " ان الالمان ليسوا اصفى عرقا من سواهم " مفهوم لان فخته لا يعتمد العرق عنصرا من عناصر الامة او القومية . ثم يضيف ان فخته يرى : " مصدر تفوقهم يكمن فقط في انهم احتفظوا بلغتهم (لم يتبنوا لغات لاتينية محلية كما فعل سواهم في اوروبا) وانهم اقاموا تعادلا بين عرقهم ولغتهم " ،.. وهذا هو المقتل . لان فخته المثالي قد اختار اللغة مقياسا للتكوين القومي ما كان يستطيع ان ينسب التفوق الالماني الا الى التفوق اللغوي . ففضل اللغة الالمانية على غيرها ليفسح المجال لتفوق الامة الالمانية على غيرها، وادان - على وجه خاص - اللغة الفرنسية . لغة الامة التي كانت تصارع المانيا . على اية حال لا يهم مقياس التفوق عند فخته المهم ان " المفكر القومي ، فخته طرح مسألة التفوق القومي. تفوق امة على امة، لا في البناء والتقدم ولكن لأنه في ذات تكوينها عناصر التفوق . وهو اللغة عند فخته. يقول الدكتور عبد الله عبد الدايم : " والقومية الالمانية عنده (فخته) قومية محورها خلق وجود انساني موحد وكل ما هنالك ان المانيا هي التي تقود مثل هذه الدعوة الانسانية " . لماذا المانيا بالذات؟ " بحكم ايمانها بها واستعداد الشعب لها وبسبب لغتها التي تحمل طابعا انسانيا ". لا يمكن ان يفلت من فطنة الدكتور عبد الله عبد الدايم ما تعنيه كلمات " استعداد الشعب ولغته " الانسانية" من مضامين صريحة تبرر كل ما قالته وفعلته النازية ، وما ترده الصهيونية الان من ان اليهود هم " شعب الله المختار ".. ولا يمكن ان يفلت من انتباه أي قارىء ان ذلك الفكر العنصري ضيق الافق يناقض بل يعادي كل ما هو انساني ، ويعادي بالذات مفهوم " الانسانية " ، عند الدكتور عبد الله عبد الدايم كما نعرفه من كتاباته السابقة.

٤) الروح الاقليمية : هذا واضح فانها القومية في حالة دفاع ضد عدوان داخلي .

٥) القومية واللغة : سبق ان اوضحنا تفسيرنا لهذا الاتجاه في ضوء فلسفة فخته التي حصرته في اللغة واذا كان فخته قد قال : " واللغة الفرنسية لغة خائنة ". خائنة للقومية الفرنسية ولا تستطيع ان تولد فلسفة او ادبا او شعرا حقيقيا فقد اعتذر الدكتور عبد الله عبد

الدايم عن فخته عندما قال " في ذلك الحين " . الدليل على الخط انها لم تخن حتى بعد ذلك الحين .

٦) القومية والتربية: هذا واضح ايضا، فحيث يذهب المذهب الى ان كل شيء متوقف علىالوعي وحده تكون التربية هي الوسيلة " الوحيدة " ، لفعل اي شيء.

ليس هذا هو كل شيء...

الاهم- ربما- من كل هذا، ان المثالية قد انتجت- على يد فخته وامثاله من المثاليين - فكرا قوميا "ليبراليا" هو ذات الفكر القومي الذى ساد في القرن التاسع عشر وما بعده بقليل . والذي قال عنه الدكتور عبد الله عبد الدايم انه فكر مختلف. والفكر الليبرالي الذي هو الاساس النظري للرأسمالية. ومع ان هذا الفكر الليبرالي ذاته قد حقق انتصارا كبيرا للحريات في اوروبا واسقط الاقطاع ودافع عن الوجود القومي ضد العدوان الخارجي والتجزئة الداخلية الا انه هو ذاته قد اقام بناء الدولة القومية على اسس رأسمالية . وسينتظر التاريخ قرنا بعد فخته ليثبت امرين ، وبهما يثبت امرا ثالثا. الامر الاول : ان النظام الراسمالي يجهض الان حركة الوحدة القومية اذ انه يضع الامة في قبضة اقلية من شعبها فيحرم الشعب من اية مكاسب كان يربطها بوحدته القومية . الرأسمالية تغتال الوحدة بعد ان تتحقق ٠ الامر الثاني : ان النظام الرأسمالي في نموه طبقا لقوانينه (الحصول على الارباح) لن يتوقف عند حدوده القومية . لن يكفيه ان يغتال الامة التي نشأ فيها بل لا بد له من ان يبحث عن الارباح في امم اخرى . لا بد له من ان يتحول الى عدوان . وعندما يكون منطلقا من دولة قومية واحدة سيستعملها بكل قواها لفرض ارادته خارج حدودها فتحمل القومية ودعوتها وحركتها مسالب العدوان الرأسمالي، فتفسح المجال لاتهام القومية بأنها عدوانية . ولقد دافع الدكتور عبد الله عبد الدايم دفاعا مجيدا عن القومية العربية ضد هذا الاتهام في كتابه الذي اشرنا اليه.

ليس دفاعا مجيدا فقط بل دفاعا صحيحا لانه، " في ذلك الحين " ركز على تبرئة الفكر القومي العربي من اية نسبة الى الافكار التي سادت في القرن التاسع عشر . ومن بين تلك الافكار- كما نعرف- افكار السيد فخته. الامر الثالث : ان الرأسمالية معادية للقومية وهو حصيلة الامرين . معادية للقومية في هذا العصر عامة وللقومية العربية على وجه الخصوص .

اذن،

فان الدعوة الى الرجوع الى فخته لا تتضمن فقط العودة الى فكر بالغ الصلابة في الدفاع عن الوجود القومي ضد ما يهدده من الخارج وما يجزئه من الداخل . ولكنه يتضمن- ولاحيلة لنا في هذا- العودة الى الرأسمالية نظاما والليبرالية منهاجا والمثالية فلسفة . وكل هذا يعني عودة الحركة العربية القومية- ناكصة - عن طريق الوحدة الاشتراكية متنازلة عما قطعته على ذلك الطريق مهما كان ماقطعته قليلا..

هل يعني الدكتور عبد الله عبد الدايم هذا؟

ابدا. قطعا. فما زلنا نتابع كتاباته ومواقفه..

لماذا اختار اذن " فخته "..

الألم العظيم:

ان الانطباع الذي تركه المقال في نفسي هو ان الدكتورعبد الله عبد الدايم يعاني- بشكل حاد- المرارة التي تسمم- الان- حياة كل القوميين وهم يرون امتهم تندفع متردية الى كل ما يناقض وجودها واصالتها وتاريخها ووحدتها ومستقبلها .. وهو هو الذي كتب في السنين المجيدة ١٩٥٨- ١٩٦١ يقول : " لقد بلغت البلاد العربية حدا كبيرا من الوعي والادراك لم تعد في حاجة الى طليعة ملهمة بقدر حاجتها الى طليعة منظمة للالهام . ان على هذه الطليعة ان تدرك انها تعيش في غير زمانها، وتتأخر عن الركب ، اذا حسبت انها ما تزال في طور بث الشعور واذكاء الروح . فالشعور قد بعث الى حد كبير وهو يملك على اية حال القوة الكامنة لاتمام انعاشه " .

ان رؤية الصرح ينهد وقد عاصر بناءه ، حملته على ان يطلق صرخة مشروعة. مشروعة انسانيا. ان مقال الدكتور عبد الله عبد الدايم هو صرخة تقول : " يا ايها الشباب العربي انقذوا امتكم ولو على طريقة فخته ". المقصود الاساسي هو الدعوة الى الانقاذ . وليس المقصود - كما نعتقد- هو العودة الى فخته . وان للانقاذ لافكارا واساليب ليس من بينها - على وجه القطع- افكار فخته واساليب بسمارك. المهم ، انها صرخة لا بد للشباب العربي من ان يستمع اليها ويستجيب لانها صادرة لا من كاتب ولكن من استاذ .

وشكرا للدكتور عبد الله عبد الدايم على ان رفع الحوار الى المستوى الذي نتمنى ان يسود صفحات " الشورى " في عامها الجديد..

عود على بدء :

والعودة على البدء هنا نعني العودة الى الغضب . العودة الى شعور اثاره فينا عبد الله بلال وافلتنا منه على يدي الدكتور عبد الله عبد الدايم وها نحن نعود اليه - مخففا- ونحن نقرأ باقي ملف "الشورى " عن الوحدة مقالا بقلم الاخ محمد الخولي عن تجربة وحدة ١٩٥٨.

قرأت من البداية :

" قد تتعدد المدارس التي نأخذ بها او التي ندعها جانبا في مجال الفكر القومي او الحركة الوحدوية. قد نرفض مثلا نظرية (جوبينو) في وحدة العرق والسلالة. وقد نأخذ مثلا نظرية (فخته) في اهمية اللغة كمقوم للكيان القومي . وقد نوافق (رينان) الى حد من الحدود وقد نسير مع (ساطع الحصري) اشواطا بعيدة ... ولكن ثمة رأيا اثبته مفكر سياسي هو (رانجول) يحوي على بساطته دلالة هامة بالنسبة للفكر القومي والحركة الوحدوية العربية على وجه الخصوص ... ان القومية حس جماعي. ولكي يبلغ هذا الحس الجماعي القومي مرتبته العليا ، ويستوفي شكله الكامل ، يجب ان تنتظر الجماعة خطرا مشتركا . ان القومية لا تسير سيرها العادي ولا تبلغ وعيها العميق لذاتها ولا تتوهج في الاعراق .. الا اذا تعرضت لخطر مفاجيء... "

صدقوا او لا تصدقوا انني لم استطع ان اقرأ بعد هذه الفقرة شيئا.. شيء غامض اوقف انتباهي عندها، واحسست بقلق و اضطراب ونوع من الحذر الفطري الذي يستشعر خطرا لا يعرف مصدره . شدني اليها ما يشبه " الالهام " بان وراءها ما يخيف . فلما عدت الى مراجعي تبينت صدقه . وتبينت ان الاخ محمد الخولي ليس مسؤولا عنه الا في حدود .. ولكنها حدود كافية لوضع كلمات الاخ محمد الخولي على سفود ذي نار متأججة لانه يسأل بقدر خبرته الفكرية وهي خبرة غنية. وبقدر ولائه القومي وهو ولاء ثابت . وبقدر تجاربه في النضال الوحدوي . وقد كان في خضم التجربة التي يتحدث عنها.. ان هذة الفقرة لا يمكن ان تقبل من محمد الخولي حتى لو كان المسؤول عن تسربها الى الكتابات العربية شخص غيره ..

هل استمر؟

دعونا نكسر حدة الانفعال بالحديث في موضوع اخر ثم نعود .. وحديثنا- المتاح- عن " الالهام " العلم والنذير الذي لم يكتشف العلم- حتى الان- سببا له .

عن الالهام:

الالهام هو المعرفة عن غير طريق الحواس والعقل .

نحن نسمع . نحن نرى . نحن نشم . نحن نلمس . نحن نذوق . فنعرف المفردات بخواصها الحسية. ثم ندرك فنعرف بالعقل العلاقات بين المفردات ونصعد الى المعرفة الكلية او المجردة . ثم نعود فنستنبط مما عرفناه مجردا معرفة جديدة بمفردات لم نحسها من قبل . تلك هي جدلية المعرفة. من الواقع الى الفكر الى الواقع . ويتقدم الانسان . المهم ان تلك هي الوسائل الثابتة بالتجربة والاختبار للمعرفة الانسانية . غير انه من المسلم ان الانسان، في بعض الاوقات، يعرف " اشياء " معرفة مباشرة لا تمر بواحدة من تلك الوسائل الست : السمع والبصر والشم واللمس والذوق والادراك العقلي. ويصدق هذا على الرجال كما يصدق على الاطفال ولعل معرفة الاطفال ما لا يمكن ان يتفق مع خبرتهم الحسية المحدودة ، ومقدرتهم العقلية القاصرة ، كان من اهم الادلة على وجود المصدر المباشر للمعرفة غير المتوقفة على الحواس او الادراك . نقول من اهم الادلة لان اهمها اطلاقا هو " معرفة " الحيوان . نعم، فمن العجيب ان تلك الوسيلة الخفية للمعرفة هو الوسيلة الرئيسية التي تتحكم في سلوك الحيوان .

نبدأ بالحيوان .

تقول الفيلسوفة بول برنتون :

" ان ثمة شيئا ضمن عقل الانسان والحيوان لا هو بالعقل ولا بالشعور. بل اعمق من كليهما. يمكن ان يكون وصف الالهام ملائما له . وعندما يتمكن العلم من ان يفسر حقيقة كيف يمكن للحصان ان يتعرف طريقه حاملا فارسه مخمورا لمسافة اميال خلال الظلام حتى يصل به الى المنزل، وكيف يتأتى لجرذان الحقول ان تحفر خنادقها قبل مجيء الطقس البارد، وكيف تتجه الخراف للاحتماء بجانب الجبل بل ان تهب العاصفة ، وما الذي ينذر السلحفاة بنزول المطر قبل نزوله حتى تنسحب للاحتماء في مخبئها، وما الذي يقود النسر لاميال عديدة حيث توجد جثة حيوان ميت.. الخ ". الى ان يتمكن العلم من تفسير ذلك علينا ان نتعلم ان الالهام قد يكون

احيانا مرشدا افضل من الذكاء . ان العلم قد امكنه ان ينتزع من مخالب الطبيعة بعض الاسرار المذهلة ولكنه لم يكتشف بعد مصدر الالهام ".

ثم الاطفال:

فنقول نحن : الى ان يثبت العلم كيف استطاع موزار ان يعزف " البيان " في السادسة من عمره على نحو اذهل كبار الموسيقيين في عصره ، وكيف بدأ رامبرانت يرسم بمهارة فذة قبل ان يتعلم القراءة ، وكيف ألف باسكال مؤلفه العظيم " مفصل الاشياء المخروطية " وهو في السادسة من عمره ، وكيف تعلم يونج القراءة وهو في الثالثة من عمره واتقن ست لغات قبل ان يدرك التاسعة وكيف استطاع جون ستيوارت من ان يستوعب كل مكان يدرس في جامعات انجلترا وكان يعطي "الاطفال " الاخرين دروسا في اللاتينية والادب اليوناني وهو في سن الثامنة .. الى ان يتمكن العلم من تفسير كل هذا علينا ان نتعلم الالهام وسيلة معرفة لا تتوقف على خبرة الحواس ، ومدارك العقل.

ثم الكبار:

١) " يسألونني لماذا اشغل نفسي بالمسائل العامة . انما يدفعني الى ذلك صوت من الابدية كائن في. وقد سمعته لاول مرة منذ ان كنت طفلا صغيرا . (سقراط) " .

٢) " انا لا افعل شيئا لكني اسمع ما يلقى الي فانقله كأن انسانا مجهولا يناجيني في اذني (الفريد دي موسيه) "

٣) " لقد كتبت رواية آلام فرتر غير واع تقريبا حتى لتأخذني الدهشة عندها اقرأها " (جوته).

٤) " ان ارائي الفلسفية جاءت الي بدون تدخل مني في اللحظات التي كانت فيها ارادتي شبه نائمة" (شوبنهور) .

٥) " كان ينطق بقصائده الطويلة وهو في غيبوبة كاملة " (مؤرخ للشاعر الصوفي ابن الفارض).

... ... الى اخره .

لهذه الظاهرة تفسيران اساسيان . احدهما صوفي والاخر روحي .

الكشف الصوفي:

أ- يقول الامام الغزالي:

" لو فرضنا حوضا محفورا في الارض، احتمل ان يساق اليه الماء من فوقه بانهار تقع فيه ويحتمل ان يحفر اسفل الحوض ، ويرفع منه التراب الى ما يقرب من مستقر الماء الصافي فيتفجر الماء من اسفل الحوض ويكون ذلك الماء اصفى وادوم وقد يكون اغزر واكثر.

" فذلك القلب مثل الحوض . والعلم مثل الماء. وتكون الحواس الخمس مثل الانهار.

" وقد يمكن ان تساق العلوم الى القلب بواسطة انهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلىء علما. ويمكن ان تسد هذه الانهار بالخلوة والعزلة، وغض البصر، ويعمد الى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى تتفجر ينابيع العلم من داخله.

ب- وقال محي الدين بن العربي:

" اذا صفى العبد من كدرات البشرية وتطهر من الادناس البشرية اطلع الحق سبحانه وتعالى اطلاعة يهبه فيها ما يشاء من علم الغيب بغير واسطة... ذلك هو الكشف . التفسير الصوفي للالهام.

بالرياضة الروحية والبدنية يرق الحجاب بين الانسان وخالقه حتى يزول فيتلقى الانسان المعرفة تلقيا مباشرأ من الله بدون واسطة من الحواس او العقل " .

الوساطة الروحية:

أ- في جلسة روحية تمت داخل " الكلية البريطانية للعلم الروحي "، صرحت روح الشاعر الاغريقي يوربيدس بانها كانت تلهم شكسبير الشعر. وظلت هذه الواقعة محفوظة لم تعلن لانسان اكثر من سنتين . ولم يعلق عليها احد من الباحثين اية اهمية الى ان نشر جورج برنارد شو، الشاعر والاديب الايرلندي ، بحثا عن شعر شكسبير اثبت فيه انه كان ناقلا عن شاعر الاغريق

القديم . وانه كان متأثرا بشعره الى حد صارخ ، وساق في بحثه شواهد جمة مقارنة بين شعر شكسبير وشعر يوربيدس لتاييد نظريته.

ب- في مصرسيدة فاضلة لم تحصل من التعليم الا قسطه الادنى (شهادة ابتدائية عام ١٩١٤ نظام انجليزي) ولا تعرف من اللغة العربية الا لهجتها الدارجة في القاهرة .. بدأت منذ ١٩٥٢ تتلو- في جلسات روحية – وهي في حالة غيبوبة شعرا تلهمها اياه- كما يقولون- روح الشاعر العظيم احمد شوقي . من حيث لغة الشعر واسلوبه ورصانته لا يخطىء احد في التعرف على احمد شوقي في ابياته. من حيث قصة الالهام فهذه هي المسألة. قالت السيدة :

يا غافلين عن الخلود وملكه

ما العيش في الدنيا مآل يختم

فابغوا الرجاء على امتداد نوالكم

في الخلد اذ يبقى الفعال القيم

فهناك في اوج العلا رغيبة

هي كل ما وهب الاله الاكرم

ونوالها وقف على من ايقنوا

كنه الخلود فايدوا واسترحموا

والله اعلم .. ثم نعود الى محمد الخولي .

الخطأ الخطر:

ببساطة شديدة، اذا كانت الامة وجودا اجتماعيا موضوعيا نشأ تاريخيا فان للقومية علاقة انتماء بها، موضوعية وتاريخية ايضاً، ويكون وجودها او عدم وجودها غير متوقف على وعينا. اذا لم ندرك الامة وعلاقتنا بها فهي موجودة والعيب في وعينا. اذا وعينا ذلك الوجود فقد وعينا معه علاقتنا بامتنا اي وعينا " قوميتنا" .- - اذن لدينا الامة ظاهرة موضوعية. علاقتنا بها

ظاهرة موضوعية ايضا. وعينا هذه العلاقة عنصر ذاتي قد يتوفر في بعضنا وقد لا يتوفر ولكنه لا يؤثر وجودا وعدما لا في الامة ولا في القومية . انما يؤثر في " الحركة القومية" . وتأخذ الحركة القومية شكلين . شكلا ايجابيا وهو الاصل . ونعني به بناء الحياة فكريا واقتصاديا واجتماعيا وسياسيا على اسس قومية . التقدم من الواقع القومي . هذا هو الاصل في الحركة القومية . وهي لانها حركة بناء فهي حركة هادئة ولا تحتاج لكل الصخب والعنف والعراك الذي تأخذه الحركة القومية شكلا جديدا عندما يتهددها الخطر . عندئذ- في حالة الخطر- تتألق الحركة القومية وتعنف بقدر عنف الخطر الذي يتهددها. وتكون غاية الحركة القومية انهاء هذا الخطر بتصفية مصدره لتعود الى سياقها القومي الاصيل، بناء حياة افضل للبشر فيها بدون صخب او عنف او عراك او عداء .

ثم تأتي النظريات .

منها ما يبدأ بالعنصر الموضوعي . اي يبدأ بحثه في القومية من موضوعها " الامة " او احد عناصر هذا الموضوع (اللغة- الارض – التاريخ .. الخ) . ومنها نظريات فخته الالماني واجتهادات ساطع الحصري العربي وكثيرين غيرهما . قد يصيب بعضهم او يخطىء في الاحاطة بالظاهرة الاجتماعية الموضوعية " الامة " ولكنها دراسة تبدأ من المنطلق الصحيح . فعندما يثبت ان ثمة امة، يثبت ان ثمة قومية ، ثم ننتقل بعد هذا لنعرف مدى وعي الشعب بقوميته ومدى استعداده لترجمة هذا الوعي فى حركة قومية . حركة بناء في الاصل وحركة دفاع عن الخطر...

ومن النظريات ما يبدأ بالعنصر الذاتي . يفتش في افكار الناس ، ووعيهم ، عن الامة . وقد يصل- برغم خطأ المنطلق - الى اكتشاف الامة في وعي الناس ، الشعور بالانتماء فالانتماء القومي ، فالامة كواقع موضوعي . غير ان هذا الطريق الخاطىء كما يتضمن امكانيات الوصول الى الحقيقة يتضمن امكانيات تزييفها . الواقع الموضوعي غير قابل للتزييف والافكار قابلة تماما للتزييف خاصة اذا كانت قوى التزييف منظمة.. من تلك النظريات ما قاله رينان الفرنسي . كان رينان، في نظريته عن القومية، يريد ان يخدم غاية سياسية. كانت الالزاس واللورين وهما جزءان من الامة الفرنسية تحت الاحتلال الالماني، وكانت فرنسا تسعى الى استعادتهما عن طريق الاستفتاء، فانطلق رينان يعلق القومية على وعي الناس لها وارادتهم اياها .. كانت النتيجة في خلفية ذهنية مضمونة.. ولكن لماذا كانت مضمونة؟ لا لأن سكان الالزاس واللورين " يريدون " الانضمام الى فرنسا الدولة ولكن لانهم كانوا اصلا جزءا من امة فرنسية مكتملة التكوين .

كانت ارادتهم تعبيرا عن وعي بوجود قومي سابق على تلك الارادة وسابق على الاحتلال الالماني . وكان خطأ رينان انه اقام نظريته على فروع الشجرة القومية، قاطعا الصلة بين ثبات الفروع وعمق الجذور.

اما عن الخطر الكامن في هذه النظرة الخاطئة فله نماذج عدة، اهمها واخطرها هو الصهيونية . فاليهود بشر يؤمنون بدين معين ، ولكنهم ينتمون الى امم شتى . واهم ما يفتقدونه ليكونوا امة، هو عنصر الارض الخاصة بهم والتفاعل التاريخي بينهم وبين تلك الارض الذي ينتج حضارة خاصة. ولكن الصهيونية كحركة من افرازات الرأسمالية الاوروبية وفي خدمتها، تريد ان تكسب ارضا باسم القومية، فطرحت اليهود كأمة . اين الارض وتاريخكم معها؟.. لا يهم . إن وجود الامة غير متوقف على الارض وعلى التفاعل معها؟.. ماذا عندك اذن يجمع بينكم؟.. وحدة الشعور بالخطر. ان ذلك هو العنصر الاساسي في القومية ؟ .. واين مصدر الخطر . كراهية الناس لنا...

هذه هي النظرية الصهيونية في القومية.

ونحن لا نرفضها لانها نظرية صهيونية، بل نرفضها اولا لانها خاطئة ثم لانها خاطئة يكون استدراجنا اليها خطرا. ان المبدأ الاساسي لكل حركة قومية، ومنها الحركة القومية العربية، هي ان تكون لكل امة واحدة دولة واحدة . ممارسة هذا المبدأ في الواقع تتوقف على فهمنا لظاهرة الامة والقومية. ويوم ان نقع في الخطأ العلمي ونعترف ولو ضمنا بان " القومية حس جماعي كامل، ولكي يبلغ هذا الحس الجماعي القومي مرتبته العليا، ويستوفي شكله الكامل، يجب ان تنتظر الجماعة خطرا مشتركا . ان القومية لا تسير سيرها العادي ولا تبلغ وعيها العميق لذاتها ولا تتوهج في الاعراق الا اذا تعرضت لخطر مفاجيء " ، وهي الفقرة التي اوردها الاخ محمد الخولي واسندها الى رانجول نكون قد قبلنا النظرية الذاتية في الامة والقومية ، فيكون علينا ان نعترف بأن اليهود أمة، ثم يكون علينا ان نقر لهم بحق في ان تكون لهم دولة واحدة . وتلك منزلقات تبدأ بالخطأ وتنتهي بالخطر. لهذا كنت اتمنى الا يذكر استاذ كبير في الفكر القومي هو الدكتور عبد الله عبد الدايم في مقاله المنشور في العدد الحادي عشر من " الشورى " بعنوان " من فخته الى القومية العربية ".. اقول كنت اتمنى الا يتضمن مقاله تلك الجملة التي يقول فيها :

" فترة تناضل فيها الامة ضد شكل جديد وخطير من اشكال العودة الى القومية المتحكمة المسيطرة على نحو ما نجد في فلسفة الكيان الصهيوني. "

ان مثل هذا النص قد يعني الاعتراف بان الصهيونية قومية ولو وصفت بانها " متحكمة ومسيطرة " فيبدأ بها المنزلق الخطأ الى الموقف الخطر. ولا شك في ان استاذا خبيرا بالفكر القومي ومدارسه مثل الدكتور عبد الله عبد الدايم يعرف انه لا يمكن ان تكون لنا- نحن العرب- نظريتان في القومية، احداهما نطبقها على موقفنا من قضيتنا والاخرى نطبقها على قضايا الاخرين، واننا يجب في كل حالة إن تطبق نظريتنا وحدها . نطبقها على موقفنا وموقف الاخرين . وان اية نظرية في القومية تساوي بين الوجود العربي والوجود الصهيوني في القومية لا بد من ان تلزمنا مواقف لا تتفق مع نظريتنا واهدافنا.

ليس هذا هو كل ما في الامر.

في الامر امور اخرى ليست اقل خطرا من ترويج الفكر الخاطىء . انه الموقف من هدف الوحدة. اننا اذ ننطلق من موقف ذاتي في الرؤية القومية (الشعور بالانتماء . الحس الجماعي . الوعي الشعبي.. الخ) نكون ملزمين بان نستفتي في الوحدة كل فرد عربي . نستفتيه اولا فيما اذا كان يعي ام لا يعي الوجود القومي . نستفتيه ثانيا فيما اذا كان يقبل العلاقة القومية ام لا يقبل .. قبل ان نستفتيه فيما إذا كان يريد الوحدة ام لا يريد . ويكون علينا اذا اسفر الاستفتاء الأول عن فقر في الوعي ان نقول : لسنا امة عربية وان اسفر الاستفتاء الثاني عن رفض القومية ان نلغي العلاقة الموضوعية بين امتنا و بيننا. والغاء ماهو موضوعي مستحيل فالاستفتاء عليه عبث . ثم ان نعلق الوحدة التي هي مجرد تجسيد سياسي لواقع قومي موضوعي على آراء اعداء الوحدة او المستفيدين بالتجزئة..

وغير هذا كثير من الاخطاء والمخاطر .

والواقع انني عندما قرأت الفقرة التي ذكرتها شعرت بانني التقيت بها او بمثلها في مكان ما وزمان لا اذكره فلم يكن توقفي الهاما صوفيا او روحيا . الا اذا اخذنا بتفسير الامور للالهام بانه الظهور المفاجىء لمعرفة قديمة كامنة ومختزنة ومنسية . وبدأ البحث.

الاخ محمد الخولي يحيل الى كتاب " هذه قوميتنا " تأليف الاستاذ عبد الرحمن البزاز . نعم الفقرة منقولة من هناك . يفتتح بها عبد الرحمن البزاز الفصل التاسع من كتابه. ولكنه ينسبها الى زانجول وليس رانجول ، وهو لا شك خطأ مطبعي من " الشورى " . ولكنه لا ينسبها الى مرجع . فمن هو هذا الكاتب السياسي كما اسماه عبد الرحمن البزاز، والمفكر السياسي كما اسماه محمد الخولي .

تقول مراجعنا:

اسرائيل زانجول :

كاتب يهودي ولد في لندن يوم ١٤ فبراير ١٨٦٤ وتوفي يوم اول اغسطس ١٩٢٦ درس اولا في المدرسة اليهودية المجانية (مؤسسة صهيونية) ثم اصبح مدرسا فيها ثم اصبح صحفيا الف ثلاث روايات خدمة للصهيونية . اطفال الجيتو (١٨٩٢) ومآسي الجيتو (١٨٩٣) واحلام الجيتو (١٨٩٨) ثم الف اربع مسرحيات لذات الغرض : ماري آن (١٩٠٣) مال اكثر مما يلزم (١٩١٨) اناء الصهر (١٩٠٨) اله الحرب (١٩١١). وشغل منصب " رئيس منظمة توطين اليهود " . هذا هو زانجول الذي ولد صهيونيا ومات صهيونيا، والذي يقول محمد الخولي ان رأيه " يحوي على بساطته دلالة هامة بالنسبة للفكر القومي والحركة الوحدوية العربية على وجه الخصوص " .

ولكنا قلنا ان محمد الخولي ليس مسئولا الا مسئولية محدودة .

المسئول الاول، الاساسي، هو مؤلف كتاب " هذه قوميتنا " الذي لم يكلف نفسه حتى عناء ذكر المرجع الذي تعرف فيه على اسرائيل زانجول .

الا يكفي كل هذا سببا لافساد غبطة الاحتفال المرح بالعيد الاول " للشورى " ؟..

يكفي واكثر.

افسدتم عيد الشورى.. سامحكم الله ..

وبرغم كل شيء... كل عام وانتم جميعا بخير..

القاهرة في ٢ مارس ١٩٧٥

التصحيح الذاتي :

" التصحيح الذاتي، اجتهاد في ترجمة كلمة Automation . وهي كلمة استعملت لاول مرة عام ١٩٣٦ لتعني تزويد ادوات الانتاج آليا باحتياجاتها في كل مرحلة من مراحل الانتاج . هذا المفهوم تجاوزه تطور العلم الحديث فاضاف اليه لاندون جودمان سنة ١٩٥٦ ما يعبر عن استعمالاته التي تنوعت وشملت اوجها كثيرة من النشاط الصناعي والتنظيمي . اضاف اليه "علم التصحيح الذاتي". بمعنى انما تتولى الالة ضبط حركتها وتصحيح ما قد يعترضها من عوامل الخلل لتظل دائما في الوضع الصحيح وذلك عن طريق اجهزة اضافية ملحقة بها تراقب وتصحح بدون تدخل من الانسان. ويمكن فهم هذه العملية بسهولة اذا تذكرنا ابسط صورها : " الثلاجة الكهربائية" ففي الثلاجة جهاز- حساس يسمى " الترموستات " مهمته مراقبة درجة الحرارة ، او درجة البرودة على الاصح، بحيث لا تتجاوز زيادة او نقصا درجة معينة . فعندما تزيد درجة البرودة عما يلزم يتولى الترموستات- اليا- قطع التيار الكهربائي فيتوقف جهاز التبريد وتبدأ " الحرارة في الارتفاع بفعل تأثير المناخ الطبيعي، الى ان تصل الى تلك الدرجة المعينة سلفا، " فيحسها " الترموستات، فيعيد وصل التيار الكهربائي ويبدأ الجهاز في التبريد.. وهكذا دواليك .

كما لو كانت " الشورى" قد بلغت حد الاتقان فهي تصحح ذاتها . هو حلم فقد جاء التصحيح صدفة . اصاب " اتصالات " الشورى خلل فلم يصلها نقد العدد العاشر الذي كان ظهوره متوقعا فى العدد الثاني عشر. نقد العدد العاشر هو نقد العدد الحاضر. هو مرتبط بالموضوعات التي نشرت فيه. كانت جلها عن الناصرية وعبد الناصر . فكان من شأن الخلل الذي قطع اتصالات " الشورى " ان يغيب عن القراء ما كتبه ابوذر وشكواه الى الله مما كتب وما لم يكتب، في العدد العاشر .

قلنا جاء التصحيح صدفة.

العدد الثاني عشر الذي نعلق عليه الآن اتى عامرا بالحديث عن عبد الناصر والناصرية. اربع مقالات كاملة عن الموضوع ذاته وما يزال الموضوع ذاته في حاجة الى ما لم يكتبه الكاتبون لا في العدد العاشر ولا في العدد الثاني عشر . كأن العدد الثاني عشر يقول لابي ذر، لا عليك فهاهنا

على صفحاتي احمل اليك بديلا عن العدد العاشر فانظر هل ما يزال نقدك هو نقدك فينشر . اقول ما يزال ولكن ليس تماما . ولكن ما فيه يكفي لنشر النقد الذي كاد يغيب . وهكذا صححت " الشورى " خلل " الشورى ". صدفة. ولكنى لست واثقا تماما من ان التصحيح كان كله صدفة هل كان صدفة مثلا ان ينشر الجزء الثاني من مقال " الناصرية ثورة مستمرة " الذي كتبه الاخ اياد سعيد ثابت في العدد الثاني عشر تحديدا . صدفة او لا صدفة انه تصحيح ذاتى آخر. ان ما كتبه الاخ اياد في العدد الثاني عشر جاء تصحيحا للجزء الاول منه الذي نشر في العدد العاشر. تصحيح عن طريق الاكمال . الان عرفنا ما يريد ان يقول . فلعل قراء " الشورى " ان يكونوا محتفظين بالاعداد ليعيدوا قراءة "الناصرية ثورة مستمرة " قراءة كاملة.. حتى لا يظلم احد اياد سعيد ثابت.. ولا يظلم احد ابا ذر عندما تستفزه الكتابات المبتورة..

الهي،

اني اسحب شكواي فيما يخص اياد سعيد ثابت...

مؤقتا!!

النقد... :

قال رئيس التحرير الاخ جمعة المهدي الفزاني في آخر مقاله الذي قدمه الى القراء على مدى عام كما تقدم الادوية المرة : قطرة قطرة . او حبة حبة. قال :

"والشورى " اذ تختتم سنتها الاولى ، تأمل من قرائها الوقوف معها وقفة موضوعية ندرس فيها جميعا، مسار الشورى خلال سنتها الاولى، ومدى التزامها بما طرحته في عددها الاول والمتمثل في :

- بلورة الفكر القومي بكل مقومات الاصالة فيه .
- بلورة مسيرة قوى الثورة العربية على كل ساحات الوطن العربي لتكون الثورة بالجماهير وللجماهير.
- الاسهام في تكوين الانسان العربي بكل ما يتطلبه بناء الانسان من فكر اصيل وحركة مستمرة.

- الاسهام في تعميق الروابط الفكرية والنضالية لحركه الثورة العربية اثراء للنضال الثوري العالمي.

ثم سأل :

- هل حققت الشورى بعضا من طموحاتها ؟.. سؤال نترك الاجابة عليه لكل المساهمين ايجابيا مع الشورى كتابا.. قراء..

ابوذر من الكتاب القراء يجيب بالنيابة عنهم فيقول :

لا .

لم تحقق الشورى بعضا من طموحاتها. حققت الشورى .. شيئا آخر . لقد استطاعت ان تصدر بانتظام وتعيش عاما كاملا بالرغم من ان اسباب الحياة لم تكن دائما متوفرة . يعني هذا ان طموحات " الشورى " ما تزال " هوية مستقبلية " وهو التعبير الذي حدثنا عنه رئيس التحرير حديثه- الطويل المتقطع .. وهذا يعني ان على " الشورى " ان تبذل مزيدا من الجهد، لا لتعيش هذه المرة فاني احسبها قد تجاوزت أمراض الطفولة، بل لتحقق بعضا من طموحاتها..

اهم ما كان ينقص " الشورى " في العام الذي انقضى هي ان مادتها كانت " اخف " مما يتفق مع العنوان الذي اختارته لنفسها : " مجلة الفكر القومي التقدمي " . لم يفرق كتاب الشورى بين المقال الذي يصلح للنشر في جريدة يومية او مجلة اسبوعية، ينشر لينسى، وبين المقال الذي ينشر في مجلة فكرية . ينشر ليكون وثيقة علمية ومرجعا للدراسة. فجاءت اغلب المقالات سهلة. سهلة التناول سهلة المادة . أعني ان قلة قليلة ممن كتبوا في " الشورى " طوال العام الماضي من بذل جهدا خاصا ليكون مقاله غير قابل للاستغناء عنه بعد القراءة . ولقد كان هذا يستفز ابا ذر في بعض الاعداد والى حد الظن ، بان الذين يكتبون في " الشورى " يكتبون لانهم يريدون ان يكتبوا. اي يفرزون كلاما تلقائيا كما يفرز المجهدون عرقهم . بدون مجهود . وكاد الظن يذهب الى اكثر من هذا .. وكان ابوذر يصبر ويغفر ثم ينبه ويحذر حتى لا تموت " الشورى " على ايدي كتابها..

العيب الثاني كان التزاحم على " حفنة " من المعاني .

في العدد الثاني " ابدعت الشورى " فهرسا بالموضوعات والكتاب . اشهد انه جاء من فرط ابداعه مثيرا للغبطة حتى أنني ضحكت من براعته. يبدو الفهرس وقد ملأ واحدا وعشرين صفحة، وبالحروف الصغيرة، مؤشرا " لتخمة " الشورى بالمواد والكتاب . فتكاد تبدو " الشورى " من فهرسها موسوعة اخرجت في ١٢ جزءا على مدى عام . والواقع غير هذا. لقد استغلت " الشورى " الحروف الابجدية لتورد تحت كل حرف منها ، كل حرف مماثل كتب في الشورى . فكاد الفهرس- في واقعه- ان يكون معجما للكلمات التي استعملها كتاب الشورى في عام . فعنوان " على السفود "- مثلا الذي نشر ثماني مرات فقط ورد في الفهرس في ٦٩ موضعا. وكان اطرف ما في الفهرس عنوان كبير تحت حرف الراء يقول " رئيس التحرير " وتحته " انظر جمعة المهدي الفزاني ".. وهكذا.

ان هذا الابداع الطريف لا يخفي ان اغلب ما كتب في " الشورى " على مدى العام يدور حول حفنة من المعاني عن " الوحدة " وحفنة من المعاني عن " الناصرية " تزاحم عليها الكتاب وصاغوها هي هي بكل صيغة ممكنة. هذا يعني ان " الشورى " كمجلة لم تقدم الى القراء الا تلك الحفنة من المعاني التي كان يمكن ان ترد في عدد واحد، وان ما جاء تكرارا لها لم يضف شيئا جديدا يستفيد منه الذين يشترون الشورى ليستفيدوا منها.

والنقد الذاتي:

على غرار التصحيح الذاتي قد جاء وقت النقد الذاتي . ليس مقبولا من ابي ذر ان يكون ناقدا ولا يتعرض للنقد . كأنه لا يخطا ابدا . كأنه المرجع الاخير فيما هو صائب وما هو مخطىء . الواقع ان هذا كان اول نقد سمعته لما يكتبه ابوذر . ثم تكرر. ان ابا ذر متهم بالاستعلاء وانتحال " الاستاذية " وهو مقيت . مقيت كموقف ومقيت اثره الذي يحدثه في نفوس الاخرين . فلا احد- حتى الجهلة والاغبياء- يقبل ان يوضع موضع التلميذ ممن يدعي " الاستاذية ".. انها تهمة صحيحة ولكن ابا ذر غير مسئول عنها . لقد كانت تهمة متوقعة فناقشها ابوذر مع جمعة المهدي الفزاني في اول لقاء بينهما. كانت الخلاصة انه لو فتح باب نقد النقد لكان نقد النقد مفتوحا لنقد جديد وهذا لنقد اخر وهكذا " دواليك " ايضاً . (دواليك من دال اي تحول الى حال آخر) .. وهي حلقة مفرغة لا بد من ايقافها عند حد. وبمناسبة دخول الشورى ، عامها الثاني اعيد طرح المسألة، فاقترح ابوذر ووافق رئيس التحرير، او اقترح رئيس التحرير ووافق ابوذر،

لا اذكر من الذي اقترح ومن الذي وافق، ان تضم "الشورى " في عامها الجديد بابا جديدا لرسائل القراء يكون متنفسا للذين يبحثون عن طريقة لوضع صاحب السفود على السفود . فعسى أن يرضى هذا الكاظمين الغيظ بالرغم من انه يسلبهم ثواب الصبر ..

ثم قيل ، ان ابا ذر الذي يتحدث عن نفسه " كشيخ " يبالغ في بعض الاوقات في المداعبات وهو ما لا يتفق مع وقاره . وهي تهمة ليست صحيحة وعسى ان يكون ابو ذر في عامه القادم اقل جهامة وصرامة .

ثم قيل ، ان ابا ذر ياخذ من الباب "على السفود" مجالا لاستعراض معلوماته. انه من خلال اشارات الى مجالات متنوعة من المعرفة يريد ان يقول للقراء : " انظروا كم انا مثقف وكم اعرف من فنون العلوم " ، " الاستعراض " مرض نفسي فابوذر مريض .. فاقول لقد كان من الممكن ان تكون التهمة صحيحة لو انني كنت اعرف كل ما اكتب قبل ان التقي " بالشورى " عددا عددا . الواقع غير هذا تماما. كل ما في الامر انني فعلت ما لم يفعله الكثيرون من كتاب الشورى وقرائها . اخذت من نقد " الشورى " حافزا على المزيد من الثقافة والمعرفة . وكثير مما كتبته من طرائف العلوم لم يكن يخطر لي على بال قبل ان تحرضني " الشورى " على بذل الجهد في البحث لكي اكتب للقراء شيئا مفيدا. ان ابا ذر، اذن ، لا يستعرض في كل عدد من الشورى ما يعلم ، بلى انه - حقا- يتعلم مع كل عدد من الشورى ويبذل في سبيل هذا جهدا لا يتفق مع كهولته او شيخوخته.. وهذا هو الجزاء الاكبر على ما نبذل من اجل القراء..

اقول..

ان النقد الاساسي الذي يستحقه ابا ذر انه بقي على " هامش " الشورى فلم يسهم اسهاما مباشرا في اغناء مادتها بما يستطيع . الزم نفسه قيود النقد الثقيلة فلم يقدم ما عنده الا ما يكون تابعا لما يقال. وما يقدمه سلب في اكثره . نقد . والاغناء عطاء وليس سلبا. اعني ان النقد لايكون بناءا الا اذا لحق البناء بالهدم . وهكذا كان على ابي ذر ان ينتهزفرصة نقده لاي مقولة منشورة ليطرح ما يعتبره تصحيحا لتلك المقولة او اضافة الى ما يقال . عندئذ يكون اعطى القراء أكثر من " فرحة الشماتة " في بعض الكتاب .. وهذا نقد صحيح . اخشى- فقط- ان يتحول باب " على السفود " الى مقالات بقلم ابي ذر فيفقد طابعه النقدي . اخشى ان يطغى ابو ذر فلا ينقد ما يقال بل يصادر النقد بما يقول ..

مع بداية العام الثاني من حياة "الشورى" حاولنا تجربة جديدة في التعليق على مقال الدكتور عبد الله الدايم . مع الاحتفاظ بالطابع النقدي لباب " على السفود " نلتقط الخيط من اية مقالة جيدة ليكون مدخلا الى دراسة تتجاوز النقد السالب الى الاضافة البناءة . هكذا طرحنا - على سبيل التجربة- دراسة مختصرة في الفلسفة المثالية واثرها في الفكر القومي من خلال نقد دعوة الدكتور عبد الله عبد الدايم للعودة الي المفكر القومي والفيلسوف الالماني فخته.

كانت الدراسة ثقيلة. بدت لابي ذر بعد كتابتها أثقل مما يطيقه باب "على السفود " غير ان الرأي الاخير للقراء . إلى ان نعرف رأي القراء من خلال رسائلهم سنستمر في التجربة . سيثقل وزن الحديث ويطول ولكنها محاولة . محاولة يستجيب لها ابو ذر تفاديا لنقد ما نشر من قبل . ويضع بها قدما داخل "الشورى " مع الكتاب ، مع الابقاء على القدم الاخرى خارج " الشورى " مع القراء . انه موقف غير مريح . مع ذلك لنجرب..

الثورة الاجتماعية وقضية الوحدة العربية:

هذا مقال جيد كتبه احمد شرف.

البداية : "عند ملتقى هذين الرافدين من روافد الفكر العربي تصعب محاولة الملاحة والخوض في تدفقات التيار المنساب من اندماجهما في مجرى الفكر العربي الواسع . فعند نقطة الملتقى هذه تكثر الدوامات وتتعدد المواقف حتى لتبدو الصورة وكأننا امام صخرة شماء تتكسر على نتؤاتها كل محاولات الوحدة العربية، فكرا وتنظيرا وتطبيقا ".

انه استهلال بلاغي رائع يتضمن اكبر قدر من التحذير - بحق- من صعوبة الموضوع .

النهاية : ".. ان قضية الوحدة العربية وارتباطها بمراحل الثورة الاجتماعية العربية قضية تحتمل كثيرا من جهود البحث خاصة فيما يتعلق برسم ابعاد المرحلة التي تحياها الثورة العربية في مجالها الاجتماعي لتحديد القوى المشكلة لها ورسم مواقعها الاجتماعية والفكرية بطريقة ادق ، ومدى تطابق مواقف القوى من كل اهداف نضال الثورة العربية بما فيها هدف الوحدة الطبيعي والموضوعي والمنسق مع حركة التاريخ " .

خاتمة رصينة، مجردة من الادعاء، علمية، تتضمن دعوة الى مزيد من الحوار .

يعجبني تواضع الواثقين من مواقفهم .. الى ان يقدم اليهم الحوار جديدا . والاخ احمد شرف واحد من القلة الذين يستطيعون ان يخاطبوا الناس متواضعين ، بدون ان يتضمن هذا التواضع ملامح اي شك في صحة افكارهم ، وبدون أن تمثل الثقة بصحة تلك الافكار اية ملامح لمصادرة المعرفة. الحوار مع امثال الاخ احمد شرف ممتع ومفيد..

حوار ابي ذر حوار نقدي بالضرورة . اذن، تفضل اخ احمد .. على السفود .

شكرا.

ما بين البداية والنهاية :

... مقال الاخ احمد شرف ثلاثة اقسام .

في القسم الاول يطرح السؤال : " ما هو مفهوم الثورة الاجتماعية" ؟ لكنه لا يجيب اجابة مباشرة. لو اجاب كما يتسرع ويفعل كثير من الشباب الذين يحاولون الكتابة لاصطدم مباشرة بسؤال مضاد تقليدي : كيف عرفت ان هذه الاجابة صحيحة ؟ . فيضطر الى العودة لطرح منطقه في فهم السؤال وفي الجواب . يعود ليطرح منهجه. احمد شرف يبدأ من البداية الصحيحة فيطرح مقياس صحة الجواب قبل ان يجيب . وسيظل السؤال : " ما هو مفهوم الثورة الاجتماعية " معلقا الى ان يأتي الجواب عليه تلقائيا، ومنطقيا، في نهاية القسم الثاني . انصح كل الشباب الذين يحاولون الكتابة ان يلتزموا هذا الاسلوب الصحيح في طرح افكارهم . ان يبدأوا بالقاعدة او القواعد او القوانين التي سيستخدمونها بعد ذلك في فهم الظواهر والاجابة على الأسئلة التي تطرحها..

يرفض أحمد شرف من البداية.. " الالفاظ الطنانة التي لا تغني واقعنا بشيء ، والتي لا تستطيع دفع القوانين الاجتماعية على الابتعاد عن مساراتها وحتمياتها ابدا " . هكذا يعلن احمد شرف من البداية ان ثمة قوانين اجتماعية حتمية هي التي سيأخذها ضوابط فهم السؤال والجواب عليه.

اين توجد هذه القوانين؟ كيف يمكن معرفتها؟

يقول : "هنا يبرز التاريخ الاجتماعي العام او بتعبير ادق التطور العام لنمو المجتمعات كمستودع حي وغني بالزاد يحد ابعاد هذه الظاهرة ويبين اركانها وعلاقاتها اكتشافا للقوانين

الموضوعية الحاكمة لمساراتها " اذن ، ففي " حركة التطور العام لنمو المجتمعات " سيكتشف او سيكشف احمد شرف عن القوانين الاجتماعية الحتمية تمهيدا لاعادة استخدامها، اعني القوانين، في الاجابة على سؤال : ما هو مفهوم الثورة الاجتماعية ؟ ...

" فماذا يقدم تاريخ تطور المجتمعات "؟..

يبدأ احمد شرف تحت هذا العنوان الفرعي طرح "التاريخ " طرحا ماركسيا تقليديا . المشاعية البدائية الاولى المتميزة بان " ادوات الانتاج " كانت بدائية تماما فهي اما حجر لقذف الحيوان بغرض اصطياده للطعام او بغرض اتقاء شره واما جذع شجرة .. الخ ". ثم يدخل في الحلقة الثانية من حلقات ، الثورة الاجتماعية مدخلا "مفاجئا " (سنعود اليه) فيقول : " بدخول المجتمع البشري الطور العبودي بدأت حلقة ثانية من حلقات التطور الاجتماعي الحادث نتيجة ثورة اجتماعية شاملة ومتعاقبة الحلقات. فمع حلول هذا الطور سارت ادوات الانتاج (لنلاحظ ان ادوات الانتاج هي التي سارت .. أي هي الفاعلة) في خط تطورها المتصاعد وبدأت علاقات الملكية تمتد من الاشياء الى الانسان ذاته . فالحروب القبلية كثيرة والاسرى يزداد عددهم ثم يتحولون لدى المنتصر الى عبيد يزدادون دوما الى ان تتكون طبقة العبيد الغير مالكة . (صحتها غير المالكة) بل المملوكة ". الحلقة الثالثة هي الطور الاقطاعي . تم الانتقال اليه نتيجة ثورات العبيد ضد السادة . " فمع مجموعة من التراكمات الكمية التي بفعل تقدم الانتاج وفنونه التي ابدعت ادوات انتاج جديدة اخذت تعكس بدورها انماطا انتاجية وعلاقات انتاج اكثر رقيا من مجرد علاقة المشاعية البدائية الى علاقات تغطي نوازع الفرد ورغباته في السيطرة والاستئثار وممارسة كل ذلك على الاخرين الذين يسلبهم قوتهم بتحويلهم الى عبيد ".. هكذا تكون المجتمع العبودي " بعد ذلك الوقت توالت التراكمات عبر فترات ومراحل مختلفة قد تجوز تسمية كل فاصل منها بانها ثورة اجتماعية في حد ذاتها. ان تقدم الفن الانتاجي خاصة في مجال الزراعة وبعض الأنشطة الحرفية والتجارية افرز ادوات انتاج جديدة أكثر رقيا ساعدت بدورها على نشوء علاقات اصبحت معها حالة ملكية الفرد حالة غير مستطاعة تحول بموجبها الفلاح الى ملازم للعين او الارض على اساس علاقة قنية " . هكذا نشأ العهد الاقطاعي . ثم ".. مع استمرار عملية تحلل المجتمع الاقطاعي (لم يقل لماذا تحلل) اخذت ملامح المجتمع البورجوازي الذي يتميز بالرقي الكبير في تطور ادوات الانتاج واساليب الانتاج والذي يتميز بعلاقات انتاج اكثر عمقا في طبيعتها الاستغلالية " . وهذا هو العهد الرأسمالي .. ولكن: " من يقدم الثورة البورجوازية على انها ابعد واعمق في مفاهدم الثورة الاجتماعية لا يعدو الا ان يكون شخصا حبيس الفكر المغلق لان النظام

الراسمالي ذو طبيعة متطورة " . ومن ثم كان لزاما لخط رقي المجتمعات العام الا يقف الا عند نظام يحل فيه الصراع الطبقي بصورة نهائية ذلك هو النظام الذي تتحدد مرحلته الاولى بسيادة حكم الطبقة العاملة وباقي الكادحين في تحالف يكون هدفه تصفية العلاقات الاستغلالية واسبابها الموضوعية الكامنة في الملكية الخاصة لوسائل انتاج السلع والخدمات " .. لم يقل ما هي "مرحلته الثانية" .. ولكنها معروفة. انها الشيوعية. ذلك لان احمد شرف يعرض مختصرا لما عرف في التراث الماركسي باسم " المادية التاريخية " أو " التفسير المادي للتاريخ " . ولقد كان يمكن الاشارة اليها باعتبار انها من الادبيات السياسية الشائعة لولا حرصنا على ان نضع امام القراء ما نشر في عدد سابق .

اين هي القوانين التي تضبط التطور العام للتاريخ ؟ .. لم يذكرها احمد شرف صراحة. ولم يكن يستطيع ان يذكرها في مقاله. وهو ليس في حاجة الى ذكرها صراحة . لانها معروفة ايضا وشائعة في الادب الماركسي، ولانه من السهل استخلاصها من " طرح التاريخ " على الوجه الذي طرحه أحمد شرف .

صحيح ان ثمة ثغرات في سياق الطرح . فلم يقل لنا مثلا كيف ولماذا تطور عهد المشاعية البدائية الى العهد العبودي . ألأن " الحروب القبلية كثيرة والاسرى يزداد عددهم ثم يتحولون لدى المنتصر الى عبيد يزدادون دوما الى تتكون طبقة العبيد الغير مالكة بل المملوكة "؟، كما قال . وإذا كان الامر كذلك فلماذا كثرت الحروب القبلية في عهد المشاعية البدائية؟.. ألأن " تقدم الانتاج وفنونه التي ابدعت ادوات انتاج جديدة اخذت تعكس بدورها انماطا انتاجية وعلاقات انتاج اكثر رقيا من مجرد علاقة المشاعية البدائية إلى علاقات تغطي نوازع الفرد القوي ورغباته في السيطرة والاستئثار وممارسة كل ذلك على الاخرين الذين يسلبهم قوتهم بتحويلهم الى عبيد" ؟. عندنا هنا ثلاثة عوامل : " نوازع الفرد القوي " و" ادوات انتاج جديدة " و" اسرى يتحولون الى عبيد"؟

فايها كان البداية حتى تحولت المشاعية البدائية الى عبودية؟

من اجل اشباع نوازع الفرد القوي ابدع ادوات انتاج جديدة وقاتل فكان الاسرى عبيدا، ام ان ابداع ادوات انتاج جديدة مكن نوازع الفرد القوي ان يقاتل وكان الاسرى عبيداً. واذا كان الامر على هذا الوجه فلماذا ابدعت ادوات الانتاج الجديدة ... وكيف كان الفرد قويا قبل ابداعها؟.. ثم في العهد العبودي "سارت " ادوات الانتاج في خط تطورها الصاعد ليتحول الى عهد اقطاعي .

لماذا سارت؟. من سيرها ؟ أم أنها تسير تلقائيا؟.. ثم اذا كان هذا التطور بفعل قوانين اجتماعية حتمية بحكم خط رقي المجتمعات العام ، فلماذا يتوقف القانون "عند نظام يحل فيه الصراع الطبقي بصورة نهائية " ؟ .. وهل يتوقف التطور وتثبت المجتمعات ؟ ..

كل هذه الثغرات في المقال نستطيع أن نعتذر عنها بأن المجال لا يسمح بالاستفاضة. وكلها ليست هى صميم الموضوع . صميم الموضوع هو " القانون الذي يحكم خط رقي المجتمعات ". ذلك لان الاخ احمد شرف ، مثل كل الماركسيين التقليديين لا يدرس التاريخ ليستخلص منه قوانين تطوره. الماركسية ليست منهجا تاريخيا . انها ذات منهج علمي يسمى " المادية الجدلية " . والمادية التاريخية ذاتها ، اي فهم حركة التاريخ وتطوره وتقسيمه الى مراحل ، ليس الا رؤية للتاريخ بمنظار المادية الجدلية .

الجوهري في المادية الجدلية هو مقولة " ان المادة تسبق الفكر وتحدده " . وترجمتها السوسيولوجية كما حددها ماركس في مقدمة " نقد الاقتصاد السياسي" هي ليس وعي الناس هو الذي يحدد وجودهم الاجتماعي بل العكس ان وجودهم الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم ، وترجمها مؤلفو "اسس الماركسية اللينينية " ترجمة اجتماعية فقالوا ان الحياة المادية (قوى الانتاج وعلاقاته) تتحدد بعيدا عن وعي الانسان وارادته وان كل ما يتمثل في وعي الانسان من افكار (سياسية ، وقانونية وفلسفية ودينية) .. الخ ونظم (الدولة والكنيسة والأحزاب . الخ) لا تغير اتجاه التاريخ ولا تحدد مسير المجتمعات " ولكن تأخذ مكانها فيه " عن طريق تبعيتها لتطور الحياة المادية..

وكل هذا ادب ماركسي " تقليدي " .. لو صح لكان ما قاله الاخ احمد شرف صحيحا. واذا لم يصح يكون على الاخ احمد شرف ان يعيد النظر فيه . من الذي يثبت ما اذا كان " صحيحا ام غير صحيح؟ لدينا طريقان . طريق نظري ، أي مواجهة نظرية بنظرية . وطريق عملي أي اختبار النظرية في الممارسة . الطريق الاول لن ينهي الحوار الى ما يفيد احدا من القراء . ستكون حرب كلمات . الطريق الثاني اسلم . خاصة ان اخانا انجلز قال مرة قولا صحيحا عندما قال " ان الممارسة هي محك صحة النظرية " . ثم أنه طريق نستطيع ان نسير عليه ، احمد شرف ونحن معه، مسافات طويلة بدون حرج او احراج .. لاننا، تأكيدا لرغبتنا في ان يكون الحوار مفيدا، سنسير معا على طريق الممارسة الماركسية . وهل يمكن لاي عربي اشتراكي بان يتحاور مع الماركسيين بمقولات يروج لها اعداء الاشتراكية ؟.. ابدا..

زيادة في الرفق في الحوار نضع امام احمد شرف وكل الشباب العربي من الجيل الجديد.. الصيغ الفكرية لخلاصة الممارسة الماركسية كما يقولها ويكتبها الماركسيون " الآن ".. أي منذ بضع سنين فقط .. وسنقتصر على الاستفادة من مصادر محدودة حتى لا يتعقد الموضوع .

مصدرنا الاول كتاب " محاورات فلسفية " للكاتب الماركسي الدكتور مراد وهبه.

(١) المادية الجدلية موضوع مراجعة :

".. اما انكار المنطق الجدلي فيتزعمه اساتذة المنطق وفي مقدمتهم ماركوف وكذلك روزافتين وهما يقترحان الغاء المنطق الجدلي كلية. ولفت نظري مفارقة في هذا الاتجاه الى انكار المنطق الجدلي والاكتفاء بالمنطق الرياضي في دولة (الاتحاد السوفياتي) تعتبر المروج الاول للمنطق الجدلي على الاطلاق ولقانون التناقض على التخصيص . وطلبت من بجمولف تفسيرا لهذه المفارقة وكان جوابه ان هذه المفارقة مردودة الى اهتمام الدولة بالتطور الاقتصادي والتكنولوجي وما يترتب على هذا التطور من مشكلات ليس في الامكان مواجهتها الا بالمنطق الصوري والمنطق الرياضي اما مشكلات الجدل فليست وثيقة الصلة بهذا التطور ".

(٢) موضوع المراجعة :

أ - يقول بجمولف استاذ الفلسفة في جامعة موسكو ان ثقته مطلقة في قول لينين ان الجدل ليس دوجما وانما هو مرشد للعمل ومن ثم فليس ما يمنع من احداث تعديل في المادية الجدلية اذا ما ظهر ما يناقضها في مستقبل العلم . وفلاسفة السوفييت الان يتبنون هذا الاتجاه والدليل على ذلك ان اشكال الحركة كما تصورها انجلز موضع مناقشة وخلاصة هذه المناقشة ان مفهوم انجلز للحركة ليس دقيقا.

ب- يقول نارسكي استاذ الفلسفة بجامعة موسكو انه ليس امراً غريباً ، ان يطرح لينين افكارا جديدة متعارضة مع بعض افكار انجلز فمثلا المادة عند انجلز موضوع حسي ، في حين انها عند لينين مقولة فلسفية تعني الواقع المادي خارج ا لذات .

جـ – يقول بيدف استاذ الاجتماع في كلية الفلسفة بجامعة لينينغراد ان ماركس لم يعالج الانسان على انه ذات وانما على انه موضوع . فسأله الدكتور مراد وهبة : اليس من شأن الالتفاف الى الانسان من حيث هو ذات ان تحدث تعديلات في بعض المبادىء الماركسية. اجاب. ليس ثمة ما يمنع من احداث هذا التعديل اذا لزم الامر.

(٣) التعديل في المنهج:

أ- يقول دبوفسكوي وشيلين استاذا الفلسفة في جامعة موسكو، ان المعرفة ليست مجرد انعكاس للموضوع المدرك، وانما هي خلق جديد وتغيير لحالة بهدف تلبية احتياجات الانسان . ويسخران من نظرية الاستجابة السلبية والمدخل الانعكاسي السلبي تجاه المعرفة ويقولان ان هذه النظرية لا يروج لها الا العوام وبعض الفلاسفة الذين يتصورون انفسهم ماديين جدليين . ذلك ان هذه النظرية تتصور الذات العارفة لا على انها فعالة وخلاقة ولا على انها هادفة الى تحقيق ارادتها ورغبتها .

ب- يقول النيكف استاذ الفلسفة- ان الذات تنطوي على شيء ما يسهم في تكوين الموضوع . ويسال ما معنى الانعكاس . ويجيب ان المعرفة عملية عزل الموضوعات ثم انتقاء واحد من هذه الموضوعات لادراكه . ومن هذه الزاوية يقال ان الموضوع ينعكس في الذات ولكن بين نقطة البداية ونقطة النهاية ثمة عمليات بيولوجية ونفسية واجتماعية.

جـ – يقول كوزنتسوف استاذ فلسفة بجامعة موسكو: يقول لينين ان المعرفة في جوهرها "انعكاس" للواقع . والمشكلة بعد ذلك تدور على معنى لفظ " انعكاس ". وهذا المعنى عند فلاسفة السوفييت في طريقه الى ان يتحول . ان لفظة انعكاس ينبغي الا تفهم حرفيا وانما ينبغي ان تؤخذ على انها لفظة تنطوي إلى تشبيه او استعارة.

د- يقول روزنتال مؤلف كتاب "مبادىء المنطق الجدلي " ان الفكر في حركته يصدر من العيني في الادراك الى المجرد ومن المجرد الى العيني ولكن في هذه الحالة يصعد على اساس جديد وارقى .

ا- يقول بلاتنكيف وماتشيمانف (استاذا فلسفة)، ان للعقل قدرة خاصة على الخلق والابداع . انه ليس سلبيا بل ايجابيا اي انه يضيف الى ما هو معطى له .

و اخيرا،

و- يقول نارسكي استاذ الفلسفة في جامعة موسكو . ان العلم يستطيع ان يقدم حلولا لما يدور في اذهاننا من قضايا . ولو ان فلاسفة الماركسيين قبلوا هذا لامكنهم مجاوزة عدة سخافات من بينها استبعاد المنطق الرياضي وعدم الثقة في المنطق الصوري ونظرية النسبية والسوبرنطيقا .

اذن يا اخ احمد شرف ، ان فلاسفة الماركسية الان يراجعون المادية الجدلية ويحاولون تصحيح قوانينها ويتجسد التصحيح اتجاها واضحا الى ابراز الفاعلية الايجابية للذات ، للعقل ، للانسان في عملية التطور الاجتماعي وفي مواجهة الموضوع ، المادة ، ادوات الانتاج..

هل امتدت هذه المراجعة الى "المادية التاريخية " أو " الفهم المادي للتاريخ " الذي استعملته في طرحك التاريخي.. لا بد ان يكون قد امتد . لقد امتد يا اخ احمد.. مصدرنا، كتاب حديث ايضا. "المبادىء العلمية لتطور المجتمع الاشتراكي " تأليف ج . جلزرمن . (منشورات موسكو)... يقول، وارجو ان يصبر القراء على ما ننقل لاننا نريد ان، يكون الحوار مفيدا..

يقول جلزرمن :

" اثارت المؤلفات الماركسية منذ زمن بعيد مسألة أسباب تطور القوى الانتاجية. فإذا كان تطور القوى الانتاجية هو السبب الجوهري للتغييرات في النظام الاجتماعي ، فما الذي يحدد حركة القوى الانتاجية نفسها ؟ وجدير بالذكر ان المحاولات للبحث عن اسباب تطور القوى الانتاجية خارج الانتاج نفسه ، مثال ذلك في تأثير البيئة الجغرافية، ونمو السكان، وهلم جرا، انما هي محاولات عقيمة (على الرغم من انه لا يوجد انكار للتاثير الجوهري في اغلب الاحوال الذي تمارسه مثل هذه العوامل على تطور الانتاج) . اما الاستنتاج القائل بان مصدر تطور الانتاج ينبغي البحث عنه في اسلوب الانتاج نفسه، فهو استنتاج يكاد يكون معترفا به على النطاق العام بين الماركسيين .

" بيد ان هذا الاستنتاج الصائب ما زال بدوره استنتاجا عاما.

" تتفاعل القوى الانتاجية وعلاقات الانتاج في داخل اسلوب الانتاج . فما دور كل جانب من جوانب اسلوب الانتاج هذا؟ هل يكفي ان نشير الى تفاعلها لاقرار مصدر التطور؟

" لقد اثير في المؤلفات الماركسية والسوسيولوجية السوفيتية عدد من الاعتراضات على الاعتراف بالتفاعل بين القوى الانتاجية وعلاقات الانتاج بوصفه مصدر التطوير. وقد قرر بعض المؤلفين ان ذلك يؤدي الى حلقة مفرغة. فنحن نرى سبب تغيرات علاقات الانتاج في تطور القوى الانتاجية. وسبب تطور القوى الانتاجية في تأثير علاقات الانتاج . وهم يحاولون الافلات من هذه الحلقة المفرغة بنقل التركيز الرئيسي إلى المنطق الداخلي لتطور القوى الانتاجية نفسها، مثال ذلك التفاعل بين عنصري القوى الانتاجية (العمال+ وسائل الانتاج) والا فانهم يقولون انه من المستحيل تفسير سبب استمرار القوى الانتاجية في التطور حتى بعد ان اصبحت علاقات الانتاج عتيقة وتحولت الى قيد على هذا التطور (مثال ذلك في ظل الرأسمالية المعاصرة).

" واخيرا (وتأمل جيدا يا أخ احمد شرف) فقد بذلت محاولات للربط بين حل هذه القضية وبين الاقرار بالدور الحاسم (الحاسم يا اخ احمد) الذي يقوم به الناس (الناس يا أخ احمد) في تنمية الانتاج . واذا كان الناس هم صانعو التاريخ فان الجماهير، الشعب العامل ، هي التي تعد في المرجع الاخير (المرجع الاخير يا اخ احمد) القوى المحركة لتطور القوى الانتاجية " .

المادية التاريخية اذن محل مراجعة تتجه اتجاها واضحا إلى اعتبار الانسان هو العامل الاساسي، وليس ادوات الانتاج، في عملية التطور التاريخي؟ وما الذي يستطيع ان يفعله الناس اذا لم تكن ادوات الانتاج واسلوبه وعلاقاته متطورة؟ هل يستطيع الناس ان يسبقوا التطور الاقتصادي؟ هل يمكن- يا اخ احمد- ان تكون الثورة السياسية هي الطريق الى الثورة الاجتماعية او الاقتصادية وليس العكس ؟

نعم يا استاذ احمد.

اولا: قد تصبح الظروف الاجتماعية- الاقتصادية ناضجة للثورة الاجتماعية ولا تقوم الثورة . يقول مؤلف " المبادىء العلمية لتطور المجتمع الاشتراكي " : " ليس هناك من ينكر الفكرة القائلة بان الناس يمكن ان يعملوا على نقيض مصالحهم الاساسية ويعرف التاريخ كثيرا من الامثلة، حيث شاركت الجماهير او طبقات او شعوب باسرها في افعال واحداث لا تتطابق مع مصالحها الاساسية وبالتالي جلبت على نفسها كوارث مفجعة " .

وثانيا : قد لا تكون الظروف الاجتماعية- الاقتصادية ناضجة للثورة الاجتماعية (الاشتراكية مثلا) وتقوم الثورة. يقول المؤلف ذاته تأكيدا لتجربة ثورة اكتوبر البلشفية وثورة الصين الشعبية وامثلة اخرى " . .. التغييرات اليومية يمكن ان تحدث في الاقتصاد وفي ظل التأثير

المباشر لتطور القوى الانتاجية ، بيد ان التغييرات الاساسية العميقة الجذور حقا في النظام الاقتصادي وان كان تطور القوى الانتاجية يعدّلها لا يمكن ان تحدث الا تحت تأثير السياسة ، اي دون استخدام السلطة السياسية لتحويل العلاقات الاقتصادية. وتقوم السياسة اليوم بدور خاص في اعادة التشكيل الاشتراكي للاقتصاد. وفي الثورة الاشتراكية تكون الانتفاضة السياسية سابقة للانتفاضة الاقتصادية " .

اذن، فالناس، يا اخ احمد، هم الذين يسيرون في خط تطورهم الصاعد، ويطورون معهم ادوات الانتاج ، وليست ادوات الانتاج هي التي تسير في خط تطورها الصاعد، وتطور معها الناس . والثورة الاجتماعية، يا اخ احمد، متوقفة على ما يريده الناس حتما وليس على الحياة الاقتصادية فقط .

يقول المؤلف السابق : "جميع عناصر الوضع الثوري ليست منتمية الى الكائن الاجتماعي، الى حياة المجتمع الاقتصادي، وثمة مكان هام ضمن عناصر الوضع الثوري تشغله التغييرات في حياة المجتمع السياسية، ازمة في السلطة او تغيرات في وعي الجماهير يعبر عنها ان الاعماق الدنيا لا تريد ان تعيش بالطريقة القديمة.

ويقول بوري كرازين مؤلف "علم اجتماع الثورة " وهو كتاب ماركسي سوفييتي حديث ايضا : "ان الثورات الاشتراكية تتباين من حيث نمطها وذلك لان القوى المحركة لها تختلف وتتباين سواء من حيث تركيبها ام علاقتها ببعضها ويتوقف هذا على طبيعة المرحلة التاريخية ومستوى التطور الاجتماعي والاقتصادي والتقاليد والعادات والطابع القومي " .

آه . وصلنا الى الطابع القومي؟..

لقد كان الاخ احمد شرف منطقيا مع منطقه عندما تحدث حديثه الطويل عن الثورة الاجتماعية والوحدة العربية دون ان يدخل في حديثه عن الثورة او حديثه عن الوحدة عنصر القومية . ذلك لان منطقه المادي الجدلي ، ورؤيته المادية للتاريخ لاتسمحان له بان يرى الامم ويعتد بالقومية ، اذ لا تسمحان له برؤية الانسان والاعتداد بانتمائه القومي . وقد كان لا بد لابي ذر من ان يضع تحت نظر الكاتب ، والقراء، كل ما سبق ليقنع احمد شرف والشباب من الجيل العربي الجديد، بأن اصحاب المنطق، الذين مارسوا الحياة على هديه، يراجعونه ويحاولون تصحيح احكامه على خط ضوء خبرتهم ، تمهيدا للقول : اولا: بانه سيكون من الحماقة الا نستفيد نحن من تطور الفكر الماركسي ونبقى مصممين على التمسك بمنطق يصححه اصحابه

. وثانيا : ان هذه المراجعة وذلك التصحيح يتجهان الى ابراز الدور " القيادي " للبشر في عملية التطور الاجتماعي . على اساس انه اذا كان الواقع الاجتماعي- الاقتصادي هو المادة الخام التي لا يستطيع البشر ان يشكلوا مستقبلهم بعيدا عنها الا ان عجلة التشكيل ، صياغة المستقبل من وضع البشر..

وهكذا يكون المدخل العلمي الصحيح لطرح مشكلة " الثورة الاجتماعية " التي هي ثورة في مجتمع كما قال احمد شرف، ليس الارتفاع التجريدي الذي يتحدث عن "المجرى العام للتاريخ " و"المجتمعات بشكل عام "... ولكن الاسئلة الاولية الانية : اي مجتمع ؟ .. اين يقيم ؟.. ما هو تاريخه؟.. ما هي مشكلاته؟.. ما مدى وعيه بها ؟ .. ما مدى استعداد الواعين للثورة وتحمل تضحياتها؟.. فتصبح الثورة حدثا تاريخيا عينيا وليس كلمة ضخمة سابحة فوق المجتمعات "عامة"..

هذا المدخل العلمي الصحيح هو الذي يفرض علينا في الوطن العربي ان يكون الواقع القومي هو مدخل إلى الثورة الاجتماعية (الاشتراكية)... من نحن ؟.. اين ارضنا؟.. ما هو تاريخنا؟.. ثم من هم منا المستغلون ؟ من هم ضحايا الاستغلال؟.. ما هو موضوع الاستغلال ؟.. كيف ننهي الاستغلال؟.. ثم.. اين نبدأ ، والى اين نتجه... من خلال الاجابة، على هذه الاسئلة ، يا أخ احمد، ومن اجل الانتصار في معركة " الثورة الاجتماعية الاشتراكية " يقول القوميون التقدميون : " نحن الامة العربية التي تكونت تاريخيا فلا عودة الى الشعوبية التي تمثلها حاليا الدول الاقليمية. ونقول ارضنا هي الوطن العربي كله فلتسقط التجزئة. ونقول المستغلون هم الرجعية العربية في كل مكان وهم " اذا اردت " طبقة عربية رجعية واحدة. ونقول ضحايا الاستغلال هم الجماهير العربية في كل مكان ، ونقول ان موضوع الاستغلال هو استئثار كل دولة اقليمية بما فيها من مصادر الثروة والانتاج دون باقي الشعب العربي . بالاضافة الى (بالاضافة يا اخ احمد وليس بدلا من) استئثارالرجعية في كل دولة عربية على حدة بمصادر الثروة والانتاج وعائده ، ونقول نبدأ في كل مكان من الوطن نحرره ونلغي الاستغلال فيه ونسقط الاقليمية ونوحد وطننا العربي .. كل هذا يا اخ أحمد من اجل الثورة الاجتماعية الاشتراكية..

هذا ما نصل اليه من منطقنا.

تأمل انت الى اين وصلت من منطقك . فسخت العلاقة بين الوحدة والاشتراكية . ووضعت الوحدة بين أيدي الرأسمالية (البورجوازية العربية) او تحت قيادتها . وكأنك تقول للاشتراكيين العرب ان الوحدة لاتدخل في نطاق مهماتكم .

قلت كخلاصة لمقالك كله :

" لو نظرنا الى خريطة عالمنا العربي الاجتماعية لوجدنا انفسنا ازاء مجموعة من الانظمة العربية يعيش اغلبها مراحل مختلطة من النظم الاجتماعية تتحدد ملامحها تبعا لأساليب وطرائق الانتاج السائدة فهي تنتمي الى بقايا النظم القديمة أي نظم ما قبل الرأسمالية ، بينما تقف شرائح اخرى على مشارف او بدايات النظام الرأسمالي، " ان هذه المجتمعات في اغلبها خضعت للسيطرة الاستعمارية - الرأسمالية فترات طويلة من الزمن وانها كلها هبت للتخلص من هذه السيطرة وحققت استقلالها السياسي وما زالت تصارع من اجل توطيده وتدعيمه وذلك في مواجهة التلون الاستعماري والتغيير في اساليبه " . ثم قلت : " فمحاربة الاستعمار لا تتم الا بتدعيم الاستقلال السياسي الذي لا يبنى بدوره الا على اساس الاستقلال الاقتصادي . كما ان صلابة هذه المواقف جميعا لا تتدعم الا بتحقيق الوحدة العربية بما تفيد من ضم الوحدات السياسية العربية التي تشكل حتى الان كيانات متفرقة اقتصاديا واستراتيجيا في وحدة واحدة تمثل كيانا واحدا تزداد فاعليته وثراؤه. ان قضية الوحدة العربية تبرز كاحدى الضرورات الرئيسية لهذه المرحلة من مراحل الثورة الاجتماعية ذات البعد الوطني التحرري "..

ان هذا قد يغري كثيرا من الشباب القومي بالقبول . انك على اي حال تدعو للوحدة العربية ، وتبرز ضرورتها بلزومها للانتصار في معارك التحرر. وهذا يغري بقبول منطقك . ولكنه ليس اغراء بل اغواء . لانك تبرر الوحدة- على المستوى الاجتماعي- بأن العالم العربي على مشارف المرحلة الرأسمالية، فكانك تقبل، بل انك تدعو فعلا، لقبول الوحدة في ظل النظام الرأسمالي وتسخير قوة الوحدة - ربما - في التنمية الرأسمالية الى ان تنتهي مرحلتها. وبالتالي تعزل الجماهير العربية الكادحة من عمال وفلاحين عن معارك الوحدة ضد الاقليمية، وتجرد الوحدة من اي مضمون اشتراكي، ونهاية منطقك ادانة لمحاولات التحول الاشتراكي في بعض الاقطار العربية لانها سبقت الوحدة ، وما دامت الوحدة ضرورية في هذه المرحلة فالنهاية القصوى لمنطقك تصفية ما تم من تحولات اشتراكية حتى لاتقف عقبة في سبيل الوحدة الضرورية في هذه المرحلة الرأسمالية . انك بهذا المنطق تقفز من اقصى اليسار الى إقصى اليمين

قياسا على واقع الحركة العربية التقدمية والمنجزات العينية التي تمت في العشرين سنة الماضية . لا لشيء الا لانك لا تريد ان تفلت من اسار مقولات فكرية مجردة قيلت منذ اكثر من قرن . تريد ان تخضع لها الواقع القومي، وتريد ان تخضع لها حتى الواقع العالمي، الم تر انك لم تشر حتى ادنى اشارة الى اثر نمو المعسكر الاشتراكي في هذا النصف الثاني على مراحل التطور الماركسي التقليدي ..

اغرب من هذا انك تستعير منطقا يقول واضعوه انه غير موضوع لك . لا شك انك تذكر ان ماركس وانجلز ومن تبعهما كانوا يستثنون المجتمعات غير الاوروبية من ضوابط المادية التاريخية. الم يسمها ماركس في كتابه رأس المال " المجتمعات الآسيوية " ويقول انها لا تتطور طبقا لمقاييسه التي وضعها . والتي تريد انت ان تطبقها .

اليست هذه المجتمعات التي كانت موضع دراسة في مؤتمر الماركسيين في امستردام سنة ١٩٠٤ الذي لم يعترف لها بحق تقرير المصير اخذاً بما قاله فان كول ممثل الماركسيين الهولنديين من ان "الحاجات الجديدة التي ستعلن عن نفسها بعد انتصار الطبقة العاملة وتحررها الاقتصادي سيجعل من الضروري حتى في ظل النظام الاشتراكي مستقبلا امتلاك مستعمرات ". وفي مؤتمر شتوتجارت الذي قدم اليه ١٠٨ (مائة وثمانية من اقطاب الماركسية الذين كانوا مسلحين بالمادية الجدلية) اقتراحا يقولون فيه ان الاستعمار في ظل النظام الاشتراكي سيكون مأثرة حضارية. ولولا نشاط لينين لما هزم الاقتراح باغلبية ١٢٨. تأمل ١٠٨ ضد ١٢٨ . ان الفارق ليس كبيرا . ومن هنا فان الثقة في منهجك المادي الجدلي لا يمكن ان تكون كبيرة ، عندما تكون القومية وقضاياها هما موضوع البحث..

ثم تعال هنا.. يا اخ احمد !!

انك لم تتحدث عن الوحدة العربية في مقالك . تحدثت عن الاندماج السياسي . وضربت امثلة بالاندماج السياسي " بين الامم " في الاتحاد السوفياتي في ظل الاشتراكية وبين الاندماج السياسي بين الشعوب في قبضة الاستعمار. يا اخ احمد، قضية الوحدة العربية ليست قضية اندماج سياسي بين الامم، وليست اندماجا سياسيا بقوة الاستعمار، قضيتنا قضية الغاء تجزئة امة واحدة . قضية حق " الامة العربية" في تقرير مصيرها بان تكون لها دولة قومية واحدة .

ان "حق تقرير المصير" الذي كان موضع التجربة في الاتحاد السوفياتي ، هو الوجه الخارجي للعملة القومية. هل تبقى الامم داخل الاتحاد السوفياتي ام تنفصل كل امة بدولتها

القومية . ولكن هذه المسألة نفسها، وكل ما كتب فيها، لا يتضمن كلمة واحدة عن مشكلة امة مجزأة . لم تكن المشكلة مطروحة اصلا. كانت مطروحة في المانيا وايد ماركس وحدة الامة الالمانية في ظل النظام الاجتماعي شبه الاقطاعي شبه الرأسمالي الذي كان سائدا . قال سنة ١٨٤٨ " ان مصالح البروليتاريا تقتضي بالحاح التوحيد النهائي لالمانيا " . وكانت مطروحة في بولندا المقسمة بين المانيا وروسيا والنمسا وايدها ماركس ايضا.. اما في روسيا فلم تكن قضية تجزئة امة . كانت وحدة امم متعددة أي اندماج سياسي كما تقول .

ام انك تنكر ان ثمة في الارض امة عربية .

اذا كنت تنكر فلماذا تتحدث اذن عن الوحدة العربية؟

لماذا لا تندمج العراق مع ايران؟ لماذا لا تندمج سوريا مع تركيا لماذا لا يندمج السودان مع الحبشة؟. لماذا تقصر الاندماج على تلك الدول الموصوفة بانها " عربية " ؟ وماذا تعني كلمة عربية الا اذا عنت انها امة واحدة !؟

يا اخ احمد..

صحيح كما قلت في المقدمة تحت عنوان " الثورة الاجتماعية والوحدة العربية " : " عند ملتقى هذين الرافدين من روافد الفكر العربي ، تصعب محاولات الملاحة والخوض في تدفقات الانهار المنساب من اندماجهما في مجرى الفكر العربي الواسع . فعند نقطة الملتقى هذه تكثر الدوامات وتتعدد المواقف حتى لتبدو الصورة وكأننا امام صخرة شماء " . هذا صحيح . ولكن غير الصحيح هو ما اضفته. " تتكسر على نتؤاتها كل محاولات الوحدة العربية فكرا وتنظيرا وتطبيقا " ؟.. لا يا اخ احمد الاضافة الصحيحة هي : " تتكسر على نتؤاتها كل المحاولات الماركسية فكرا وتنظيرا وتطبيقا "...

والامر بعد، يحتمل كثيرا من جهود البحث ، كما قلت أيضاً . فشكرا لك نيابة عن القراء اذ اغنيت "الشورى " بمقالك الجيد، وشكرا لك من ابي ذر اذ اتحت له فرصة ان يشرك القراء في الحوار معك ولعل قراء الشورى ان يلتقوا بك دائما على صفحاتها.

القاهرة في ٢٥ مارس ١٩٧٥

دعاء

في المقال الافتتاحي للعدد الاول من السنة الثانية لمجلة " الشورى " جامل الاخ بابكر مجلة "الشورى" ودعا لها بأن تكون " الوثبة الكبرى في العام الجديد " . هذا بعد ان قال : " في البدء كانت " الشورى " تشع بالامل وبالتفاؤل والاستبشار الا ان تجربة العام الماضي المريرة والاسيفة قد كشفت للشورى ان الطريق الى استكمال مقومات الثورة العربية فكريا ونضاليا وتنظيميا طويل وصعب وملىء بالعذاب " .

صدق بابكر ونحن ننضم اليه في دعائه من اجل أن تكون الوثبة الكبرى في العام الجديد . ونختلف معه في محل الدعاء . نحن ندعو " للشورى" كتابا وقارئين . وهو يدعو " للشورى" رئيس التحرير. ذلك لان الاخ بابكر كرار عندما اراد ان يعرض ويستعرض فيحلل ويحدد مسار "الشورى" وتطورها خلال عامها الاول ، كان في الواقع يعرض ويستعرض ويحلل ويحدد مسار افكار جمعة المهدي الفزاني رئيس التحرير من خلال افتتاحيات الاعداد المتتالية . "الشورى " كما رآها الاخ بابكر هي ما كتبه رئيس التحرير لا غيره . وهي بالقطع ليست كذلك . بل نحسب ما كتبه ويكتبه رئيس التحرير كتقديم للعدد لا يعدو ان يكون تقديما لمادة العدد الأصيلة التي لم يشترك فيها رئيس التحرير . لهذا فانا وان كنا نصل مع بابكر الى النتيجة ذاتها : الامل في ان تكون الوثبة الكبرى في العام الجديد وندعو " للشورى " معه الا اننا لا نصل اليها من الطريق ذاته . وما دمنا وصلنا الى نقطة التقاء فلا مبرر للعودة الى مبررات اختلاف الطرق . وان كنا نأسف اولا لأن الاخ بابكر كرار قد ضن بجهده الفكري على ان يعرض ويستعرض ، ويحلل ويحدد مسار "الشورى " خلال مادتها المنشورة . نأسف لان دراسة مثل هذه تأتي من قلم بابكر كانت- لا شك- قمينة بان تزود قراء "الشورى " بزاد فكرى غني وتغذي افكار الجيل الجديد "بوجبة " صحية يطبخها خبير من العناصر الفكرية التي تناثرت على صفحات " الشورى" خلال عام . ونأسف- ثانيا- لفقرة جاءت في الحديث لم نستطع ان نعرف كيف انزلقت على طرف قلم الاخ بابكر وماذا تعني هي او ماذا يعني هو بها اذا لم تكن قد انزلقت عفوا وكان قد تعمد ان- يدسها في مقاله. قال :

" في العدد السابع مزيد من الضوء ومزيد من التصحيح ومزيد من تبديد الغموض الذي ورد في العدد الرابع وذلك بتاكيد ان وحدة قوى الثورة العربية في اطار البرنامج القومي هي

الجبهة العريضة للجماهير العربية في مواجهة الاستعمار والتجزئة.. والتخلي عن (دولة الوحدة) وما يكتنفها من غموض بديلا عن المطلب الاسبق وهو وحدة قوى الثورة العربية "...

التخلي عن دولة الوحدة وما يكتنفها من غموض؟.

هل فعل هذا جمعة بن المهدي بن الفزاني من وراء ظهر ابي ذر؟

اين؟

قال بابكر كرار : في العدد الرابع ..

لنعد الى العدد الرابع .

كتب جمعة المهدي الفزاني، اطال الله بقاءه ، تحت عنوان " ثم ماذا؟ " يقول ان في الساحة العربية مسارين :

" المسار الوحدوي التقدمي المرتكز على زخم الجماهير الملتحمة معه باعتباره يمثل اسمى اختياراتها الثورية لبناء مستقبل افضل لوطنها في ظل دولة الوحدة الاشتراكية حيث تحقق الجماهير عبر تقدمية اختيارها انسانية الانسان العربي في وطنه، والتي تحرك فيه كل امكانيات الخلق والابداع ليسهم عبر ثورته القومية في دعم حركة الحضارة البشرية في تحقيق طموحها الانساني.

" المسار الاقليمي الرجعي المرتكز على معطيات الامر (الواقع) والمرتبط معه وبه ومن خلاله بتحالفات مع قوى تشد ذلك الواقع الى تكريس التجزئة بكل ما تمثله من عجز حضاري بكل عوامل التكريس الفكرية والسياسية والاستراتيجية ومن ثم تكريس القوى المحركة لذلك الواقع والمتمثلة في القوى المستفيدة منه او المرتبطة به ومعه ارتباط البقاء والاستمرار فتحالفت القوى الرجعية والاقليمية ".

هكذا عرض جمعة المهدي الفزاني "المسارين" المطروحين في الواقع العربي . ثم اختار، اختار لنفسه واختار للقوى التي ينتمي اليها. واختار للقراء او حرضهم على الاختيار فقال :

"حسمت الجماهير العربية عبر ثورتها التقدمية (موضوع الصراع) فاسقطت المضمون الاقليمي للواقع المعاش بكل ما يسحبه هذا المضمون من تخلف وتجزئة واستعمار يشد اجزاء الوطن (بشكل مباشر أو غير مباشر) وحددت البدائل الثورية لواقعها الاقليمي فكان المضمون

القومي منطلقا فكريا يحدد رؤى الثورة في حركتها الآنية والمستقبلية وكانت الثورة الاداة الحركية التي حسمت الصراع عبر التفاف الجماهير حولها ولمصلحة الجماهير فأسقطت بذلك القوى المضادة لحركة الجماهير وحددت نوعية الصراع معهم .. بمزيد من النضال الثوري .. بمنظور قومي اشتراكي ".

"وكانت الرؤى المستقبلية في بناء دولة الوحدة التقدمية معياراً استراتيجياً يحدد موقع الجماهير في صراعها مع الواقع ويحدد ايضا موقع الجماهير في تحديد فصائل ثورتها ، وكلما كان النضال قوميا في مضمونه الفكري جماهيرياً في محتواه الحركي كلما تحددت أبعاد الاستراتيجية القومية ، والتي ينتهي عندها وبها أي طموح استراتيجي قد تفرزه (الرؤى الاقليمية) حتى ولو كانت هذه الرؤى منبثقة عن بعض فصائل الثورة " .

"بهذا المعيار القومي حددت الثورة العربية استراتيجيتها القومية في بناء دولة الوحدة .. وبهذا المعيار حددت مسئولية الفكر القومي تجاه قضايا الثورة الفكرية وا لاستراتيجية والحركية .. " هكذا قال جمعة المهدي الفزاني .

فأين هو التخلي عن (دولة الوحدة) وما يكتنفها من غموض بديلا عن المطلب الاسبق وهو وحدة قوى الثورة العربية؟ ".. لقد جاء ذكر دولة الوحدة في ثلاثة مواضع مما كتبه رئيس التحرير .

الموضع الاول قال فيه " مستقبل أفضل ... في ظل دولة الوحدة الاشتراكية". والموضع الثاني تحدث فيه عن " الرؤى المستقبلية في بناء دولة الوحدة التقدمية ". والموضع الثالث قال "حددت الثورة العربية استراتيجيتها القومية في بناء دولة الوحدة " .

كل هذا يعني- بمنتهى الوضوح- ان جمعة المهدي الفزاني يتحدث عن دولة الوحدة الاشتراكية باعتبارها هدفا إستراتيجيا لجماهير الثورة العربية . انه- اذن- لم يتخل عنها كبديل لوحدة قوى الثورة العربية لانه لم يطرحها - ابدا- كبديل لوحدة قوى الثورة العربية. ولكن الذي اكده صراحة وضمنا هو ان وحدة قوى الثورة العربية ليست ايضا بديلا عن دولة الوحدة . وحدة قوى الثورة العربية اداة . وسيلة. اما دولة الوحدة فهي هدف . غاية . انها هدف وغاية لقوى الثورة العربية ذاتها. فكيف يمكن ان تكون الاداة والغاية بديلين ؟..

ثم ،

ان جمعة المهدي الفزاني عندما تحدث عن دولة الوحدة " الاشتراكية " ، حدد مفهوم الوحدة كهدف بكل ما هو لازم من وضوح . ليس في دولة الوحدة الاشتراكية اي غموض . فمن اين جاء الاخ بابكر بقوله " دولة الوحدة وما يكتنفها من غموض " . لم يأت بما قاله رئيس التحرير، واني لاخشى - خشية جدية- ان يكون ذلك هو رأي الاخ بابكر وان يكون رأيه مثلث الاضلاع . دولة الوحدة وما يكتنفها من غموض . التخلي عن دولة الوحدة . التركيز على وحدة قوى الثورة العربية...

السؤال حينئذ هو: من أجل ماذا تكون وحدة قوى الثورة العربية؟.

اجاب بابكر ضمنا فقال :

" ان الشروط الموضوعية لوحدة حركة الثورة العربية لم تتوفر . هذه الشروط هي :

١- الوضوح الفكري .

٢- القدرة التنظيمية على المستوى القومي .

٣- الاسس الاستراتيجية للثورة العربية .

" ويترتب على هذا ان الطريق لوحدة الحركة الثورية يتطلب بالضرورة النضال من أجل الوحدة الفكرية وتحضير القدرات اللازمة لقيام تنظيم قومي .

صدقت فسمعا وطاعة ولكن :

١- أليس من الوضوح الفكري أن تعرف قوى الثورة هدفها الاستراتيجي .

٢- اليست القدرة التنظيمية على المستوى القومي متوقفة على وحدة الهدف الاستراتيجي .

٣- اليست الاسس الاستراتيجية للثورة العربية تتضمن هدفها الاستراتيجي .

و اخيرا :

٤- أليست دولة الوحدة الاشتراكية هي الهدف الاستراتيجي الذي لا يتضح الفكر الا به، ولا تتم المقدرة التنظيمية الا بالالتقاء عليه ولا تقوم الاسس الاستراتيجية الا بتعيينه غاية لها.

اين التخلي اذن واين الغموض واين البديل عن دولة الوحدة . ام اننا نريد ان نحقق الوضوح الفكري والقدرة التنظيمية والاسس الاستراتيجية، وبالتالي وحدة قوى الثورة العربية لتصل بعض فصائل هذه القوى الى مقاعد الحكم في دولة اقليمية ثم تنسى لماذا كان وضوحها الفكري ومقدرتها التنظيمية واسسها الاستراتيجية كما حدث في تجارب عديدة في الوطن العربي . لا يا اخ بابكر. من اجل الا تستغل جماهير الثورة العربية الوحدوية مرة اخرى سيكون شرط الانتماء اليها منذ البداية هو اسقاط الاقليمية وتحقيق الوحدة ولو بين قطرين . لن تكون قوى الثورة العربية- مرة اخرى- مطية تدفع بقادة فصائلها الى مكان السلطة من اقاليمهم ثم ينقلبون عليها ويقفون منها مواقف اقليمية ترفع شعارات القومية او تغطي بها سوآتها . وانها لاقليمية اشد عداوة من الاقليمية العارية.

ان احد العناصر الاساسية للوضوح الفكري والقدرة التنظيمية والتخطيط الاستراتيجي هو استيعاب التجارب النضالية والتعلم منها وعدم تكرار الأخطاء . وقد تعرض هدف الوحدة لخيانات عديدة من قوى ما كانت لتحلم بمواقعها الحالية لو لم تعد الجماهير بالوحدة .. فحتى لا يخون احد بعد هذا ، ستركز " الشورى " في حديثها عن أي موضوع على علاقته بهدف الوحدة .. فلعلك تساعد "الشورى" في وثبتها الكبرى التى لن تكون كبرى إلا إذا ارتفعت إلى مستوى الهدف الكبير: دولة الوحدة . حينئذ ستختفي من صفحاتها انماطا من الحديث المغلف بالقومية الذي يحتال بالكلمات الغامضة لينال من هدف الوحدة .. كما فعل عبد الله زكريا .

اني اشعر شعوراً قوياً ان بين التعبير الذي انزلق على قلم الاخ بابكر وما كتبه عبد الله زكريا قرابة قوية . قرابة فكرية. او قرابة ازمة اقليمية .. كل ما في الأمر أن الأخ بابكر اكثر وعيا ونضجا . ولعلي أن أكون مخطئاً فيما أشعر به فاعتذر للاخ بابكر مقدماً .. اما عبد الله زكريا .. فإلى السفود.

الغطاء القومي :

" ان الامة العربية لم تعد في حاجة إلى أن تثبت حقيقة الوحدة بين شعبها . لقد تجاوزت الوحدة هذه المرحلة واصبحت حقيقة الوجود العربي ذاته . يكفي ان الأمة العربية تملك وحدة اللغة التي تصنع وحدة الفكر والعقل ويكفي ان الامة العربية تملك وحدة التاريخ التي تصنع وحدة الضمير والوجدان ويكفي ان الامة العربية تملك وحدة الأمل التي تصنع وحدة المستقبل والمصير " .

" لقد حدد القائد الخالد جمال عبد الناصر في هذه العبارات الرائعة نقطة الانطلاق الصحيحة لمفهوم الوحدة العربية . فالعرب امة واحدة. والوحدة العربية حقيقة قائمة . ويعني هذا ان النضال العربي لا يمكن أن يكون هدفه هو تحقيق الوحدة العربية كما يتوهم دعاة التجزئة والاقليمية نتيجة انحسار المد الثوري العربي في الوقت الحاضر وهؤلاء للأسف الشديد اكثر عددا واعلى صراخا وضجيجا. ولانهم ينطلقون من فرضية التجزئة والاقليمية فان هدف النضال العربي في نظرهم هو تحقيق نضال معكوس للوصول الى نقطة البداية . ان مركب هيستريا التجزئة والاقليمية وانتشاره الواسع في ايامنا هذه هو المسؤول الاول والاخير عن الانحراف والتخبط والضباب الفكري والانغماس في المتاهات العاطفية . ونخلص من هذا كله الى ان عقدة التجزئة الاقليمية جهالة فكرية ونزعة طفولية ترتضي التفسيرات المريحة الساذجة وتتلهف للنتائج السياسية السريعة والسطحية وتتهرب من المعاناة الفكرية الثورية والعمل الثوري الصبور ومراحله الموضوعية " .

هذا الجزء الاول، الرائق الواثق الصادق، من مقال " قراءة جديدة في مفهوم الوحدة العربية"، الذي كتبه عبد الله زكريا ونشرته "الشورى" في عددها الاول من السنة الثانية (ابريل ١٩٧٥)، يأخذ مكانه بجدارة في الفكر القومي التقدمي . الاساس الذي طرحه المعلم في اسطر قليلة اساس صلب واقعيا وعلميا. وما بناه التلميذ على هذا الاساس لا تنقصه الصلابة والعلمية.

لكي ندرك صلابته وعلميته دعونا نحلله.

يقول الميثاق " ان الامة العربية لم تعد في حاجة الى أن تثبت حقيقة الوحدة بين شعوبها " والشعب العربي هو العنصر البشري من تكوين الامة العربية . ويقول : " لقد تجاوزت الوحدة " يعني وحدة الشعب العربي في هذه المرحلة. مرحلة الحاجة الى اثباتها " . واصبحت حقيقة الوجود العربي ذاته، لماذا؟ يقول الميثاق : لان الامة العربية " تملك وحدة اللغة التي تصنع الفكر والعقل ".

"فهي تملك وحدة اللغة ووحدة الفكر والعقل ". و " تملك وحدة التاريخ التي تصنع وحدة الضمير والوجدان ". فهي تملك وحدة اللغة ووحدة الفكر والعقل ووحدة التاريخ ووحدة الضمير والوجدان.؟؟ و"تملك وحدة الامل التي تصنع وحدة المستقبل والمصير " . فهي، كحصيلة لكل هذا تملك وحدة اللغة ووحدة الفكر والعقل ووحدة التاريخ ووحدة الضمير والوجدان ووحدة الامل ووحدة المصير.. وما دامت الامة العربية تملك كل هذا فان وحدة شعبها لم تعد في حاجة الى اثبات..

اسئلة وأجوبة:

سؤال : عمن يتحدث الميثاق؟

جواب : عن الامة العربية.

سؤال : من اية ناحية؟

جواب : من حيث هي مجتمع بشري .

سؤال : كيف؟

جواب: لانه يدلل على وحدة المجتمع البشري الذي هو شعب واحد بخصائصه المشتركة. التاريخ الواحد والمصير الواحد واللغة الواحدة . وما يتفرع عنها من وحدة الفكر والعقل والضمير والوجدان والامل .

سؤال : هل تحدث الميثاق في تلك الفقرة صراحة او ضمنا ، عن الوحدة السياسية؟

جواب : لا، ومستحيل . لانه يتحدث عن وحدة الامة العربية من حيث هي " حقيقة الوجود العربي". ولانه يقول ان هذا الوجود لم يعد في حاجة الى اثبات . وينفي حاجته الى الاثبات بما يقدمه من ادلة على الوجود الاجتماعي الواحد للأمة العربية مع ان الوحدة السياسية غائبة . بل ان ما يقوله الميثاق يتضمن تحديا للتجزئة السياسية وشرعيتها اذ يثبت انها قائمة على امة واحدة وتجزىء شعبا واحدا.

معقول :

على هذا الوجه من الفهم لكلمات الميثاق يكون ما بناه عبد الله زكريا بناء صلبا.

١- فما حدده الميثاق (الوجود القومي) هو نقطة انطلاق . بمعنى انه وجود سابق على اية حركة ومنه تنطلق اية حركة.

٢- "العرب امة واحدة والوحدة العربية حقيقة قائمة " . طبعا من حيث هي مجتمع متكون تاريخيا وبصرف النظر عن التجزئة السياسية.

٣- " وبمعنى هذا ان النضال العربي لا يمكن ان يكون هدفه تحقيق الوحدة العربية". معقول . بشرط ان يبقي تعبير الوحدة العربية على دلالته الاجتماعية . " وحدة الامة العربية" من حيث هي مجتمع ذو خصائص واحدة . لآن النضال العربي الذي ينطلق من وجود الامة لا يمكن ان يكون هدفه ايجاد الامة.

٤- " كما يتوهم دعاة التجزئة والاقليمية ". لانهم ينطلقون من الوجود الاقليمي والتجزئة. وهم دعاتها اي انصارها. وهم واهمون اذ تكون غاية نضالهم ان يحققوا وجود الامة العربية الموجود اصلا.

٥- " ان عقدة التجزئة والاقليمية جهالة فكرية ونزعة طفولية " . نعم . لانها تتوهم ما هو موجود ليس موجوداً اصلا فهي جهل بالواقع الاجتماعي للامة العربية. ولانها تحاول ايجاد ما هو موجود فهي تعبث. وهو سلوك طفولي .

كل هذا مفهوم .. ومن عندنا نضيف للايضاح..

قضية الوجود القومي :

ثمة تيار فكري محدود، من فروع التيارات الماركسية المتعددة في الوطن العربي ، يعتقد ان الامة العربية امة في دور التكوين لم تكتمل وجودا، اذ تنقصها- فيما يقولون - وحدة الحياة الاقتصادية قياسا على التعريف الستاليني للامة وبالتالي فهم ينطلقون من التجزئة الاقليمية حيث تكون غاية النضال القومي في الوطن العربي هو " اكمال " وجود الامة العربية . هذا التيار

يقف ضد التيار القومي التقدمي . هذا واضح . ولكنه يقف ايضا ضد تيار فكري اخر من فروع التيارات الماركسية المتعددة في الوطن العربي يعتقد ان الامة العربية قد اكتملت وجودا كأمة .

هل الامة العربية امة مكتملة الوجود ام في دور التكوين ؟

كانت، وما تزال، هذه القضية محل خلاف بين تيارات وفروع الماركسيين . وقد ثار اعنف خلاف حولها في صفوف الحزب الشيوعي السوري . واحتكم الطرفان الى الحزب الشيوعي السوفيتي الذي كون للحكم فريقين : فريقا من العلماء وفريقاً من الساسة. وانتهى الى رأي لم يقبله جميع الاطراف فانشق الحزب الشيوعي السوري حول هذا السؤال والاجابة عليه . وفيما يلي نورد القصة باختصار...

كان الحزب الشيوعي السوري يعاني ازمة داخلية، فكرية وسياسية ، منذ ١٩٦٩. وفي سنة ١٩٧٠ اشتدت الأزمة حول ما سمي " مشروع البرنامج السياسي للحزب الشيوعي السوري " كان الخلاف يدور حول نقاط كثيرة اهمها : الوحدة العربية. الموقف من قضية فلسطين . ضرورة توحيد الشيوعيين العرب في حزب شيوعي واحد.. يهمنا منها الان النقطة الاولى :

جاء في مشروع البرنامج .. في المقدمة :

"ان الشعب العربي السوري الذي هو جزء لا يتجزأ من الأمة العربية له مع سائر شعوبها اهداف ومصالح مشتركة وفي رأس هذه الاهداف تصفية الامبريالية والصهيونية واحباط مؤامراتهما واعتداءاتهما المستمرة وحل القضية الفلسطينية على اساس عودة الشعب العربي الفلسطيني الى أرضه وحقه في تقرير مصيره واستخدام مختلف اشكال النضال التي يقررها هذا الشعب وتحقيق الوحدة العربية وبناء النظام الاشتراكي . ولهذا فان العملية الثورية الجارية في سورية تحمل الى جانب طابعها الوطني والاجتماعي طابعا قوميا عربيا وامميا ايضاً " .

وجاء في مشروع البرنامج تحت عنوان "الوحدة العربية " :

" تتوفر لدى العرب كل مقومات الامة الواحدة ومع ذلك . فإنهم يعيشون موزعين في بضعة عشر بلدا تشغل مساحات واسعة في شمال افريقيا وغرب آسيا . أن وحدة اللغة والتاريخ والارض والتكوين النفسي المشترك الذي يجد تعبيرا له في الثقافة المشتركة وتوفر امكانيات التكامل الاقتصادي كل ذلك يجعل من العرب امة واحدة تناضل من اجل كيان مستقل وموحد".

قلنا ان الخلاف الذي ثار حول هذه القضية ، وقضايا اخرى ، قد طرح للتحكيم ، اوالاستشارة على الحزب الشيوعي السوفيتي . والى هناك رحل خالد بكداش ويوسف فيصل ودانيال نعمة وظهير عبد الصمد ورياض الترك ومراد يوسف وواصل فيصل . رئيس واعضاء قيادة الحزب الشيوعي السوري . وقلنا ان الحزب الشيوعي السوفيتي قد انشأ فريقين للحكم في الخلاف : فريقا من العلماء، وفريقا من الساسة.

قال فريق العلماء !!

ان البحث حول الوحدة العربية طويل في المشروع . وهذا البحث هو مأثرة الحزب الشيوعي السوري ويمكن ان يفيد مجموع الحركة الشيوعية ولكن هناك عدة قضايا . قضية وجود امة عربية واحدة في الوقت الحاضر . يجب أخذ مميزات الامة كما صاغها ستالين . هناك ميزة ليست متوفرة وهي الاقتصاد المشترك . لم يقل ستالين السوق المشتركة بل الاقتصاد المشترك . تعبير الأمة العربية الواحدة الان ليس موضوعيا . يمكن الكلام عن الشعب العربي . طبعا نفى وجود الأمة العربية في البرنامج يضر سياسياً ولكن تثبيتها ايضا في البرنامج غير صحيح لان الماركسية اللينينية تنفي ذلك . يمكن الكلام عن عملية تكوين الامة العربية . هذا ليس تصريحا صحفيا . هذا برنامج . لذلك لا يجوز القول ان الامة العربية متكونة تماما . اذا قلنا ان الامة العربية موجودة نزعنا الهدف ، ازلناه ، اما اذا قلنا : الهدف هو بناء الامة وبناء وحدتها فذلك يعطي هدفا لمن يتوجه لهم البرنامج .. العامل الاقتصادي في قيام الامة وتكوينها هو عامل حاسم . في قضية الامة يجب الكلام عن الشعب لا عن القومية . الامة هدف لانها ليست مكونة بعد .. الخ .

وقال فريق السياسة!!

" ان تكون الامة العربية لا زال يجري ولا بد له من عشرات السنين .. الدولة العربية الموحدة ليست هدفا حاليا وليس لها معنى ملح . اما انها هدف استراتيجي فهذا يمكن الموافقة عليه ولكنها ابعد من الهدف الاستراتيجي .. يجب ان يشار في مشروع البرنامج الى مساعي الشيوعيين لاستكمال تكوين الامة العربية وتحقيق وحدة عربية ولكن لا يجب المبالغة والانصراف عن الاهداف القومية.. الوحدة العربية قضية بعيدة..... الخ .

اذن فقد افتى علماء وساسة الحزب الشيوعي السوفييتي بأن العرب ليسوا امة مكتملة التكوين. ورتبوا على هذا ان الوحدة العربية قضية بعيدة .. ما بعد الاهداف الاستراتيجية . مع ان دولتهم قد نشرت كتابا بعنوان " مسألة الأمة " لمؤلفتها بيلينا مودرجينسكايا تقول فيه " ان احد

الحجج الرئيسية التي يستخدمها المفكرون الرجعيون للامبريالية، لكي يعيقوا الشعوب عن ان تملك مصيرها هي ادعائهم ان هذه الشعوب لم تصبح امما بعد ومن ثم فهي لا تملك الحق في السيادة القومية ".. ما علينا .

المهم ان نصائح الرفاق السوفييت قد طرحت للمناقشة في المجلس الوطني العام للحزب الشيوعي السوري الذي انعقد في ١٩٧١ فانقسم المؤتمر على نفسه انقساما ادى الى انشقاقه . وكان وجود او عدم وجود الامة العربية احد الاسباب الاساسية في هذا الانشقاق .

فريق منهم خالد بكداش قال من بين ما قال :

" ينبغي ان يكون واضحا ان الوحدة العربية هي الطريق نحو استكمال تكوين الامة العربية تكوينا كاملا . هي الطريق نحو اندماج العرب في امة واحدة مستكملة جميع مقومات الامة . او بعبارة اخرى ان الوحدة العربية ليست نتيجة استكمال الامة العربية لتكوينها بل ان الوحدة العربية هي نتيجة موضوعية لوجود شعب واحد هو الشعب العربي في دول متعددة وبالتالي فهي الطريق لاستكمال الشعب العربي تكوينه كأمة واحدة " .

هذا الخالد البكداش قد قال عام ١٩٣٧ فيما كتبه تحت عنوان " في طريق النهضة الوطنية " : " ان الاشتراكية العلمية تقرر على اساس درس تاريخ الامم والقوميات وتطورها ان الامة هي جماعة ثابتة من الناس مؤلفة تاريخيا . ذات لغة مشتركة وارض مشتركة وحياة اقتصادية مشتركة وتكوين نفسي مشترك يجد تعبيرا عنه في الثقافة المشتركة (تعريف ستالين).. ان جميع مقومات الامة الآنفة الذكر التي تقررها الاشتراكية العلمية متوفرة في العرب كما هو واضح ساطع كالشمس في رابعة النهار " .

لماذا غابت شمس بكداش في رابعة النهار ؟ ..

الجواب كان في مقدمة كلمته امام المجلس الوطني، قال :

"ان السؤال بالنسبة الينا هو: ما الذي يميز موقفنا نحن الشيوعيين عن الاخرين في قضية الموقف من الاتحاد السوفييتي ومن حزب لينين . ان ثمة شيئا رئيسيا يميز موقفنا نحن الشيوعيين هو اننا لا نكتفي ولا يمكن ان نكتفي بالاعلان عن تمسكنا بالصداقة العربية السوفيتية وعن نضالنا الدائب في سبيلها. لا يمكن ان نقول نحن اصدقاء الاتحاد السوفييتي وان نقول في الوقت نفسه : لسنا موافقين مع حزب لينين على هذا او هذا من المواقف في هذه او هذه من القضايا " .

" انني اكرر: لا يكفي ان نعلن نحن الشيوعيين اننا اصدقاء الاتحاد السوفييتي بل ينبغي ان تنسجم استراتيجيتنا مع الاستراتيجية العامة للحركة الثورية العالمية التي يؤلف الحزب الشيوعي السوفياتي قوتها الرئيسية وطليعتها . تلك هي القضية الرئيسية . تلك هي ميزتنا الاساسية نحن الشيوعيين "..

وميزة خالد بكداش انه مطلق الولاء للاتحاد السوفياتي .. ولا ولاء له لأحد غيره حتى لو كان الشعب الذي ينتمي اليه . في حدود ولائه يفكر ويدير ويقود الحزب الشيوعي السوري سابقا.

ضد هذا الموقف " البكداشي " وقفت أغلبية المؤتمر الوطني تردد وتؤكد ما قاله ظهيرعبد الصمد امين اللجنة المركزية. قال :

" ان القضية ينبغي ان تعالج بعيدا عن الرغبات بشكل علمي وموضوعي . هل هناك امة عربية قائمة فعلا. امة عربية مجزآة تتوفر لها كافة السمات والشروط والعوامل كما هي موجودة في صيغة ستالين : جماعة ثابتة من الناس تكونت تاريخيا لها لغة مشتركة . لها ارض مشتركة ومصالح اقتصادية مشتركة وتكوين نفسي مشترك يجد تعبيرا له في " الثقافة المشتركة".. فانا مع اعتراضي على اسلوب الصيغ والتعاريف في قضية الامة والاستناد اليها في الحكم على وجود او عدم وجود الامة الا انني ايضا لا يمكنني تجاهل التعاريف كمحصلة عامة تعكس الاشياء الاساسية التي ينبغي توفرها في الامة .. ولكن هل عدم تكامل سمة المصالح الاقتصادية بسبب التجزئة التي فرضها الاستعمار او التخلف او الرجعية ينفي وجود الامة؟ في الفيتنام الجنوبية والفيتنام الشمالية توجد ايضاً تجزئة ويوجد انتفاء للمصالح الاقتصادية المشتركة حاليا فهل يعني ذلك ان الامة الفيتنامية غير موجودة او غير متوفرة لها سمات الامة . وكذلك توجد مثل هذه الحالة في كوريا الجنوبية وكوريا الديموقراطية وكذلك في المانيا الغربية والمانيا الديموقراطية فهل لا توجد امة كورية او امة المانية ؟ .. لا اعتقد . ان قضية الامة العربية ووجودها أو عدم وجودها لا يجوز النظر اليها بهذا الشكل . أن الامة العربية ككل امة تتعرض في تاريخها لعوامل الاتصال والانفصال واشتداد او تراخي الروابط الاقتصادية بفعل ظروف طارئة ومؤقتة او ظروف قاهرة ولكن ذلك كله على اهميته لا يغير ولا يمكن ان يغير بصورة اساسية حقيقة ان الامة لا تزال قائمة " ..

قال كل كلمته ثم انشق الحزب . لماذا ؟

اهمية الموضوع :

لم يكن الميثاق ، ولا كان الرفاق ، السوفييت، وما كان بكداش وصحبه، ولا كان اخرون يعيشون وهم يناقشون مسألة " وجود الامة العربية " . انها ليست معركة كلام . ليست معركة ثقافة.. انها معارك تدور حول المواقف النضالية الثورية.. من هدف الوحدة العربية . الوحدة السياسية. الترجمة الواقعية لحق تقرير المصير الذي يقول ان لكل امة واحدة حقا في ان تكون لها دولة قومية واحدة.

فان كانت الامة العربية غير مكتملة التكوين فلا بد ان يتجه النضال التقدمي إلى إكمال تكوينها ثم تطرح بعد ذلك - وليس قبل ذلك – مسألة الوحدة السياسية (الدولة القومية الواحدة) . ولما كان اكمال تكوين الامم عملية تاريخية قد تقتضى قرونا فإن الوحدة العربية تكون هدفاً يتجاوز حتى المنظور الاستراتيجي . وتبقى التجزئة الاقليمية باعتبارها المنطلق . الواقع انها لا يمكن تسميتها تجزئة لانها غير واردة على امة واحدة . هي اقليمية مشروعة اجتماعيا والوحدة غير مشروعة . هي الاصل المقبول والوحدة هي الطموح البعيد الذي قد يقبل في حينه وقد لا يقبل .

اما اذا كانت الامة العربية مكتملة التكوين فلا بد ان يتجه النضال التقدمي إلى الغاء تجزئتها وتكون الوحدة السياسية (الدولة القومية الواحدة) هدفاً ملحاً . يبدأ النضال اليه فورا ، وبكل الاساليب ، بصرف النظر عن الفترة الزمانية التي يستغرقها هذا النضال إلى ان ينتصر فيلغي التجزئة و يحقق الوحدة . تصبح الوحدة هدفاً استراتيجيا يضبط خطأ النضال التكتيكي والمرحلي . وفيه تكون وحدة الوجود القومي هي المنطلق . والتجزئة الاقليمية عدوانا غير مشروع اجتماعياً . تكون الوحدة هي الاصل المقبول والتجزئة هي الطاريء الذي يجب أن يزول .

وتتفرع عن هذه المواقف المبدئية مواقف كثيرة من أداة النضال الجماهيري . فهي أحزاب اقليمية أو هي حزب قومي . ومن التنمية الاقتصادية . فهي بناء لكل دولة على حدة أو هي بناء في كل دولة طبقاً لما هو متاح في نطاق خطط بناء قومي ... الخ .

اذن ، فان الاسس الفكرية التي جاءت في الميثاق ، وما بناه عليها عبد الله زكريا في بداية مقاله عن " قراءة جديدة في مفهوم الوحدة العربية " ليست مجرد كلام نظري بل هي منطلقات نضال يحدد مواقف عينية محددة من الوحدة العربية ، وعلى ضوئه تفرز المواقف فتتوحد أو تنشق.

دون كيشوت:

في الفترة من ١٥٤٧ الى ١٦١٦ عاش في اسبانيا انسان غريب الاطوار، عبقري ، إسمه ميجيل دي سيرفانتس .. عاش أغلب حياته يحاول بكل جهد ممكن ، شريف او غير شريف ، أن يحل مشكلة "لقمة العيش" . ودخل السجن عشرات المرات من اجل جرائم تمس امانته . امانته في المسائل المالية. وبلغ به البؤس حدا دفعه الى ان يلتمس ما يكفي أسرته لكي تعيش ، في احتراف القتال . ولم يكن حظه كمقاتل افضل من حظه في اي مجال اخر. فوقع في الاسر وهو يقاتل ضمن حملة غازية هاجمت الجزائر ولم تفلح . وفي الجزائر قضى خمس سنوات اسيرا الى ان افتدته والدته .

كان ذلك الانسان الغريب العبقري ، يحتال على مصاعب الحياة بين حين وآخر، بكتابة مسرحيات "تافهة " . ولكنه في عام ١٦٠٥ اخرج للناس فجأة ، اروع واخلد ما كتب الادب العالمي اطلاقا واوسعها انتشارا بدون منافس، انه الكتاب الذي اعيد طبعه ثلاث مرات في بضعة اسابيع وست مرات في عام واحد وترجم الى عدد من لغات العالم لم يترجم اليها اي كتاب اخر.

الكتاب، القصة ، عن مغامرات صاحبين . اولهما خلقه دي سرفانتس واسماه دون كيشوت . والثاني خلقه أيضا واسماه سانكوبانزا . وبدءا مغامراتهما وانتهيا معا . اما دون كيشوت، كما خلقه دي سرفانتس، فانسان عاقل ، فيلسوف، سوي السلوك في كل شيء الا في قضية واحدة . هو فيها لا عاقل ولا فيلسوف ولا سوي السلوك . هذه القضية هي النجدة وحماية المظلومين من البشر . يقاتل في سبيلهم بدون تردد، وبشجاعة غير معقولة. على حصان اعجف وبسيف مثلوم ورمح خرع ومهارة معدومة تقريبا، انطلق دون كيشوت في رحلة طويلة طاف بها أسبانيا يبحث عن المظلومين والضعفاء. ويحارب متحديا كل ظالم قوي لان تلك هي رسالته. ولقد كان سرفانتس يسخر بكل ذلك من تقاليد الفروسية التي كانت سائدة كقيمة انسانية راقية في القرون الوسطى في اوروبا. نقول قيمة لان الفروسية كممارسة كانت قد انقضت قبل ان يولد سرفانتس ولكنها بقيت تراثا في القصص تحظى باعجاب الكثيرين . هذا يعني انه عندما بدأ دون كيشوت رحلته النضالية من الدفاع عن المظلومين والضعفاء كان وحيدا . كان غريباً . كان يمثل نظاما انقضى منذ سنين طويلة. وهذه أولى الخصائص " اللاذعة " للدون كيشوتية. احياء المواقف المهترئة وبعثها من قبور التاريخ ثم توهم انها " جديدة " . او بمعنى " عصري " اثارة قضايا يقال لها

جديدة بينما هي قد درست فلم يعد يثيرها احد. الدون كيشوتية هنا تنصب على " توهم الجدة " كما كان دون كيشوت يتوهم انه ما يزال يعيش في نظام الفروسية الذي انقضى .

ولما كان دون كيشوت كما خلقه سيرفانتس، عاقلا، فيلسوفا ، سوي السلوك ، الا في جزئية نضاله ضد اعداء غير موجودين من اجل اهداف غير مطروحة ، فان ذهنيته " المريضة " كان لا بد لها من ان تختلق ضحايا وظالمين ، ضعافا واقوياء ، معتدى عليهم ومعتدين ، ليكون له دور المنقذ المنجد المغيث ، وقد صور له خياله المريض عشرات الاعداء الذين لم يتردد في الهجوم عليهم فلا يلاقي سوى الهزيمة المهينة . اشهرهم تلك " الجحافل المعتدية " التي رآها خلال ضباب فجر احد الايام فانطلق اليها مهاجما حتى اذا اقترب من طلائعها طعنها بحربة طاعنة كادت ان تكون قاتلة. قاتلة للسيد دون كيشوت نفسه . اذ لم تكن تلك الجحافل الا صفا من " طواحين الهواء " . طعن دون كيشوت احداها فجذبته اليها وما زالت تدور به حتى القته بعيدا عنها محطما تقريبا. واصبح مما يجري على اسنة الاقلام والسنة القائلين ان الدون كيشوتية هي محاربة " طواحين الهواء ". (والحق ان الطواحين هي الرحى اما ادوات الطحن بالهواء او البخار فاسمها مطاحن مفردها مطحنة). ولم يكن ذلك الا مثلا لكل مختلق اعداء او مواقف معادية لا وجود لها . انما يختلقها ليهاجمها فيرضى نزعته الدون كيشوتية .

دون كيشوت " الشورى " :

دون كيشوت العدد الاول من السنة الثانية (ابريل١٩٧٥) من " الشورى " هو عبدالله زكريا نفسه . كان في بدايه مقاله " قراءة جديدة في مفهوم الوحدة العربية " عاقلاً فيلسوفا سوي السلوك، وان كان ادعاء " الجديد " مؤشراً الى الغرابة المتوقعة . ولقد اوضحنا عقله فيما سبق . ولكنه فجأة وبعد تلك البداية مباشرة ، اكمل لنا صور دون كيشوت المعروفة واخذ يهاجم بقسوة " مطاحن الهواء " .

المطحنة الاولى :

قال : " يرى البعض ان الوحدة العربية حركة سياسية تهدف الى انجاز مهام التحرير الكامل من الاستعمار بشكليه القديم والحديث والتخلص من التبعية والانطلاق لبناء التقدم

العربي بالارادة العربية الحرة . وان مبررات الوحدة العربية تكمن في ضرورة حشد طاقات الجماهير العربية لانجاز مهام التحرر والسيادة القومية في اسرع وقت ممكن " .

وطبيعي ان مثل هذا المعنى لم يخطر على بال احد الا عبد الله زكريا . وعلى قدر ما نعلم لم يقل احد ان الوحدة العربية حركة سياسية . قيل ان الثورة العربية، او الحركة القومية، او الحركة الوحدوية.. حركة سياسية.. ولكن الوحدة العربية هي غاية وهدف اي من تلك الحركات ولكنها هي ليست حركة سياسية. وبقدر ما نعلم لا يمكن ان يخطر ببال احد ان مبررات الوحدة العربية تكمن في ضرورة حشد طاقات الجماهير العربية لانجاز مهام التحرر والسيادة القومية في اسرع وقت ممكن . ان هذه هي مبررات وحدة القوى العربية التقدمية، او مبررات التنظيم القومي ، وستكون غايتها بعد انجاز مهام التحرر والسيادة القومية في اسرع وقت ممكن ان تجسد تلك السيادة في دولة الوحدة .

بعد ان اختلق عبد الله زكريا هذا المفهوم المستحيل اخذ يهاجمها فقال :

"ان المفهوم السياسي البحت لحركة الوحدة العربية يفسح المجال لتسرب التيارات المعادية للعروبة كالتيارات الليبرالية التي وجدت طريقها الى معظم الحركات الوطنية العربية واقامت انظمة للحكم لا تختلف في جوهرها عن انظمة الدول الغربية المستعمرة وحافظت على الثقافة الاستعمارية واسلوبها في الحياة فلم يؤثر جلاء الاستعمار المادي شيئا وفي هذا المناخ تعاظم تأثير الحضارة الغربية والرأسمالية المسيحية بكل ما تحمل من مؤثرات صهيونية علنية او مستترة.. "

انه دون كيشوت في ضرباته العشوائية ضد اعدائه الموهومين .

" المفهوم السياسي البحت لحركة الوحدة العربية ".

لا يوجد ولا يمكن ان يوجد مفهوم سياسي بحت . " يفسح المجال لتسرب التيارات المعادية للعروبة كالتيارات الليبرالية ".. الليبرالية منهج معاد للاشتراكية ولكنه ليس معاديا لا للقومية ولا للعروبة. ومن قبل توحدت المانيا وايطاليا ليبراليا . انما هو معاد الان للوحدة الاشتراكية وليس للعروبة. "تعاظم تأثير الحضارة الغربية والراسمالية المسيحية ". لا يوجد ولا يمكن ان يوجد ما يسمى الرأسمالية المسيحية . الرأسمالية نظام اقتصادي لا تهمه الاديان في شيء . اما اذا كان يتصور ان المسيحية مثلا تجيز الربا وهو مدخل الى الرأسمالية فانه لا يعلم من امر المسيحية الشيء الكثير. ان المسيحية لا تحرم الربا كالاسلام تماما .

ثم قال : "كما استغلت الشيوعية العالمية هذا الشعار (يعني المفهوم السياسي البحت لحركة الوحدة العربية) باعتبار الشعب العربي جزءا من الجبهة العالمية المعادية للاستعمار وحليفها موضوعيا وتلقائيا للمعسكر الشيوعي من الصراع ضد الاستعمار والرأسمالية العالمية فتكونت الاحزاب الشيوعية العربية واستطاعت في بعض الاحيان ، و في غياب البرنامج القومي الثوري ، ان تفتح الطريق لتنظيم الجماهير في جبهات عريضة وتوعيتها بمشاكلها اليومية وتسليحها بمنهاج ثوري لمحاربة الاستعمار وحليفاته من الأنظمة الرجعية والاقطاعية والرأسمالية والبورجوازية العميلة والهامها المثل الحي في الثورات الشيوعية التي تثبت التقدم في اقطارها بسرعة مذهلة.. "

انه هنا دون كيشوت المهزوم المسحوق الذي يتخيل انه منتصر . ان ما قاله عبد الله زكريا عن الشيوعية ، لو صدق ، لفتح ابواب الترحيب بالشيوعية في كل مكان من الوطن العربي . وماذا تريد الجماهير العربية اكثر من تسليحها بمنهاج ثوري لمحاربة الاستعمار وحليفاته من الانظمة الرجعية والاقطاعية والرأسمالية والبورجوازية العميلة وان تلهم المثل الحي في بناء التقدم . لماذا تهاجمها اذن . ؟ ثم لماذا تهاجم الوحدة بمفهومها السياسي البحت ، ان كان ثمة وجود لهذا المفهوم ، إذا كانت تؤدي إلى الجماهير العربية كل تلك المكاسب والفاعلية الثورية ضد اعدائها . الم يقرأ الأخ عبد الله زكريا، او يسمع ابدا، ان الشيوعية ضد الوحدة العربية بأي مفهوم ؟ لا بد ان قرأ أو سمع . انما الذي لم يقرأ ولم يسمع فهو دون كيشوت الذي كتب في " الشورى " بتوقيع عبد الله زكريا .

ثم،

" ان مفهوم الوحدة العربية السياسي يجرد الامة العربية من خصائصها الفريدة والتي بفضلها تمكنت الامة العربية ان تحافظ على وجودها ومقوماتها كأمة واحدة في وجه جميع المحاولات المتصلة التي استهدف بها اعداؤها طيلة قرون عديدة ان يمزقوا ذلك الوجود وان يمحوا هذه المقومات... "

ياخ عبد الله .. آسف يا سيد دون كيشوت .

كيف تجرد الوحدة السياسية الامة العربية من خصائصها الفريدة . هل تجردها من اللغة العربية ام ان التجزئة تنمي اللهجات الاقليمية على حساب اللغة القومية . هل تجردها من وحدة التاريخ ام ان التجزئة تختلق لكل اقليم تاريخاً خاصا على حساب التاريخ القومي . هل

تجردها من وحدة الحضارة ام ان التجزئة تبني في كل قطر حضارة اقليمية على حساب الوحدة الحضارية . هل تجردها من وحدة المصير ام ان التجزئة تدفع بكل قطر الى مصيره المنفرد المجهول بعيداً عن مصير الامة. واذا كان الاعداء طيلة قرون عديدة يحاولون تمزيق الوجود القومي افلا ترى أن التجزئة السياسية هي تمزيق سياسي كمقدمة لتمزيق اجتماعي وحضاري ..

المطحنة الثانية:

قال : " ويرى اخرون ان هدف الوحدة العربية ومغزاها الاوحد هو التصدي لدولة اسرائيل التي زرعها الاستعمار والصهيونية العالمية في قلب الوطن العربي بطرد الشعب العربي الفلسطيني من وطنه..."

فهل قال احد هذا؟

اقصى ما قيل ان دولة الوحدة " النواة " لازمة لمواجهة الاستعمار والصهيونية. ويعنون بها دولة تضم الاقطار المتاخمة لفلسطين المحتلة . ولكن لم يقل احد ان هدف الدولة العربية ومغزاها الاوحد هو تحرير فلسطين . اولا- لأن هدف الوحدة سابق تاريخيا على الاحتلال الصهيوني لفلسطين . ثانيا- ان هدف الوحدة اعني الوحدة الشاملة، لن يتحقق الا بعد تحرير فلسطين، ولم يقل احد ولا يمكن ان يقول الا دون كيشوت عربي ان المغزى " الاوحد " للوحدة العربية هو تحرير فلسطين . " الاوحد " يا سيد دون كيشوت ؟ الاوحد؟.. سامحك الله ولكنك اختلقت هذا المفهوم لتهاجمه فقلت :

" مهما تباينت الاراء وتشعبت فمن السخف والهزل القول بتجميد القضية الفلسطينية الى ان تتحقق الوحدة العربية السياسية ".. انك ترد على نفسك . فانت وحدك من دون العرب جميعا الذي خطرت بباله فكرة تجميد القضية الفلسطينية الى ان تتحقق الوحدة العربية السياسية . وهو خاطر- كما تقول- سخيف وهازل انك تهاجم اوهامك الشخصية كما فعل دون كيشوت تماما.

المطحنة الثالثة

قال : " وهناك مفهوم ثالث يقول بان الهدف الاساسي والاوحد لحركة الوحدة العربية هو بناء الاشتراكية في الوطن العربي..." ثم يعترض عليه.. ومع ذلك عاد فهاجمه فقال :

" ونتيجة لهذه الظروف ظهرت المدارس الاشتراكية المختلفة في الوطن العربي كالاشتراكية العربية والاشتراكية القومية والاشتراكية البعثية.. الخ . هذه المدارس مهما تعددت واختلفت وتصارعت لا تخرج عن كونها تعبيرات عن أثر الفكر الماركسي بشكل او باخر . بمعنى انها تعجز عن رؤية مقومات الامة العربية وتحصر جهودها في بناء الاشتراكية في الوطن العربي..."

ما هذا؟.. حتى دون كيشوت كان في نوباته الذهنية أكثر منطقا.

اولا، من قال، وهل يمكن ان يقول احد، ان الهدف الاساسي " والاوحد " لحركة الوحدة العربية هو بناء الاشتراكية في الوطن العربي . ان أي اشتراكي باي معنى يدرك انه الى ان يتم بناء الاشتراكية في الوطن العربي لا بد لحركة الوحدة العربية من ان تحرر كامل الارض العربية وتلغي التجزئة في الوطن العربي كله لتقيم دولة الوحدة الشاملة وبها يتم بناء الاشتراكية في الوطن العربي الموحد ، وان كان يبدأ محدودا وجزئيا تابعا النصر في معارك التحرير . زاحفا ضد الاقليمية والرجعية في حركة ثورية وحدوية واشتراكية معا . هل انت عراقي من المتاثرين بفترة عبد الكريم قاسم . انك تستعمل كلمة "الاوحد" بنفس المعنى الذي قيلت به عن ديكتاتور العراق الصغير " الزعيم الاوحد"

يا سيدي ان الوحدانية لله وحده ، اما في المسائل الاجتماعية والسياسية المركبة المتشابكة المعقدة فلا توجد تلك الوحدانية . لا محرك اوحد. ولا عنصر اوحد . ولا هدف اوحد. و ما دمت تتكلم عن الاشتراكيين فعليك ان تعرف انه لا يوجد اشتراكي من اي مدرسة يقبل هذه "الوحدانية" الاجتماعية لا في المنطلقات ولا فى الاساليب ولا في الغايات. لان حركة التطور الاجتماعي يا اخ عبد الله ، تنطلق من واقع متعدد العناصر، وتدور في اماكن متعددة وتتم على عدة مراحل .

ثانيا : دعني اعلمك شيئا ما دمت قد خضت بحور الاشتراكية حتى لا تغرق . فلقد كان سرفانتس حريصا فلم يدفع بدون كيشوت الى مغامرات بحرية حتى لا يغرق . و كما ترى لو غرق

لانتهت القصة. ونحن لا نريدك ان تغرق لاننا لا نريد لقلمك ان ينقطع عن الكتابة على صفحات "الشورى"

انك تتحدث يا ولدي عن المدارس الاشتراكية وضربت مثلا للاشتراكية العربية والاشتراكية القومية والاشتراكية البعثية وقلت انها " تعجز عن رؤية مقومات الامة العربية " . فهل تعرف عنها شيئا؟ وهل تعرف لماذا تعاديها الماركسية ويرفضها الماركسيون .. انا اقول لك. لانها على وجه التحديد تصر على ضرورة ان يكون البناء الاشتراكي على اساس من مقومات الامة.. وهذا ما تنكره الماركسية الاممية .

الاشتراكية القومية تقوم على اساس ان لكل امة نظامها الاشتراكي الخاص الذي يتفق مع مقوماتها وتراثها التاريخي والحضاري . الفكري والروحي . الاشتراكية العربية تقوم على اساس انها اشتراكية قومية تصوغ نظاما اشتراكيا يتفق مع مقومات وتراث وحضارة الامة العربية على وجه التخصيص بالاضافة الى مميز تنفرد به الامة العربية وهو انها امة مجزأة ، وهكذا تكون الاشتراكية العربية في جوهرها اشتراكية قومية وحدوية . اما الاشتراكية البعثية التي لا وجود لها مضمونا فاحسب انها تلك المقولات الفكرية الاشتراكية التي يتبناها حزب البعث . فهي بعثية من حيث انتسابها الى حزب معين وليس لانها ذات مضمون متميز عن الاشتراكية القومية او الاشتراكية العربية... ويقاتل الماركسيون، يا بني ، ضد هذه المفاهيم الاشتراكية ، ويدعون ان ليس الا اشتراكية واحدة هي الاشتراكية الماركسية ويخوض الاشتراكيون العرب القتال الفكري دفاعا عن افكارهم .. لانهم على وجه التحديد يرفضون ان " يتحول الوطن العربي الى كوبا اخرى وان يوضع التراث العربي في المتاحف " ..

ابتعد يا ولدي ، عن مطاحن الهواء الاشتراكية فانها عاتية..

المطحنة الرابعة :

قال : " واخيرا فان مفهوم الوحدة العربية لايعني بأي حال من الاحوال جمع شتات الامة العربية بطريقة حسابية الية بضم قطر عربي الى قطر عربي ثان ثم ثالث ثم رابع .. الخ في وحدة فدرالية او اتحادية او دستورية او اندماجية دون اعتبار لنوعية الانظمة العربية وطبيعة ارتباطاتها الخارجية.. "

هذه تخيلات لم يقلها احد ولا يمكن لعاقل ان يقولها ، لانه- يا بني- لا يمكن ان يوجد نظامان اجتماعيان اقتصاديان او قانونيان في دولة واحدة سواء كانت عربية او غير عربية . هذا مستحيل. وعندما تتم الوحدة سيكون لهما نظام واحد بصرف النظر عن الانظمة الاقليمية التي كانت قبلها . ثم اسمح لي . انك تفرق بين الوحدة الفيدرالية والوحدة الاتحادية وهما شيء واحد . الكلمة الثانية هي المقابل العربي للكلمة الاولى . وتفرق بينهما وبين الوحدة الدستورية، مع ان كل وحدة حتى لو كانت تعاهدية هي دستورية لأن لكل دولة دستور.

ثم تهاجم كل هذه الخيالات فتقول :

" ان هذا المفهوم يستند الى ان التجزئة هي مصدر واساس كل معضلات ومآسي الامة العربية وهو مفهوم سطحي بقدر ما هو خطير في مضمونه كما ان تحقيقه مستحيل عمليا وتتأتى خطورته من انه يؤدي عمليا لتصفية الانظمة التقدمية وبالتالي تصفية ثورة القومية العربية الشاملة " .

يا اخي،

اذا كان هذا المفهوم مستحيلا " علميا " فكيف يؤدي "عمليا "، لتصفية الانظمة التقدمية . كيف يكون مستحيل التحقق ومؤثرا- في الوقت ذاته- الى هذه الدرجة الخطيرة . ثم لماذا يؤدي عمليا لتصفية الانظمة التقدمية ولا يؤدي الى تصفية الانظمة الرجعية ؟.. الا يتوقف الامر على القوى الثورية التي تلغي التجزئة وتحقق الوحدة وتقيم النظام الذي يتفق مع مبادئها.. انها اذن وحدة تقدمية ستصفي الانظمة الرجعية . لأن النظم الرجعية- لعلمك يا اخ عبد الله – ليست وحدوية . اليس كذلك؟.. تجيب فتقول قياسا : " ان شعاراً مماثلا ، ولكنه اقل طموحا، وهو شعار " وحدة الصف العربي " والذي يعتبره البعض شعارا وحدويا تطورياً قد نجح الى حد ما في الاونة الاخيرة لارضاخ انظمة تقدمية لمخططات الرجعية العربية والامبريالية العالمية ".

يا اخي،

من قال لك، ومن اين اتيت بما قلته من ان شعار وحدة الصف العربي مماثل لشعار الوحدة العربية. هل كنت غائبا عن أحداث التاريخ العربي القريبة؟. الا تعرف ان شعار " وحدة الصف العربي " قد طرح بدلا من شعار الوحدة العربية فهو تراجع عنها . التراجع عن الوحدة ليس مماثلة بل عودة إلى النقيض . ومن هم اولئك الذين يعتبرون شعار وحدة الصف العربي شعارا

وحدويا تطوريا؟ الا تذكر ان عبد الناصر قد قبل هذا الشعار في مرحلة شرحها بالتفصيل واوضح انها فترة انحسار وانتكاس للمد الوحدوي . ثم تقول ان هذا الشعار قد نجح في ارضاخ انظمة تقدمية لمخططات الرجعية العربية والامبريالية . فما هو مقياس التقدمية عندك؟ وكيف تتصور ان الانظمة التقدمية ترضخ لمخططات الرجعية؟ ألم يخطر في بالك ان تلك النظم التي في ذهنك وتسميها تقدمية قد لا تكون كذلك ، وبالتالي يكون شعار وحدة الصف العربي من حيث هو بديل مضاد لشعار الوحدة هو الذي يجمع كل النظم الرجعية؟ لماذا بالله عليك ، تفترض ان شعار وحدة الصف العربي مماثل لشعار الوحدة العربية، ثم تفترض ثانياً انه شعار وحدوي متطور، ثم تفترض ثالثا ان النظم التي التقت عليه نظم تقدمية، ثم تفترض رابعا انه أرضخها لمخططات الرجعية.. كل هذا تفترضه من عندك، لا لشيء الا لتعطي نفسك فرصة مهاجمة شعار الوحدة العربية؟

هل اظلمك عندما اسمي هذا دون كيشوتية؟ انه البديل المهذب عن الوصف الذي تستحقه كلماتك. الغريب حقا ان ما يشغلك مشروع.. وان لك قضية تبدو عادلة. ولكنك تطرح قضيتك طرحا دون دون كيشوتياً فاشلا. هل اقول لك ما هي قضيتك؟.. ما الذي يشغلك ؟ . قلته انت عندما قلت وبحق :

" ان الوحدة بهذا الشكل الالي لا سبيل لحمايتها ضد مخاطر النكسات والانحرافات اما الخطر الاكبر فيكمن في ان مثل هذه الوحدة قد تقبلها بعض الانظمة بدوافع نفعية انتهازية خاصة عندما يصل التناقض بين الجماهير الكادحة والطبقة الطفيلية الحاكمة حد الانفجار او الثورة الشعبية . عندئذ تكتشف الطبقة الحاكمة من جديد ان الوحدة هي طوق النجاة الوحيد . وتأتي الخطورة من ان اية وحدة او مشاريع وحدوية تتم بدوافع غير او ضد وحدة ثورية هي خيانة للجماهير العربية بتجميد تناقضاتها الاساسية مع الطبقات الحاكمة البورجوازية او العميلة كما تساهم في ارباك الجماهير وتخديرها باوهام الحلول السهلة والسريعة لمشاكلها علما بان النتيجة الوحيدة لمثل هذه الوحدة هي تدعيم الطبقة الحاكمة وحمايتها وحل ازمتها مع الاحتفاظ بامتيازاتها وتنميتها ؟.

هذه هي قضيتك التي تشغلك وتقلقك كما فهمتها مما كتبت . وهي قضية عادلة. ان الاقليميين الفاشلين الذين يتذكرون الوحدة كانقاذ لهم من الفشل كثيرون في الوطن العربي . ولكن الوحدويين الثوريين لا يرفضون الوحدة ولا يدينونها ولا يتراجعون عنها ولو عرضها الحكام

الفاشلون . لان الوحدويين الثوريين لا يتوقعون من الاقليمية الا الفشل . كل ما في الامر، يا اخ عبد الله ان الوحدويين الثوريين يقبلون الوحدة التي يعرضها الفاشلون ولكن بشروطهم هم . شروط الوحدويين الثوريين وليس شروط الاقليميين الفاشلين . انهم يعتبرون تقدم الاقليميين الفاشلين بعروض الوحدة هو تقدم المهزومين بعروض الاستسلام . عندئذ يتذكر الوحدويون الثوريون ان ضحايا الفشل، ودافعي ثمنه، هم جزء من الشعب العربي ، فيفرضون شروطهم . وشروطهم هي دائما ان تتم الوحدة لحساب الجماهير العربية بحيث تحل تناقضاتها مع حكامها لا مصالحة وسطية ولكن لمصلحة الجماهير وانتصارا لها . هذا هو الموقف المبدئي يا اخ عبد الله . ومن اجل الانتصار لهذا الموقف المبدئي الصحيح يختار الوحدويون الثوريون عشرات المواقف التكتيكية المنضبطة به المؤدية اليه ولكنهم لا يفرون ولا يتخلون عن غايتهم : الوحدة . لماذا تهاجم اذن الوحدة التي قد تقبلها بعض الانظمة بدوافع انتهارية خاصة لتفادي الثورة وخيانة الجماهير؟. انا اجيب بالنيابة عنك لأنك تصورت أن هناك مفهوما سياسيا بحتا للوحدة . ومفهوماً اشتراكياً أوحد للوحدة ، ومفهوما تحرريا اوحد للوحدة . كما توهمت انه يمكن ان تقوم الوحدة بين نظم مختلفة . ان هذه الاشياء التي تخيفك من بنات افكارك انت ولا وجود لها في الواقع . في الواقع العربي الحالي يا اخ عبد الله لايوجد الا مفهوم واحد للوحدة العربية . انها الوحدة السياسية الديموقراطية الاشتراكية التي تتم لمصلحة الجماهير العربية . فإذا كانت ثمة قوى معادية للوحدة تحاول ان تروج مفاهيم معادية للوحدة العربية الاشتراكية من موقع الانتهازية او العمالة او التخريب ، فواجبك ان تكافح ضد هذه المفاهيم المعادية لتؤكد مفهومك التقدمي للوحدة العربية . وليس من واجبك ولا من حقك، ان تقع في شباك التضليل فتطرح المفاهيم المعادية ، السطحية ، المستحيلة ، المربكة ، الساذجة ، تطرحها – انت – كما لوكانت هي المفاهيم الوحدوية المطروحة في الساحة العربية على وجه الحصر . ثم تبدأ تهاجم الوحدة العربية لانها- في تصورك- هي تلك المفاهيم الخاطئة . انك هنا تدخل معركة دون كيشوتية حقاً . تطعن مطحنة الهواء ولكن لاتصرع احد بل تصرع نفسك ..

فماذا قلت؟

قلت من عندك : " ان مفهوم الوحدة العربية يتجاوز التحرر السياسي واسترداد فلسطين وبناء الاشتراكية وتوحيد الأقطار العربية " . ماذا اذن؟.. قلت من عندك : " ان المفهوم الصحيح للوحدة العربية هو النهوض الثوري الشامل في مواجهة جبهة عريضة من العداوات.. " ما شاء الله . تمخض الجمل فلم يلد شيئا . نهوض؟ نهوض من اذا لم تكن قوى الثورة العربية . النهوض الثوري

الشامل؟.. اي نهوض ثوري شامل، اذا لم يكن ثورة شاملة في الوطن العربي كله من اجل التحرر السياسي واسترداد فلسطين وبناء الاشتراكية وتوحيد الاقطار العربية . فكيف تجاوز مفهومك للوحدة العربية ذاته؟..

قلت : " ان المنطلق للعمل الثوري العربي هو التطبيق القومي على المستوى القطري في كل ما تطرحه الثورة العربية من قضايا على مستوى قطري والنضال في الوقت نفسه من اجل انجاز مهام الثورة العربية في كل ما تطرحه الثورة العربية على مستوى قومي؟..

انا نستطيع ان نقبل منك هذا القول على اساس تكتيكي . بمعنى انه في نطاق استراتيجية الثورة العربية التي تستهدف اقامة دولة الوحدة الاشتراكية الديموقراطية يتعين على قوى الثورة العربية ان تضع طاقتها القومية في خدمة القضايا القطرية والمرحلية للجماهير العربية . نقبله لان احدا لا يتوهم ان الحياة ستتوقف الى ان تتم الوحدة . ونقبله لان كل مشكلة يعانيها الشعب العربي في أي مكان هي مشكلة قومية عند القوميين بالرغم من الحصار القطري . ونقبله لان قوى الثورة العربية القومية تعتبر نفسها مسئولة عن قضايا الشعب العربي في أي قطر، ولا تقبل ولا يمكن ان تقبل الحدود الاقليمية حائلا بينها وبين جماهير امتها العربية .

ولكنك للاسف لا تعني به هذا الذي نقبله.

انما انت تصنف مشكلات الشعب العربي " موضوعياً " فتزعم من عندك ان هناك مشكلات قطرية موضوعيا وليست قومية . وهناك مشكلات قومية موضوعيا وليست قومية . فتضع الاقليمية على مستوى مواز في المشروعية من القومية . ثم تبدأ فتختار ما يهمك : قضايا الاصلاح الزراعي في ليبيا قطرية . قضايا تصفية النظام القبلي والعشائري سلمياً واخويا في اليمن قطرية. قضايا الديموقراطية وحكم القانون في السودان .. الخ . اذا كانت هذه القضايا قطرية موضوعيا، فلماذا تطرحها الثورة العربية كما تقول . والثورة العربية ثورة قومية .

تقول : " ان النظرة الاقليمية تلتقي مع الرجعية المحلية والدوائر العميلة عندما تحاول التصدي لحسم قضايا تطرحها الثورة العربية قوميا بوسائل وادوات محلية بحتة " . فهمنا . ثم تضيف " وعلى نفس المنوال تسقط النظرة الاقليمية المغلقة في بؤرة الرجعية المحلية والدوائر العميلة عندما تحاول ان تحسم القضايا التي تطرحها الثورة العربية اقليميا بوسائل وادوات قومية " . فهمنا ايضا . ولكن اين هي النظرة القومية، التي تحسم كل القضايا في اي مكان ، على اساس

ان موقعها في المكان لا يسلبها سمتها القومية ؟ انك لم تتحدث عن هذا.. لان الذي يشغلك هو ما قلته :

" في الحالة الثانية تقطع النظرة الاقليمية جذورها من ارض الوطن وتنعزل كلية عن حركة الجماهير المناضلة وتتحول الى رايات معلقة على المباني او حلقات ماسونية ضيقة تتحول تحت القنوط والفشل والعزلة عن الجماهير الى جماعات سرية تنشد التعاون مع الانظمة الرجعية خلسة وتتخذ من الهجوم المسعور على المناضلين جهارا نهارا مع الجماهير وسيلة واداة لها ..."

يا اخ عبد الله...

اذا كنت قد فهمتك ، وفهم مقالك ليس سهلا، فانك تخشى امرين :

الامر الاول : ان تكون الدعوة الى الوحدة العربية. او عرضها، او قبولها ، وسيلة انتهازية لأنقاذ نظام حكم اقليمي يستحق في نظرك السقوط ... وهذا حق .

الامر الثاني : ان تكون الدعوة الى الوحدة العربية، او عرضها، او قبولها، مهربا يلجأ اليه المناضلون حتى لا يواجهوا مخاطر النضال الشعبي بين الجماهير في كل اقليم . وهذا حق .

ولكن يا اخ عبد الله ما ذنب الوحدة العربية كهدف قومي للثورة العربية التقدمية فيما يفعله او يحاول فعله الانتهازيون او الهاربون؟ ان كل ما يمكن عمله لمواجهة مثل هذه الحالات هو التاكيد المستمر، فكرا وممارسة على امرين نقيضين :

الامر الاول : ان الوحدة اشتراكية ديموقراطية فهي لمصلحة الجماهير العربية وليس لمصلحة حكامها واعدائها .

الامر الثاني : ان كل المشكلات قومية. ولكنها من حيث هي قومية منثورة في مواقعها على الارض العربية وبين جماهيرها. وانه حيث تكون المشكلة يكون القومي التقدمي . هناك بين جماهيره العربية بصرف النظر عن الحدود القطرية او الصحاري او الغابات . ان كل المشكلات قومية، وليس ثمة مشكلات قطرية حتى يزعم اي عربي ثوري انه لا يريد ان يشغل نفسه بالنضال من اجل حل المشكلات القطرية ، لأنه قومي ، فيترك جماهير امته- مثلا- يعانون القهر السياسي او الاقتصادي لينضم الى تجمع الذين حولوا الثورة العربية الى كلمات في صالونات "

المهجر ".. في انتظار الوحدة التي تعيدهم الى حيث تركوا الجماهير العربية تعاني وحدها.. ثم تضعهم على مقاعد الحكم " الاقليمي " باسم القومية والثورة العربية وكل هذه السفسطات .

وانه لمن المضحكات حقا ان نتهم حكام بعض الاقطار العربية بالانتهارية لانهم يرفعون شعارات الوحدة العربية من اجل انقاذ حكمهم الاقليمي الفاشل . الفاشل لانه اقليمي . ثم نرفع نحن شعار الثورة العربية الشاملة لمجرد ان نصل الى حكم اقليمي ليس اقل فشلا.. لانه منذ البداية يقسم مشكلات الشعب العربي الى مشكلات قومية لا تحسم الا قومياً ومشكلات قطرية لا تحسم الا قطريا. غدا سيقول ليس للثورة العربية ان تتدخل فيما هو " قطري " موضوعيا .. كقضايا الديموقراطية وحكم القانون في السودان .. مثلا . مجرد مثل يا اخ عبد الله .. وبما ان الوحدة العربية متوفرة بوحدة الامة كجماعة تاريخية من البشر فلا داعي للوحدة السياسية.. ساعدونا فقط واتركوا لنا افكارنا . مضحك لانه متناقض . وهل ثمة تناقض اكثر من ادانة الانتهازية بمنطق انتهازي .. وبالمناسبة تعد قصة " دون كيشوت " ضمن ادب الملهاة (الكوميديا) الذي يثير الضحك.

سانكو بانزا:

صاحب دون كيشوت ورفيق مغامراته كان اسمه سانكو بانزا. رجل عاقل بسيط هادىء ومع ذلك قبل مشروع دون كيشوت وصاحبه في مغامراته ولقى فيها متاعب كثيرة . لماذا؟ تمثل الاجابة على هذا السؤال قمة عبقرية دي سرفانتس كمؤلف روائي . ففي نهاية الجزء الثاني من القصة يكتشف القارىء ان سانكو بانزا كان يعرف منذ البداية ما لم يصارح به دون كيشوت ابدا . كان يعرف انه في تصوره للاعداء والضحايا وواجبه " كفارس " ان يقاتل من اجل انقاذ المظلومين وينجد الضعفاء، كل ذلك كان اوهاما. ولكنه لم يقل ابدا لدون كيشوت انها اوهام . لماذا اذن شارك في مغامرات دون كيشوتية؟ ليس لهذا تفسير واحد . قال بعضهم لأنه ريفي بسيط جرته الى المغامرة عواطفه نحو دون كيشوت . وقال اخرون انه لم يكن واثقا تماما مما اذا كان دون كيشوت عاقلا او مصابا، وانه خاض التجربة خوفا من ان تكون صحيحة فلا يشارك في ثمارها. واقول ان سانكو بانزا الذي يحب دون كيشوت كانسان ، ويعرف المخاطر التي تنتظره لم يشأ ان يقنعه بالعدول لانه يعرف ان الاقتناع يحتاج الى قدر من العقل كان مفقودا، فشاركه المغامرة ليحرسه، ما استطاع، من مخاطرها، مؤملا ان يتعلم دون كيشوت من التجربة ما لا

يستطيع ان يتعلمه بالاقتناع وقد انقذه فعلا من مآزق كثيرة. وعامله برفق المشفق المحب الذي لا يصد صاحبه ولكن يحذره بمودة بالغة، ثم يتابعه الى ما هو محذور حتى يحول دون هلاك صاحبه.

واني لاحسب الاخ تحسين عبد الحي يدرك من امر عبد الله زكريا ما ادرك سانكو بانزا من امر دون كيشوت، وانه عامله اذ رد عليه بمثل الرفق والرحمة التي عامل بهما سانكو بانزا رفيقه وحبيبه دون كيشوت . ثم احسب ان مرجع كل هذا الى ان تحسين عبد الحي، الذي يبدو من رده انه يغلي داخليا، رجل عاقل وهادىء وبسيط . فجاء رده عاقلا و هادئاً وبسيطا.. وهو يكتب تحت العنوان ذاته " قراءة جديدة لمفهوم الوحدة العربية " . ان استعمال ذات العنوان الذي استعمله عبد الله زكريا في الرد عليه هو ذاته رد لاذع ولكنه هاديء .

وكل هذه فضائل عندما يكون الامر امر علاقات شخصية . أما عندما يكون الامر امر اهداف هذه الامة وعلى رأسها الوحدة العربية فلا بد من الحزم او الحسم . ليس الحزم والحسم اللازمين لردع عبد الله زكريا ، ابدا، بل الحزم والحسم اللازمين لحماية القراء من الجيل العربي الجديد من مخاطر التأثر بالاراء المغلوطة.. عمدا وبشرط الا نقطع الحوار .. ان هذه دعوة الى الاخ عبد الله زكريا ليكمل حديثه فيطرح على قراء " الشورى " برنامجه السياسي والقومي الذي وعد به .

الاتقان والخطأ :

في العدد الاول من السنة الثانية من الشورى نموذجان احدهما نموذج للاتقان الذي يثير الاعجاب حقا. والثاني نموذج للخطأ الذي يثير العجب حقا .

اما الاتقان الذي يثير الاعجاب حقا فهو عرض كتاب " التخطيط والتنمية " تاليف شارل بتلهايم وترجمة الدكتور اسماعيل صبري عبد الله وعرض وتلخيص "نضال" . لقد كنت قرأت هذا الكتاب اكثر من مرة. واوصي الشباب العربي لان يقرأه . وفي كل مرة قرأته كنت اشعر بقلق التركيب الفكري فيه. يبدو انسياق الافكار فيه مضطربا . ولكني لم توقف مرة لاعرف مرجع هذا الشعور. الى ان قرأت عرضه في الشورى وفيه قرأت : " تسهيلا للقارىء وبالذات القارىء غير المتخصص فاننا في العرض الذى نقدمه سنعيد ترتيب القضايا الواردة في الكتاب ترتيبا منطقيا".. هو هذا اذن . وعدت لمراجعة الكتاب فاذا بمرجع الشعور بقلق التركيب الفكري فيه ان الذي جمع

مقالاته رتبها ترتيبا كيفما اتفق فلا راعى ترتيبها المنطقي ولا حتى ترتيبها التاريخي (الفصل الاول محاضرة القيت في جامعة الجزائر ١٩٦٣ والثاني محاضرة في كوبا ١٩٦٣ والثالث في جامعة بلغراد ١٩٦١ والرابع محاضرة في جامعة باريس ١٩٦١ والخامس في الهند ١٩٥٤ والسادس عبارة عن محاضرتين احداهمما في القاهرة ١٩٦٣ والثانية في المكسيك ١٩٦٣ والسابع جزء من بحث مقدم الى المعهد الهندي للاحصاء والثامن مجرد ملاحظات من اجل مشروع بحث لم يتم والتاسع بحث كتب في ١٩٦٤). فللقلق المنطقي فيه اسباب عدة . واعادة ترتيبها منطقيا يحتاج الى ثقة وتمكن . واشهد ان العرض او التلخيص يكاد يغني عن الكتاب ذاته وهو منتهى الاتقان .

الخطأ الذي يثير العجب جاء في " على السفود " . مصدر العجب هو المصادفات التي تكاد تتعمد السخرية. في الفقرة الأولى تحت عنوان " كل عام وانتم بخير " تحدث ابو ذر طويلا عن الزمان "المفقود". اسقاط الايام او الشهور او السنين من التسلسل التاريخي لتصحيح حساب التاريخ . فردت اليه مطبعة الشورى احد سهامه وكأنها تسخر منه واسقطت قرنين كاملين من حساب الزمان عندما طبعت " تولى عمر الخلافة يوم ٢٣ اغسطس سنة ٤٣٤ ميلادية " .. وصحته ٦٣٤ ميلادية . الفارق قرنان .. بسيطة.

القاهرة في ٦ مايو ١٩٧٥

من أبي ذر إلى رئيس التحرير :

لا يستطيع ابو ذر ان يضع كل من يستحق على السفود ، والا لاحتاج الى مصنع خاص لانتاج القضبان الحديدية والى مثل نار جهنم لا تحتاج الى وقود من خارجها . ثم هب ان ابا ذر قد اخذته العزة بالحق ، فحمل رئيس التحرير على سفوده وشواه ، فاصدر الشواء قرارا بالاستغناء عن الشاوي فماذا تكون النتيجة ؟.. يختفي ابو ذر ويعود الى عزلته . الحق ان ابا ذر لم يعد يستطيع الا مكرها – وعسى الا تكرهوه – ان يختفي من صفحات " الشورى " ويعود الى عزلته . الم يقل من قبل ان نقد " الشورى " قد اصبح مصدرا عظيما لتنمية ثقافته. ثم ما بالكم بمعتزل عرف متعة المناكفة والمداعبة والمشاغبة مع اصدقاء لا يعاديهم ولا يتمنى ان يعادوه . اعني كتاب "الشورى". ان رائحة الشواء قد ربطت ابا ذر و"الشورى" بمواثيق عاطفية مليئة بالشوق والامل كتلك الروابط التي تحمل الجوعى على ان يمروا ثم يعودوا ثم يمروا امام مطاعم " الكباب ". شوق وامل في ان يتحقق في " الشورى " شعارها ولا يبقى مطبوعا على غلافها الممزوق .

هذه العواطف التي لم تتجاوز الشوق الى اللقاء ، وما تجاوزت الامل الى الواقع، والتي يؤججها الحرمان- كما لابد ان يعرف الشباب - تحمل صاحبها على ان يكون مشغولا فكريا ونفسيا بموضوع عاطفته . وموضوعها بالنسبة الى ابي ذر- وليس بالنسبة الى الشباب بالضرورة- هي "الشورى" عندما تصبح شكلا وموضوعا "مجلة الفكر القومي التقدمي"..

وما الذي يستطيعه العطوف المشوق المؤمل.. ايها الشباب - الا ان يتمنى ؟..

في اكثر من عدد قلت صراحة وضمنا ان "المادة" التي تنشر في الشورى ما تزال "اخف" من الشعار الذي تحمله . وحرضت الكتاب على ان يتعبوا انفسهم- قليلا- حتى تأتي مقالاتهم مراجع للدراسة يفيد منها الجيل العربي الجديد. موضوع محدود ولكن مدروس خير الف مرة من موضوع طويل انشائي اللغة ، غني التعبيرات ، فقير المضمون . ولما كنت منحازا الى القراء ضد "الشورى" وكتابها، وكنت اعلم من خبرتي الطويلة ان مخازن القراء- من الشباب خاصة- مليئة بمواد فكرية غنية لاتجد طريقها الى صفحات "الشورى " ، ربما لان الشباب يتهيبون الكتابة، فقد اقترحت على "الشورى " ان تنشىء بابا ثابتا لرسائل القراء والرد عليها ، هذا الباب لم يظهر

بعد. اعني ان ابواب " الشورى " ما تزال مغلقة على نفر من الكتاب يكاد المرء ان يحصيهم عددا على اصابع اطرافه. ومهما يكن هؤلاء من الكفاءة فان للكفاءة وحتى للعبقرية حدودا. ولا يسع انسان الا ان يكرر نفسه او بعضها اذا حملها على الكتابة المتكررة .

وسنضرب فيما بعد مثلا.

قبل ان نضرب المثل ، نعلن للقراء اننا اقترحنا على الشورى اقتراحا يغنيها ولا عيب فيه. اعلنه لاحرض القراء على ان يساندوه او يقترحوا بدائل عنه. او اضافات اليه. ذلك لانه- والخطاب الى القراء من الجيل العربي الجديد - ما دامت الشورى قد حملت على غلافها شعار " مجلة الفكر القومي التقدمي " فان ملكيتها الفعليه - وليست القانونية- قد آلت الى القوميين التقدميين وخاصة الجيل الجديد منهم . ذلك الجيل الذي لم تنفد بعد قوة ابداعه ولم تجف منابع خياله. ولا يقبل القوميون التقدميون، شيوخا وكهولا وشبابا ، ان تطبع الشورى " سند ملكيتهم " على غلافها ثم يحتكرها نفر لاقلامهم .

كان المدخل الى اقتراحي سؤالا : لماذا لاتكون " الشورى" مصبا تلتقي فيه كل الافكار القومية التقدمية المنشورة ، ويدور على صفحاتها حوار بالكلمة مع كل المجالات الفكرية التي تصدر في الوطن العربي؟.. اقترحت- كاجابة- اضافة باب ثابت جديد قد يكون اسمه " قالوا.. وقلنا " تلخص فيه الشورى المقالات الجيدة التي تنشر في اية مجلة اخرى ويعلق عليها كتاب من "الشورى" او من خارجها او من القراء انفسهم، بحيث يصبح قسم من رسائل القراء تلخيصا لما يقرأون في مجلات اخرى وتعليقا عليه . لو نفذت "الشورى" هذا الاقتراح لاصبحت فيما اعتقد، اغنى مادة مما عليه الان . والمادة الغنية هي وحدها مقياس نجاح اية مجلة فكرية ..

وهذا رأي جديد من ابي ذر الى رئيس التحرير..

ان رئيس التحرير غير محروم، اعني ليس محرما عليه، التعبير عن افكاره في مجلة "الشورى " اذا اراد ذلك . ان اراد فعليه ان يقف في صف الكتاب . ان يقدم مقالة لها عنوان يحدد ويلخص موضوعها وتحتها توقيع مسؤول عنه. ثم ان ينتظر دوره على السفود . ولقد سكتنا وصبرنا عاما على رئيس التحرير ، وهو ينشر افكارا وخواطر مجزأة موزعة على الاعداد ، عددا عددا، في مسلسل لا نعرف الى اين ينتهي . ومتى تنتهي تحت عنوان " الافتتاحية " وتوقيع " رئيس التحرير " .. لم يستطع ابو ذر ابدا ان " يضبط " رئيس التحرير متلبسا بفكرة محددة البداية والمضمون والنهاية في عدد معين ، لينقدها او يعلق عليها . ان هذا اسلوب خطر.. وخطير . اما انه

خطر فلأن للكفاءة وحتى للعبقرية حدوداً كما قلنا من قبل . ولا يستطيع الاخ جمعة المهدي الفزاني أو غيره ، ان يبدا مسلسلة افكار ويواليها حلقة حلقة طوال عمر المجلة المديد . انه سيكرر نفسه. انه سيناقض نفسه مرة . انه سيفلت كل مرة من السؤال . ماذا يريد ان يقول رئيس التحرير .. لان الاجابة في كل مرة ستكون : انتظروا العدد القادم من كبرياء جمعة المهدي الفزاني ، ولكل كاتب كبرياء لا يعرفها الا الكاتب ، قد تحمله على انكار انه يجهد فكره وقلمه اجهادا مستمرا خوفا من ان يكرر نفسه ويناقض نفسه . ان ابا ذر يتدخل ليقول : كفى يا رئيس التحرير.. بارك الله فيك ولكن كفى . ان الخطر عليك له نتائج خطيرة على المجلة . اهمها الا تكون الافتتاحية مقروءة . ولا نريد لمجلة الفكر القومي التقدمي ان تحمل كلمة واحدة غير مقروءة.. !

نحن نعلم ان اسلوب " الافتتاحية " كما كتبها رئيس التحرير في العام الاول من " الشورى " اسلوب دارج . انه متكرر في كل مجلة تقريبا.. ولا يفعل جمعة المهدي الفزانى الا ما يفعله رؤساء تحرير المجلات المماثلة في الوطن العربي . ولكن - يا اخ - جمعة هذا هو " مربط الفرس " كما يقولون. لا ينبغي لمجلة الفكر القومي التقدمي ان تكون " مثل " باقي المجلات ، لا في الشكل ولا في المضمون ولا في اسلوب تقديمها الى القراء تحت عنوان " الافتتاحية ".. ابو ذر يدلك على الحل في مجلة فكرية كان عمرها قصيرا ، ولكنها- في عمرها القصير- كانت متفوقة في افتتاحيتها. انها المجلة الوحيدة- على قدر ما اعرف- التي كانت افتتاحيتها تقرأ قبل موادها ، وكانت تغني- في بعض الاوقات- عن قراءة كل موادها، وكان القراء يتصفحون الافتتاحية من كل عدد قبل ان يشتروه .

انها مجلة " الفكر المعاصر " التي ظهرت في القاهرة ثم اختفت . اختفت لاسباب لا علاقة لها باستحقاقها الحياة الطويلة . كان رئيس تحريرها الدكتور زكي نجيب محمود كان يكتب افتتاحيتها في كل عدد. ويكتب فيها مقالات مستقلة من حين الى حين . كان الدكتور زكي نجيب مجمود يقرأ كل المقالات المرشحة للنشر- واخد بالك يا اخ جمعة- ثم يختار منها لكل عدد مجموعة من المقالات تتضمن فكرة " مشتركة " او افكارا متعددة " متكاملة " ثم يفتتح العدد بمقال يعرض اهمية الفكرة المشتركة، او الافكار المتكاملة مشيرا الى الزوايا المختلفة التي نظر منها كل كاتب الى ذات الفكرة او الافكار. كانت الافتتاحية عرضا واعيا للمقالات الرئيسية- على الاقل- بدون ان تكون تلخيصا لها. كانت " فاتحة شهية " للقراء ولم تكن " وجبة" موازية او بديلة. ارجو ان يجرب الاخ جمعة المهدي الفزاني هذا الاسلوب في كتابة افتتاحيات " الشورى " . ان

لديه كل ما يلزم لنجاح التجربة. وعندما يرجو ابوذر فلأنه – كما قال اولا- لا يستطيع ان يضع كل من يستحق على السفود .

ويا ايها القراء من الجيل القومي التقدمي الجديد ، امطروا محرري " الشورى " باقتراحاتكم ورسائلكم. ولتنهمر عليهم افكاركم حتى تغرقهم . فلعل " الشورى " ان تكون في حاجة الى طوفان من الافكار الجديدة لتطفو صاعدة الى مستوى شعارها ..

الى ان تفعلوا، سيكتفي ابوذر في هذا العدد بأن يجذب بعض الكتاب من الظل الى الشمس . ان الحر الذي يحرض على التقوى لأنه يذكر بنار الاخرة ، لكاف لكتاب العدد الثاني (السنة الثانية) من "الشورى " . ولعل لابي ذر مأربا آخر من جذب بعض الكتاب من الظل الى الشمس . لعله يريد ان يراهم القراء جيدا ويعرفوهم معرفة واضحة . فالحق الحق اقول لكم ان العدد الثاني من السنة الثانية من الشورى كان جيدا . ولقد اجاد كتابه جميعا الا نفر قليل .. وسيكون حرقا للافكار اذا ما احترف ابو ذر وضع كل شي على سفوده حتى الافكار الناضجة.. وما كان ابوذر يوما الا من المصلحين .. اقصد الصحابى الجليل أبو ذر الغفاري ...

تكرار البيطار:

يعرف قراء الشورى الدكتور نديم البيطار منذ العدد الثاني من السنة الاولى حيث عرضت الشورى ملخصا لكتابه " نحو الارتباط بمصر الناصرية او طريق الوحدة العربية " .

في ذلك التلخيص جاءت فقرات لاتنسى . منها " قصور الفكر الوحدوي في تناوله قضية الوحدة لانه لا يضيف الى معرفتنا الوحدوية شيئا ويقتصر اثره على شحذ وايقاظ مشاعرنا و تطلعاتنا الوحدوية . وعلى الرغم من حاجته الى مثل هذه الدراسة الا انها غير كافية " . ومنها " ان من مهمة الفكر ان يمارس عبر ذاته، قوة دافعة نحو الوحدة ، لان قوة الفكر الثوري تكمن في قدرته على اعطائنا صورة جديدة عن تجارب نعانيها مما يعني تحولا في الوعي ، مهمة اخراجنا من المالوف " . ومنها : " الفكر الوحدوي اصبح يتحرك في مكانه تقريبا في عالم فكري مألوف عادي استنزف فيه امكانياته وقد اصبح لزاما عليه الانتقال الى مرحلة جديدة يكشف بها عن امكانيات وطاقات جديدة .. تصحيح الوضع الوحدوي اذن يحتاج الى نظرية وحدوية جديدة " . ومنها : " ان الفكر الوحدوي يجب ان يرتفع من زاويته الخاصة فيشغل نفسه اولا بالقضايا والعناصر الاساسية

العامة الدائمة التي تنطوي عليه التجربة الوحدوية " . ومنها اخيرا : " ان المسألة لم تعد اليوم هل نريد الوحدة ام لا ؟.. او هل نحن امة واحدة تحتاج الى الوحدة ام لا ؟.. وانما المسألة الان هي كيف نصل الى الوحدة ؟ كيف نحققها ؟ ماهي الطريق اليها ؟..

الذي لخص الكتاب وعرضه هناك في العدد الثاني من السنة الاولى هو الاخ عبد الرحمن شلقم او شلجم، لست ادري ، فان المطبعة قد وضعت قافا فوق الجيم ، على أي حال يستويان فنطقهما واحد في لهجة جنوب الجزيرة العربية والخليج العربي وصعيد مصر . المهم ان الاخ عبد الرحمن كاتب " عفريت " (من النباهة لا من الشيطنة) فقد ذكر في عرضه للكتاب تعليقا على ادانة الفكر الوحدوي. ان المؤلف " يكتفي " بان يقول ان كل ذلك ينطلق من مفاهيم تبشيرية غير موضوعية تدل على خطأ فكري وليس على وعي علمي ، تعبر عن رغبات ومشاعر وانفعالات وليس عن وقائع وقوانين تحتل طبيعة وجوهر العملية الوحدوية". والعفرتة (بمعنى النباهة) تكتفي بكلمة "يكتفي" لتقول . ان صحت الادانة فماذا تقدم انت؟..

في العدد الثاني من السنة الثانية يعود الدكتور نديم البيطار فيعيد ذات الحكم بالادانة على الفكر الوحدوي مستعملا الجمل ذاتها ، الالفاظ ذاتها ، المعاني ذاتها ، ... و" يكتفي " بها ايضا كما فعل من قبل ...

يقول مثلا :

١- اكثرية الفكر الوحدوي الساحقة اصبحت عاجزة عن اضافة اي شيء مهم ، اساسي ، الى معرفتنا الوحدوية واثرها يقتصر بشكل خاص على شحذ وايقاظ مشاعرنا وتطلعاتنا الوحدوية وتنبيه افكارنا الى المقصف الوحدوي . هذا- وان كان ضروريا- الا انه غير كاف .

٢- انه يحتاج كي يمارس قوة دفع فعالة نحو الوحدة الى معرفة وحدوية علمية جديدة عامة شاملة تسدد خطاه وتضبط قواه ووجهته، وهذا لم يتوفر بعد للفكر الوحدوي .

٣- هذا الفكر الوحدوى استنزف امكاناته ولم يعد بمقدوره ان يدفع بشكل فعال العمل الوحدوي الذي اصبح يحتاج الى قفزة كبيرة من التفكير الوحدوي .

٤- المسألة لم تعد اليوم هل نريد الوحدة ام لا ؟ .. أوهل نحن امة واحدة ام لا ؟.. هل نحتاج الى الوحدة ام لا . فالشعب العربي اجاب بوضوح على تساؤلات من هذا النوع المسألة الآن هي كيف نصل الى الوحدة ؟ كيف نحققها، ما هي الطريق اليها ؟..

ماذا يمكن ان يقول حتى ابو ذر في مثل هذا التكرار. كيف تعيد الشورى على صفحاتها ما سبق ان نشرته. ان كانت ذاكرة محرريها ضعيفة فان ذاكرة القراء حادة .. وماذا نقول للاستاذ الدكتور نديم البيطار نقول .. لقد حسب ابو ذر الذي يتتبع ، بعناية، ما تكتبه منذ ١٩٦٤، انك اهتديت الى حل "وحدوي" تقدمه الى الجيل الجديد يوم ان نشرت كتابك " نحو الارتباط بمصر الناصرية او طريق الوحدة العربية ". وكان يتوقع منك وانت استاذ من اساتذة الفكر القومي ان تبدأ من تلك النهاية. ان تكتب بعدها عن اسلوب وادوات وطرق وتفاصيل حركة الارتباط بمصر الناصرية من حيث هو طريق الوحدة العربية؟.. ولكنك عدت ، وانت استاذ كبير، تردد اتهاماتك للفكر الوحدوي، كأنه لا يكفيك ما يقوله اعداء القومية والوحدة.. ان الرد على هذه الاتهامات سهل . ونستطيع ان نعين لك افكارا وحدوية لا تنقصها العلمية ولا الواقعية ... والكتاب القوميون الوحدويون ينتصرون انتصارا ساحقا في كل مرة تحاول فيها القوى اللاقومية واللا وحدوية اتهام الفكر القومي الوحدوي بمثل ما تتهمه انت به . ولكن المسألة- يا استاذنا- ان الوحدويين يخوضون على كل المستويات، بما فيها المستوى الفكري ، معارك ضارية ضد اعداء الوحدة . وهم يرون ان الكلمات مثل كل الاسلحة، لا يمكن ان تكون محايدة . وعلى كل صاحب فكرة ان يأخذ مكانه الى جانب رفاق معركته. ومن هنا فانهم لا يقبلون- الان على الاقل- ان يدخلوا معارك جانبية ضد رفاقهم . انهم يتحاورون فيما بينهم. ويعارض بعضهم بعضا. ويختلفون . وقد يتخاصمون . ولكن كل هذا من أجل شحذ افكارهم- اسلحتهم- الموحدة وليس من اجل تغذية وتقوية مواقف اعداء وحدة امتهم .

ان ابا ذر، الشيخ الضعيف، يستطيع، وتأكد من هذا ، ان يثبت لك خطأ كل كلمة قلتها في مقالك. اقول كل كلمة لأن الخيط الفكري الذي جمعها خاطىء. خاطىء علمياً . ولكنه لا يفعل. على الاقل الى ان يلتقي بك ويحاورك محاورة المودة لا جدل الخصومة . لماذا ؟ لانه يعلم علم اليقين انك قد وضعت كل جهدك الفكري ، كل عواطفك الجياشة، كل كفاءتك العلمية في خدمة القضية المشتركة: الوحدة العربية . وهكذا ترى يا استاذنا، او يرجو ابوذر ان ترى ، انه كما لن يستفيد من الكشف العلني لخطأ مقولاتك الا اعداء الوحدة فان اصرارك المستمر على التشهير بالفكر الوحدوي ، جملة ، لن يخدم الا اعداء الوحدة ...

كتاب كامل تدين به الفكر الوحدوي الذي ساهمت فيه اجيال من الاساتذة والمناضلين ثم " تكتفي". ومقال كامل تعيد به " حيثيات ، الادانة ثم " تكتفي ".. وبعد؟.. وبعد يا دكتور..

اخطأت الاجيال. سلمنا لك " بالنبوة الفكرية " .. فهات تعاليمك؟.. بلغ رسالتك؟ قل للجيل العربي الجديد .. افعل كذا ولا تفعل كذا وسيستمع اليك لانك نبي واستاذ..

في مقدمة كتابه الذي سنتحدث عنه بعد قليل قال الدكتور البيطار ان دور السياسيين في الحركة العربية قد زال ودخلت دور الانبياء...!!

ان كان الجيل الجديد من الشباب العربي لا يعرف ذلك فاسمح لابي ذر ان يقدمك اليهم حتى تتأكد انت، ويتأكدوا هم، انك جدير بان تجيب على السؤال الذي طرحته منذ ١٩٦٤ ولم تجب عليه بعد: ما العمل؟..

ذكريات حلوة ومرة :

ايها القراء من الجيل العربي الجديد..

لم تشهد الامة العربية في تاريخها اروع من السنوات الخالدات ١٩٥٨- ١٩٦١. سنوات الجمهورية العربية المتحدة التي جمعت سوريا ومصر في دولة واحدة تحت قيادة جمال عبد الناصر. انها الفترة التي كتب عنها الوزير الفرنسي بنواميشان كتابه العظيم " ربيع العرب " معبرا عن دخول الامة العربية مرحلة ازدهارها. كان كل شيء يبدو رائعا. قيادة عملاقة تحتل المكان الاول بين الزعامات العالمية . تلتف حولها وتأتمر بأمرها وتتبع خطاها عشرات الملايين في كل مكان من الوطن العربي . انحسار لقوى الاستعمار وهزائم متكررة في كل صدام . انكماش ورعب قاتل لدولة الصهاينة. حركة بناء بالغة الجدية في دولة الوحدة . احترام وتقدير كاملان لكل ما هو عربي ومن هو عربي فى أي مكان من الدنيا . الثورة في العراق تنتصر. الثورة في الجزائر منتصرة . بذور الثورة في اليمن تنمو . الاسطول السادس ينزل قواته على شواطىء لبنان .. فينبرى للدفاع عن شواطىء لبنان جيش لبنان فلا يتقدم البحارة الامريكيون إلى ان يعودوا الى سفنهم (تصوروا !) ..

كان كل شيء يبدو رائعا.. كان كل شيء يبشر بدولة العرب الواحدة ، وبعصر جديد للانسان العربي . وتم كل شيء رائع باسم القومية العربية وبواسطة جماهيرنا العربية وبقيادة القوميين وتحت شعارات القومية، الى درجة أن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر نفسه قال في تلك الفترة - بعيد تحقيق الوحدة- " ان القومية العربية هي التي خلقتني . لست انا الذي اثيرها بل هي التي تحملني . انها قوة هائلة ولست الا اداتها المنفذة . ولو لم اكن موجودا لاوجدت

غيري ، واحد، عشرة، الفا يحلون محلي . ان القومية العربية لا يمثلها رجل واحد او جماعة من الرجال انها لا تتوقف على جمال عبد الناصر او على اولئك الذين يعملون معه . انها كامنة في ملايين العرب الذين يحمل كل منهم مشعل القومية. انها تيار لا يمكن مقاومته ، ولا تستطيع أية قوة في العالم تدميره طالما احتفظ بثقته في نفسه " .

من هذا المنطلق كان يقود جمال عبد الناصر جماهير امته . وبهذا المنطق كان يخاطبها. فاجتمع المنطلق والمنطق الصحيح والقائد الفذ والجماهير المناضلة في حركة عارمة حققت للامة العربية اروع سنوات تاريخها الحديث ١٩٥٨ – ١٩٦١ .

و فجأة، استطاعت قلة رجعية عميلة متآمرة ان تضرب دولة الوحدة وتفصل اقليمها الشمالي " سورية " و شلت المفاجأة المذهلة الجماهير العريضة وكل القوى القومية والوحدوية. وعندما حاولت الجماهير في دمشق واللاذقية وحلب ان تدافع عن دولتها، انتصارها، املها، سحقت. سحقتها القلة الرجعية العميلة المتآمرة.. وبدأ الانحسار. انحسار المد القومي .. ومع الانحسار الهزائم . ومنها هزيمة ١٩٦٧ التى ثبت فيما بعد مما نشرمن وثائق ان الانفصال كان جزءا من خطتها التي اعدت في الاصل بعد الوحدة مباشرة.. اعدتها الولايات المتحدة الامريكية لينفذها عملاؤها من العرب وادواتها من الصهاينة.

لقد ظل القائد الى اخر يوم في حياته يعاني فكريا وجسمانيا من جرح الانفصال . ولكنه لم يكن وحده الذي عانى وتعذب. جيل كامل من الشباب العربي (حينئذ).. ينتمي ابو ذر اليه، ايضا الدكتور نديم البيطار، تعذب وما يزال منذ الانفصال.. لانه- ذلك الجيل- يرى في كل يوم- حتى اليوم- من آثار الانفصال ما ينكأ جروحه ويجدد صديدها.. وكان لا بد- بالرغم من الالام والعذاب- ان يطرح على الشعب العربي كله سؤال : لماذا حدث هذا؟.. اعني لماذا حدث الانفصال سهلا ولم يعلق العملاء الخونة الانفصاليون على اعواد المشانق؟..

ويا للاجابات، الحاقدة، الشامتة، الهدامة..

انتهز كل اعداء الامة العربية وقوميتها ووحدتها مهزلة هزيمة جماهيرها العريضة امام القلة المتآمرة، ليقولوا بكل لغة، بكل صيغة، ويبرروا بكل فلسفة، بكل منطق، ويثبتوا بكل دليل بكل قرينة.. ان الخطأ كان في الوحدة ذاتها.. فلا تعودوا اليها ابدا. لم يدينوا الرجعية العربية العميلة المتآمرة ... لم يدينوا الولايات المتحدة الاميركية التي خططت للمؤامرة . لم يدينوا الصهيونية التي كانت حلقة الوصل بين العملاء وسادتهم . لم يدينوا واحدا، لم يدينوا جماعة.. كل هؤلاء

كانوا ابرياء. اما المجرم والجريمة معا فكانت الوحدة العربية .. كان الامر شبيها بما حدث اثر هزيمة ١٩٦٧، حيث ادين كل عربي ، فكرة او ممارسة او عملا.. ولم يدن احد المجرمين المعتدين .. الا الجماهير العربية وطلائعها من القوميين التقدميين .

في سنة ١٩٦١، بعد الانفصال، وفي مواجهة تكتل بشع من كل اعداء الامة العربية، كان على القوميين التقدميين ان يبحثوا عن الاجابة الصحيحة على السؤال الاساسي : لماذا حدث الانفصال؟.. اعني لماذا حدث سهلا وانهزمت الجماهير امام قلة متآمرة؟..

باختصار، انتهت التساؤلات ومرحلة التعذيب الذاتي الى ان الخطا الاساسي هو : ان الجماهير الوحدوية مهما بلغ عددها، ولو بلغ الملايين، لا تستطيع ان تنتصر و لو ضد قلة منظمة ، الا اذا كانت هي- أي الجماهير- منظمة وان الانفصال قد تم سهلا، وانتصرت فيه القلة المتآمرة ، لان الجماهير الوحدوية لم تكن ملتحمة في تنظيم . كانت القاعدة الجماهيرية تضم الملايين . وكانت كلها تحت قيادة عبد الناصر بدون منازع او شريك . وحققت بتلك الصيغة الناقصة ، انتصاراتها، ولكنها في لحظة خاطفة لم تستطع ان تقاوم قلة منظمة، لان التنظيم ، تلك العلاقة التي تربط القائد بجنوده، وتحدد لكل فصيل ساحة، ولكل ساحة عملاً ، ولكل عمل وقتا، وتتابع النشاط في مواقعه، وتبقى على قنوات الاتصال بين القواعد والقيادة بحيث تستطيع القيادة ،

في اي يوم ، في اية ساعة ان تحدد بدء المعارك وقواها و مداها واهدافها في أي مكان .. ذلك التنظيم كان مفقودا.. فتحولت حركة مقاومة الانفصال في سورية الى ردود افعال جماهيرية عفوية غاضبة معزولة بعضها عن بعض .. فسحقت الى حين .

الجماهير المنظمة هو الحل؟..

سبحان الله العظيم . انها بدهية عرفتها الانسانية منذ ان كان الناس يخرجون للصيد جماعة فكيف غابت حتى ضاعت وحدة ١٩٥٨؟.. واحتوى الضياع نخبة من جيل كامل من المناضلين الثوريين فمنهم من انحرف ومنهم من ارتد ومنهم من اهترأ.. ولم يصمد الا القليل . وكعادته في تحمل المسؤوليات كان عبد الناصر هو من اعلن ان الخطأ الاساسي كان عدم تنظيم الجماهير . فلم تستطع الجماهير في اللحظة الحاسمة ان تدافع وتنتصر حفاظا على دولتها . ولكن المشكلة الملحة في ذلك الوقت كانت رد الثقة الى الجماهير القومية الوحدوية وشن هجوم مضاد ضد اعداء الامة العربية وهزيمتها. من هنا خاض الشعب العربي في مصر بقيادة جمال عبد

الناصر اكبر حروب التاريخ ثورية وتقدمية وشرفا : حرب اليمن . لم يهنأ اعداء الامة العربية طويلا بنصرهم الغادر في شوارع دمشق بل انطلق جنود القومية العربية يحاصرون الرجعية المتآمرة فوق قمم جبال اليمن ويشنون حرب تحرير منتصرة في جنوب الجزيرة العربية ويلجئون الرجعية العربية الى تأجير المرتزقة لتحمي مواقعها . وباسم القومية والوحدة يسقط حكم الانفصاليين في سورية. وباسم القومية والوحدة يصل البعثيون الى الحكم في العراق .. وتطرح قضية الوحدة الثلاثية (مصر – سورية- العراق)..

ويصر عبد الناصر على ان الاولوية في شان الوحدة ليست للوحدة الدستورية بل لوحدة القيادة السياسية . وان وحدة القيادة السياسية تعني وحدة الجماهير المنظمة، وان هذا بدوره يقتضي اولا الوحدة الفكرية.. وتشهد القاهرة خلال شهر ابريل ١٩٦٣ مؤتمرا فكريا حقا ، اسهمت فيه قيادات كل القوى المنتسبة في ذلك الوقت الى الخط القومي التقدمي . ولم تترك مقولة فكرية مما ينضوي تحت شعار الحرية والاشتراكية والوحدة الا ونوقشت ودار حولها حوار حار .. وانتهى الأمر - يا ايها الجيل الجديد من الشباب العربي- الى اتفاق الاطراف جميعا على (١) وثيقة فكرية (٢) نظام لوحدة القيادة السياسية (٣) دستور للوحدة الثلاثية.. ثم ، انفجر الموقف كله بين الفرقاء ولم تتم الوحدة.. وعاد اعداء الامة العربية وقوميتها ووحدتها يرددون ان الخطأ الاساسي هو الوحدة . الم نقل لكم لا تعودوا اليها ؟

وعاد السؤال الملح : لماذا فشلت الوحدة ؟.. اتفاق جماعي على مقولات فكرية، واتفاق جماعي على دستور واتفاق جماعي على قيادة موحدة .. فلماذا فشلت الوحدة ؟.. ولم يصمد الا القليل!! وكعادته ايضا كان جمال عبد الناصر اول من اعلن عن الخطأ . فأعلن أن الحركة الواحدة اصبحت ضرورة تاريخية، وانه لن ينشأها وان انشاءها مسئولية الثوريين العرب.. كيف كانت دعوة عبد الناصر الى الحركة العربية الواحدة متضمنة اعلانا عن الخطأ في تجربة الوحدة الفاشلة سنة ١٩٦٣؟.. لان صيغة التنظيم الجماهيري التي اتفق عليها في ربيع ١٩٦٣ كانت صيغة " الجبهة ، جبهة ثلاثية الاطراف . بعث العراق وبعث سورية وقيادة ثورة ٢٣ يوليو . والجبهة مرحلية ومؤقتة توحد القوى ولكن لا تلغي الصراع بين اطرافها .. وعندما قال عبد الناصر ان البعث بطرفيه العراقي والسوري يستهدفان وضع قيادة ثورة ٢٣ يوليو بين المطرقة والسندان لم يكن يتهمهما بل كان يعبر عن واحد من اعتى قوانين العمل الجبهوي ، حيث لا يكف أي طرف فيها ، ولا يمكن ان يكف ، عن تصفية الاطراف الاخرى من خلال الالتحام بهم في العمل الجبهوي المشترك . وبعد حين سيحضر الى القاهرة احد اقطاب الجبهة الفاشلة ويطلب من جمال عبد

الناصر ان يسمح له بان يسجل بصوته- للتاريخ كما قال- حقائق الصراع المدبر الذي كان يدور في ذات اللحظات توقيع اتفاقيات الوحدة الثلاثية.. وسجله في مقابل وعد بالا ينشر الا بعد مضي المدة اللازمة لنشر الوثائق التاريخية .

انحصر الحل الصحيح اذن في الحركة العربية الواحدة . اصبح مصير الحركة القومية التقدمية متوقفا على قيام الحركة العربية الواحدة . اصبحت المساهمة في قيام الحركة العربية الواحدة هي المحك الصحيح لموقف كل منتسب الى الحركة القومية التقدمية والدليل المقبول على صدق الولاء للامة العربية وجماهيرها.. وكان كل هذا خلاصة ركام من الانتصارات والهزائم من التجارب الصحيحة والتجارب الخاطئة.

فانبرت قلة من المثقفين العرب القوميين الوحدويين التقدميين، لارساء حجر الاساس الاول في بناء التنظيم الذي سيضم طلائع امتهم ويقود جماهيرها ولا يسمح مرة اخرى بأن تنهزم تلك الجماهير امام الاقليات الرجعية المتآمرة من اعداء الامة العربية ووحدتها . حجر الاساس في بناء أي تنظيم هو الوحدة الفكرية. وحدة النظرية التي تلتقي عليها الجماهير وتلتزم بها وتحتكم اليها ، فتضبط خطاها في مواقعها ولا تسمح للمعارك التكتيكية بأن تكون على حساب الهدف الاستراتيجي..

بكل المقدرة العلمية، وبكل الثقافة الواسعة، وبكل الصدق في الانتماء القومي، وبكل الجدية في الاخلاص لهدف الوحدة ، وبكل الحماس لقيام الحركة العربية الواحدة اسهم الدكتور نديم البيطار في الوفاء بمسئولية القوميين التقدميين عن تحقيق الوحدة الفكرية ، بكتابه الموسوعي " الايديولوجية الانقلابية " .. لان الدكتور نديم البيطار كان من تلك القلة التي لم تضع، ولم تنحرف ، ولم تيأس ، و لم تهترىء .. تحت وطأة هزيمة الانفصال سنة ١٩٦١ او فشل الوحدة سنة ١٩٦٣..

من اجل هذا الدور العظيم في ظروفه ، الذي وقفه الدكتور نديم البيطار من ازمة امته، فلم يبخل عليها بذرة من كنوزه الفكرية.. ولم يزل ، لا يستطيع اي قومي تقدمي خاصة اذا كان من امثال اباذر الذي عاش تلك الفترة ان يلتفت عن اعداء الفكر الوحدوي ليكشف الاخطاء التي وقع فيها واحد من اساتذة المفكرين الوحدويين ، ومن اجل هذا كان يتمنى ابوذر لو ان الدكتور نديم البيطار قد " اكتفى " بكل ما قاله من قبل ، ادانة للفكر الوحدوي ، وقال للجيل الجديد من الشباب العربي: كيف تتحقق الوحدة؟..

الموسوعة البيطارية؟

والان ، ايها الشباب، بعد ان عرفتم نبذة عن الدور النضالي للدكتور نديم البيطار، اليكم التعريف بكتابه " الايديولوجية الانقلابية " ..

صدر كتاب " الايديولوجية الانقلابية " عام ١٩٦٤. وقد صاحبه سوء الحظ منذ نشره . فلم يقرأ كما يجب ان يقرأ ولم يصل الى من هم في حاجة اليه واعني الشباب . حجبته عن الشباب عوامل لا تمس مضمونه الغني . اولها فيما اعتقد - واهونها- عنوانه . ان اسم " الايديولوجية الانقلابية " اسم مخيف لمن لم يعتد مواجهة تلك الكلمات الكبيرة المركبة و " الانقلابية " بالذات توحي باسلوب مرفوض ومدان لانها توحي باستيلاء جزء من السلطة على كل السلطة بدون تغيير اقتصادي او اجتماعي . وفي الادب السياسي ، الدارج، يوضع " الانقلاب " موضع المقابلة من " الثورة ". الثورة مقبولة والانقلاب مرفوض ولقد حرضت، بنفسي ، اكثر من واحد على قراءة كتاب "الايديولوجية الانقلابية " بعد ان تبينت انه قد رفض ان يقرأه للمعاني المرفوضة التي يوحي بها عنوانه. حرضت على قراءته ، وما زلت احرض ، لان مفهوم " الانقلابية " كما يطرحه الدكتور نديم البيطار ابعد ما يكون عما توحي به كلمة " الانقلاب ". انه يعني به شيئا اخر اكبر حتى من الثورة . اعني اعم من الثورة واشمل وابعد اثرا في تاريخ الشعوب .

لم يكن العنوان هو كل ما حجب الكتاب عن القراءة .

ما حجبه ايضا حجمه. انه يكاد يكون مكعبا. يتكون من ١٠٣٠ صفحة على ورق سميك . ان الشباب عادة لايقبلون على تلك الاحجام التي تحتاج الى مران طويل على الصبر في القراءة . شيء اخر. ثمنه . في عام ١٩٦٤ كان ثمنه ١٥ ليرة لبنانية. تساوي الان على قدر ما اعلم من خبرتي القليلة بالنقود واسعار صرفها عشرة اضعافها . فمن الذي يشتري اذا كان مستعدا للحمل . ومن الذي يحمل اذا كان مستعدا للصبرعلى قراءة ١٠٣٠ صفحة تحت عنوان " الايديولوجية الانقلابية"؟؟ المحترفون فقط من امثالي . مظلوم الكتاب اذن لانه لم يصل الى ايدي وعقول الشباب . ومظلوم الشباب ايضا لأنه لم يقرأ كتابا موسوعيا..

انه موسوعة بكل معنى الكلمة. ولقد اتمنى لكل شاب عربي ان يحصل عليه ويحتفظ به ويعود اليه من حين الى حين فسيجد فيه الوانا من المعرفة لا حصر لها لم تجتمع ابداً في كتاب واحد لمؤلف واحد على قدر ما يعرف ابو ذر من كتب ومؤلفين ..

ان الدكتور نديم البيطار ينتهج فيما يكتب المنهج التاريخي . فهو مقتنع اقتناعا تاما - كما قال في كتابه - بوجود سنن ايديولوجية انقلابية مشتركة ومتكررة في المراحل الانتقالية الثورية الكبرى. انها ذات الفكرة التي عبر عنها في مقالة عن " ازمة الفكر الوحدوي " عندما قال " عمليات الدمج والتوحيد السياسي عبر التاريخ تنطوي على تعدد لا يمكن حصره ، والمنهج التاريخي المقارن هو الاداة التي يمكن بها صياغة هذا التعدد في درجة عليا من الوضوح والجلاء . لأنه يوفر لنا القدرة على تعيين العام الذي يسودها " وفي كتابه – الموسوعة " الايديولوجية الانقلابية " ... " يكتفي " المؤلف بالدراسة المقارنة للايديولوجيات الغربية الانقلابية من المسيحية الى النازية، فقط !! ويعتذر فيقول : " ان المجال لا يتسع مع الاسف لجميع التجارب التاريخية الايديولوجية الانقلابية "... وللشباب ان يتصور كتابا صاحبه ذو معرفة خيالية يناقش كل الافكار والفلسفات والمبادىء والمذاهب والحركات السياسية والوقائع التاريخية على مدى تسعة عشر قرناً .. وهو لا يناقشها من حيث هي احداث فكرية او ممارسات بدون رجال . انه يناقش انبياءها ، وعلماءها ومفكريها، وادباءها ، وساستها، وفنانينها، وفى مرحلة وسطى من الكتاب يدخل الاسلام في المقارنة ايضا ، الى درجة ان اسماء الاعلام الذين نقل عنهم الدكتور نديم البيطار وناقشهم واستشهد بهم بلغ ٦٢٥ مفكرا وفيلسوفا وعالما واديبا وقائدا وسياسيا ونبيا ايضا.. وهو " يكتفي " بهذا القدر ويعتذر في نهاية الكتاب بقوله : " كان علينا ان نسهب بعض الشيء في قسم الحواشي والمراجع غير اننا قد رأينا ان الكتاب امسى من الضخامة بمكان كبير وان ما كنا وطدنا العزم على اضافته (خذوا بالكم) من الحواشي والمراجع!! يبلغ ما يزيد عن الثلاثمائة صفحة) اضطررنا الى الاستغناء عنه مكرهين، واكتفينا بنشر فهرس اسماء . " من فهرس الاسماء عرف ابو ذر عدد الذين حاورهم الدكتور نديم البيطار. وهل كنتم تنتظرون ان اعدها بنفسي .. ليس في العمر بقية كافية ..

المثير للاعجاب حقا، ان ليس في كل هذا ان يقال انه حشو لا لزوم له ، او كلام فارغ، او استعراض للمعلومات ابدا انه الموضوع الذي اختاره ، اراد ان يوفيه حقه من " البحث " او بعض حقه، فجاء الكتاب موسوعة معرفة حقاً . وعندما يتصور الانسان كم بذل الدكتور البيطار من الجهود وسهر الليالي لمجرد ان يسهم بفكره في تجاوز امته العربية مرحلة ازمتها (١٩٦١- ١٩٦٣)

بدون باعث الا رغبته في ان يضع بين ايدي شباب الامة العربية ما " قد " يحقق الوحدة الفكرية اللازمة لبناء الحركة العربية الواحدة .. لا يملك الا ان يدخر له تقديرا عظيما يستحقه وان يأسف لأن الشباب العربي قد حرم من موسوعته البيطارية...

ماذا قال في تلك الموسوعة؟ اعني ما الذى اراد ان يقوله؟.. انه بسيط وقليل . اما الجانب الموسوعي في الكتاب فلم يكن الا تدليلا تاريخيا على صحة هذا البسيط القليل . نعرض هنا ذلك البسيط القليل الذي اراد الدكتور البيطار ان يقوله في موسوعته :

اولا: ان دراسة التاريخ المقارن تكشف عن انه يتكون من مراحل انقلابية متتابعة وان لكل مرحلة ايديولوجية انقلابية خاصة بها ، وان الدراسة المقارنة لتلك الايديولوجيات الانقلابية تكشف عن توفر سنن مشتركة فيما بينها مترددة في كل منها ، نستطيع منها أن نعرف خصائص الايديولوجية الانقلابية (من صفحة ٣٣ حتى صفحة ٧٩) .

ثانيا: ان كل الايديولوجية الانقلابية لا تنشأ فجأة بل على أثر تطورات فكرية فلسفية عديدة تتقدمها وتمهد لها (من صفحة ٨١ حتى صفحة ١١٨)

ثالثاً : ان كل ايديولوجية انقلابية تؤكد تأكيدا اساسيا على دور الافكار في توجيه التاريخ سواء كان مضمونها مادياً او مثالياً ، وبناء عليه فإن كل ايديولوجية انقلابية هي بالضرورة مثالية لأنها تبشر بقيام مجتمع جديد على صعيد انساني عال كمفهوم في الحياة . في هذا الجزء يعرض الدكتور افكاراً رائعة للكشف عن مثالية الايديولوجيات المادية مثل الماركسية والنازية . (من ص ١٠٩ الى صفحة ١٥٨) .

رابعا: ان كل ايديولوجية انقلابية هي صيغة شاملة لمرحلتها التاريخية (من صفحة ١٦١ الى صفحة ١٨٧).

خامسا: ان كل ايديولوجية انقلابية " مطلق " اذ غايتها ان توحد بين الفرد والمجتمع يعني انها تعرض ذاتها وتمارس دورها باعتبارها الصواب المطلق الذي لا خطأ فيه . يقول : اما الحرية الفكرية او السياسية التي تزعمها بعض تلك الحركات الانقلابية فهي مغالطة كبرى ، فليس من حركة انقلابية تستطيع مهما صحت غائيتها في الحرية ان تسمح ، على الاقل في طور تبلورها او تحققها الاولى ، بتلك الحرية، لان هذا الطور ينشأ من ايديولوجية ، تفرض عليها

طبيعتها الانقلابية الامتداد الى المجتمع ككل " (من صفحة ١٨٩ الى صفحة ٢٠٦) واثبات هذه الفكرة (من صفحة ٢٠٧ الى صفحة ٢٢٨)

سادسا : " قاعدة الانطلاق في الايديولوجية الانقلابية هي الاعتقاد بان المجتمع قد وصل الى نقطة، في مجراه التاريخي الخاص، ضاقت عندها آفاقه، وانكمشت امكاناته، واصبح من المستحيل متابعته، وان حياته وفعاليته تفرضان تجاوزه وتجديده على صعيد تاريخي جديد.. " (الشرح والتدليل من صفحة ٢٢٩ الى صفحة ٢٥٨) وبه تم الجزء الاول من الكتاب وعنوانه " الايديولوجية الانقلابية في التعبير عن ابعادها السياسية " ليبدأ " الجزء الثاني من الكتاب وعنوانه " صورة الايديولوجية الانقلابية العامة ".. وفيه يقول :

سابعا : " ان كل ايديولوجية انقلابية ذات وجهين يسميهما " ثنائية التجاوز الانقلابي " يعني بهما مرحلة تاريخية قديمة سعيدة تستوحيها.. ومرحلة تاريخية مقبلة تدعو اليها اما ما بينهما فتلغيه. بتعبير آخر تقف كل ايديولوجية انقلابية من التاريخ ثلاثة مواقف : موقفا من التراث تستوحيه وموقفا من التاريخ القريب (الواقع) تلغيه وموقفا من المستقبل تبنيه(من صفحة ٢٦١ الى ص ٢٨١)

ثامنا : تشترك كل الايديولوجيات الانقلابية في رفضها (انقلابها على) صورة مجتمع، و " شوقها " الى مجتمع انقلابي جديد . ويقول : " لا تلتقي الايديولوجيات فقط في الشوق او الميل فقط ، بل ان المجتمع الانقلابي الذي تهفو اليه هو مجتمع متماثل متشابه بينها . فهي تحن، بالرغم من جميع الاختلافات والفروق ، الى صورة انقلابية واحدة خصائصها الاولى والرئيسية ، حنينها واحد ومجتمعها واحد ".. و " نحن نجد في كل ايديولوجية انقلابية دعوة الى دخول الفرد في وحدة مقدسة مع الاخرين . فقد تؤكد على فردية او طبقية تفصل بين فرد وآخر، بين جماعة واخرى ، ولكن غايتها الاولى هي انشاء تلك الوحدة " . (من صفحة ٢٨٣ الى صفحة ٣١٤) . هذه الفكرة جديرة بالتأمل خاصة عندما يطبقها المؤلف على كل من المسيحية والنازية .

تاسعا: تنشأ كل ايديولوجية انقلابية من واقع اجتماعي ترفضه وتنقضه بالتالي لا تستمد منه مبرراتها فتلجأ الى تبني فكرة القانون العام الذي يوحي بوجود نظام عام يسود حركة التاريخ بشكل مستقل عن ارادة الناس وانها- في مرحلتها- تمثله (من صفحة ٣١٥ الى صفحة ٣٤١)

عاشرا: لكل ايديولوجية رموزها وشعاراتها وطقوسها. اذ لما كانت الايديولوجية الانقلابية تعني "صورة انسانية جديدة تحاول ان تفرض ذاتها على الواقع، وعملا سياسيا ثوريا يحول الواقع تبعا لها، مما يؤدي الى جعل تركيبها الايديولوجي يخسر الكثير من العقلانية ، لانها تجد نفسها مضطرة الى اعتماد عناصر اسطورية وعاطفية تقدمها على الفكر والعقل وتحاول ان تخلق فيها الاوضاع التي تبررها، لهذا، تتحول الايديولوجية الى شعارات وطقوس تردد فرضياتها بشكل عاطفي وبصورة مطلقة ".. ذلك لان " قابلية الادراك في الجماهير محدودة جدا، والانفتاح الفكري فيها معدوم، وهي تتميز بميل الى النسيان شديد . وكلها صفات تفرض على كل ايديولوجية انقلابية ان تنظم ذاتها في كمية من النقاط الاساسية تحملها الى الجماهير بشكل شعارات مبسطة ".. ولهذا "تحتاج الايديولوجية الانقلابية دائما الى نخبة انقلابية تتمثل على الاخص في حزب انقلابي، تكون على بينة من التاريخ، من تجاربه الى سننه ".. و " ان علمية او لا علمية ، واقعية او اسطورية المذاهب والعقائد لا اهمية لها ابدا ".. " ان الايديولوجية الانقلابية التي تريد ان تنشىء العالم على صورتها تحتج الى الايمان الاعمى " الشرح والايضاح من صفحة ٣٤٣ الى صفحة ٣٨٥)

حادي عشر: ان الحرية في كل ايديولوجية انقلابية تعني التحرر من المجتمع القائم لحساب قانونها العام (من صفحة ٣٨٧ الى صفحة ٤٢٦) في هذا الجزء تطبيق ذكي لهذه المقولة على الماركسية خاصة ابتداء من صفحة ٣٩٤ وينتهي الجزء الثاني ليبدأ الجزء الثالث بعنوان " المضمون الميتافيزيقي في الايديولوجية الانقلابية " .

ثاني عشر : كل ايديولوجية انقلابية هي في الاصل ميتافيزيقية لانها تنطلق من حقيقة ثابتة ترجع اليها مظاهر الاجتماع والتاريخ والسلوك . هذه الحقيقة لا تجد ما يبررها في التحليل التجريبي (من صفحة ٤٢٩ الى صفحة ٤٥٠)

ثالث عشر: اروع واعمق افكار الكتاب : ان كل تمرد ضد الميتافيزيقا هو موقف ميتافيزيقي . هنا يصول و يجول المؤلف ويستعرض مقدرته الفلسفية " الجدلية "(من صفحة ٤٥١ الى صفحة ٥٠٦)

رابع عشر : تطبيق ما تقدم على الايديولوجيات الانقلابية : " تتحدى الايديولوجية ا لانقلابية في فرضياتها الاساسية كل تحليل وكل تفسير علمي ، وتبقى فرضيات بدهية قبلية طالما كان باستطاعة الايديولوجية ان تولد ذاتها في النفوس الحماسة والولاء الوجداني العميق ..

" التطبيق على الليبرالية بشكل خاص (صفحة ٥٠٧ الى ٥٤٦) وينتهي الجزء الثالث ليبدأ " الجزء الرابع بعنوان "المضمون

الكلي في الايديولوجية الانقلابية " فيقول :

خامس عشر: كل ايديولوجية انقلابية هي كلية المضمون تمتد الى كل مناحي الحياة (راجع من قبل تاسعا) والتطبيق موضوعي ومطول وخصيب على المسيحية خاصة بالاضافة الى المذاهب الاخرى (من صفحة ٥٤٩ الى صفحة ٦٧٦)

سادس عشر : يترتب على كون كل ايديولوجية انقلابية مطلقة وكلية ان تلجأ الى العنف في نقض المجتمع القديم وبناء مجتمعها . اذ " تنشأ كل ايديولوجية انقلابية باسم العدالة تنكر مظالم وعنف العهد التقليدي ولكنها لا تلبث ان تتعصب لذاتها، وعندئذ تشيد مقاصل وسجونا جديدة تحل محل تلك التي هدمتها وترغم الناس على تأدية العبادة المطلقة لها " و " لا تستطيع الحركة الانقلابية الحياة دون حقد تركزه على بعض الاعداء ، والحقد يولد الكراهية والعنف، يستحيل اذن ظهور حركة انقلابية بدون عنف " (من صفحة ٦٧٧ الى صفحة ٧٢٠) وينتهي بهذا الجزء الرابع ليبدأ الجزء الخامس بعنوان " المضمون الديني في الايديولوجية الانقلابية " . ويقول :

سابع عشر : " ان ما تطلبه الاديان من الفرد هو الاستسلام التام ، الطاعة والتكريس الذاتي لها . لكي لا يجد الفرد نفسه يجب أن يخسرها . أخذت الايديولوجيات الانقلابية الحديثة مكان الدين في هذه الفروض " . من هنا فان الأيديولوجيات الانقلابية ، حتى لو كانت ملحدة ، تلتقي مع الدين "في طبيعتها وفي المقاصد والاهداف التي تبغيها ، وفي التجربة السيكولوجية الاخلاقية التي تولدها، فالطبيعة واحدة والمقاصد متماثلة من حيث الشكل وان اختلفت من ناحية المضمون، والتجربة السيكولوجية واحدة وان اختلفت في المصدر ".. هذا تلخيص للصفحات من ٧٢٣ الى ٨٠٨ تلخيص ذري . نسبة الى الذرة وليس نسبة الى ابي ذر . والذرة بالرغم من ضآلتها تحمل سر الوجود كله .

ثامن عشر: كل ايديولوجيا انقلابية هي ضابط اخلاق مرحلتها . اذ " تعني الايديولوجيا احكاماً وقوانين تنبع من نظام ايديولوجي يكشف عن نظام طبيعي ، يقبله المؤمنون ويريدونه . فهو يمثل النظام الاخلاقي ذاته فيتحقق الفرد اخلاقياً بالسلوك تبعاً لهذا القانون وبموجبه (من

صفحة ٨٠٩ الى صفحة ٨٢٧) ويبدأ الجزء السادس من الكتاب بعنوان " المضمون الثوري في الايديولوجيا الانقلابية " فيقول :

تاسع عشر : بعد مقارنة طويلة وطريفة ، بين خصائص الانسان وخصائص الحيوان تكون "الانقلابية" اي المقدرة على تجاوز الواقع هي المميز للانسان . ويمثل " الدور الاقتصادي المادي الحديث جميع ما هناك من شر يصيب انسانية الانسان ، فكان على سيادته ان تنتهي ان كنا نبغي الحياة والاستمرار والنمو لتلك الانسانية " .. فالانسان الان في طور انقلابي جديد يتجاوز به الانقلاب البورجوازي الذي حول الانسان الى كائن اقتصادي (من صفحة ٨٣١ حتى صفحة ٨٩٦) .. المادة فيما بعد هذا تضعف وتتكرر الى ان نصل الى صفحة ٩٨٥ حيث العنوان هو: " خاتمة حدود الانقلاب العربي " . فيقول :

عشرون : ان الحركة العربية القومية الثورية لم توفق بعد الى ايديولوجية انقلابية، ولم تدخل الطور الايديولوجي الانقلابي المتكامل الصحيح " .. فهي تحتاج الى ايديولوجية انقلابيه تدعمها فلسفة اجتماعية كي تجد شخصيتها، ويكتفي ... الدكتور البيطار بهذا..

وبعد ؟.. ما العمل؟.. لايجيب. ولكن يترك لنا كتابا موسوعيا يصلح مرجعاً لكل الشباب من الجيل الجديد . انه الاسلوب ذاته الذي كتب به مقاله عن " أزمة الفكر الوحدوي " .

على اي حال فقد كانت فرصة طيبة ليعرف الجيل الجديد من الشباب العربي شيئا عن الكتاب الموسوعة " الايديولوجية الانقلابية " .. نقلها ابو ذر عن ملخصاته للكتاب حين ظهوره .. وهل استطيع ان اقرأه مرة ثالثة ؟. ثم لماذا؟.. اني ابحث عن اجابة على الاسئلة لا تأكيد موسوعي على انني في حاجة الى جواب..

الجواب من عند الشباب..

انظروا ماذا قالوا في العدد الثاني (السنة الثانية) من الشورى..

حوار الافكار الشابة:

ان محمد عبد الحكم يضع مشكلة المستقبل العربي كله في صيغة محكمة فى مقاله الجيد "الناصرية بين النظرية والتطبيق " يقول قبل ان يلخص تلخيصاً وافيا تطور الفكر الناصري .

" ان المعضلة الكبرى امام اي ناصري- الان- هي عدم قيام الحركة العربية الواحدة، واستمرار التعدد في التنظيمات والجماعات الناصرية . وان كان لهذا ما يبرره في ظل قيادة عبد الناصر لحركة الثورة العربية فان ذلك يعتبر الآن قيدا على الحركة وعبئا على النضال الذي هو في أمس الحاجة الى التوحيد من اجل القضية العربية المشتركة. ومن اجل الصمود فيتحقق اهداف النضال العربي في الحرية والاشتراكية والوحدة " .

وبعد ان يلخص تطور الفكر الناصري تلخيصا وافيا يختتم مقاله بقول حاسم حازم حتى لا يميع احد الموقف عن طريق مناقشة تلخيصه فيقول : " وفي مواجهة المستقبل سنجد ان الناصريين امام موقف دقيق لن يخرجهم من هذا الموقف غير ايجاد الوعاء الثوري الذي يحتوي حركتهم ويزيد من فعاليتهم .. هذا الوعاء يوحد الارادة ويخلق الاطار و يبلور المنهج ، ويثريه وهو ما يخلق الحركة العربية الواحدة كتنظيم قومي يتجاوز الحدود المصطنعة ويحشد الطاقة العربية من اجل المستقبل ومشاكله ".

ان محمد عبد الحكم يرد هنا على ما كتبه الدكتور البيطار من اول الموسوعة الى اخر المقال ، بقول واحد: اذا كان في الفكر الوحدوي فقر فتعالوا الى الصيغة الوحيدة لاثرائه . الحوار المنظم داخل التنظيم الواحد...

ومن اقصى صفحات "الشورى " يقدم الدكتور طيب تيزيني خطة الاثراء في بحث من اجود ما قرأت هذا العام .

عنوان مقاله هو "البحث العلمي واهميته المبدئية في تطور التنظيم السياسي " .

يرسى في اوله قاعدته حتى لا يخلط احد بين البحث العلمي والمنهج فيقول : "الجدير بالذكر ان البحث العلمي لا يمكن ان تقوم له قائمة بمعزل عن الاخذ بمنهج او طريقة علمية دقيقة ". ثم يدين العزلة بين الفكر والممارسة. فيقول عن الفكر بدون ممارسة : " ان التأملية تؤطر المناضل في اطر فكرية موجودة مسبقا فتحيله الى انسان فاقد الشخصية يتحرك على واقعه ورغما

عنه بتلك الاطر دون ان يتطرق الى ذهنه اي شك منهجي خلاق . انها ترفض في آخر تحليل الواقع العملي ، معتقدة بانه مرغم على التأقلم معها وان ادى ذلك الى اجهاض وتذويب معالمه الحية، كما تعتقد (التأملية) بان تلك الاطر الفكرية تصلح لكل زمان ومكان ".

ثم يقول عن الممارسة بدون ضابط فكري :

" ان اصحاب التجريبية يؤكدون بان ممارسة اسلوب الخطأ والصواب بعيدا عن اي تصور فكري يقود الى الحقيقة الخالصة فلنجرب ونخطىء ولنجرب ونخطىء.. هكذا حتى نتشارف على الحقيقة ونقبض على ناصيتها . ان التجريبية تقع في خطأ اساسي هو انها تنكر وحدة التاريخ الفكري والانساني العام . ذلك لان الباحث والانسان عموما لا يبدأ من الصفر وان حاول تجاهل المنجزات الفكرية قبل ان يبدأ هو البحث... ".

هذان موقفان نقيضان . قدم الدكتور طيب تيزيني حلهما الجدلي الصحيح الذي يوحد بين الفكر والممارسة في ست نقاط (١) الملاحظة (٢) الاستقراء (٣) التركيب (٤) الفرضية (٥) التحقق (٦) اقتراح حلول . ومنها نرى كيف يتفاعل الفكر والممارسة في حركتهما الجدلية.

فالملاحظة هي ملاحظة واقع وحصيلة الممارسة التي تمت . ملاحظة جزئياته وانواعه وكلياته. ملاحظة حركتها وتحولها وتطورها . الممارسة اذن او حصيلتها الواقعية هي البداية ، ولكن لا من حيث هي بداية تجربة ولكن من حيث هي بداية بحث علمي يكون الواقع موضوع ملاحظته . هذه الملاحظة ليست لمجرد اشباع الفضول ، وهي تتم على اساس استبعاد الصدفة اي بتسليم اولي بمبدأ الخضوع لقانون . هذا التسليم المنهجي هو الذي ينقلنا من الملاحظة الى الاستقراء . الحقيقة ان المرحلة الثانية من البحث العلمي التي هي الاستقراء مرتبطة اشد الارتباط بالمرحلة الاولى أي الملاحظة . هذا الامر يبرز بوضوح من خلال الوظيفة التي ينجزها كل من الاستقراء والملاحظة فكلاهما يبدأ بالعناصر الجزئية من موضوع البحث اما الفروق بينهما فيقوم على ان الملاحظة تبقى فى اطار هذه العناصر غير قادرة على ان تتجاوزها . اما الاستقراء فيتحدد بالانتقال من العناصر الجزئية الى نتائج كلية .. ثم تأتي مرحلة التركيب. انها مكملة لعملية الاستقراء . فالنتائج الكلية التي كانت حصيلة ملاحظة لاجزاء الواقع تكون محدودة بتلك الاجزاء التي كانت موضوع الملاحظة. ومهما كانت النتائج كلية فانها تبقى جزئية اذا ما ظلت واقفة عند حدود ملاحظتها الاولى . لا بد ان من الدفع بالبحث العلمي خطوة اخرى لتكون النتائج الكلية شاملة ما تمت ملاحظته فعلا وما لم تتم ملاحظته. اي اعادة النظر

الى الواقع وتركيبه (فهم تركيبه) على ضوء النتائج الكلية. عندئد تكون لدينا " فرضية " وهي مقولة مرشحة لتكون قانوناً اكتشفناه بدءاً من الملاحظة حتى التركيب . لماذا " فرضية " ؟ لأنه وإن كانت الممارسة قد قدمت لنا الواقع الذي نلاحظه ، فإن الاستقراء والتركيب هما مساهمة الفكر في عملية البحث العلمي . ولو اكتفينا بما ينتهي اليه الفكر ولو عن طريق الملاحظة والاستقراء والتركيب – لعدنا الى " التأملية ". فالتأملية ذاتها ليست تأمل الفراغ ولكن تأمل الواقع . وانما نأخذ الحصيلة الفكرية من الاستقراء والتركيب على انها " فرضية " .. لا بد من ان تصدق . محك صدقها العودة الى الممارسة . أي " التحقق " . ان التعليل المقدم من قبل الفرضية يظل تعليلا محتملا حتى يتحول الى حقيقة صادقة بعد اجراء عملية التحقيق . ومن الضروري فى هذه النقطة التأكيد على ان تحول الفرضية التخمينية الى نظرية عملية تعيينية صادقة يرتبط اولا واخيرا بالممارسة العملية والعلمية النشيطة " .

يقول الدكتور طيب تيزيني : "هذه الخطوة هي الاخيرة في عملية البحث العلمي ".. ونقول لأن حصيلتها نظرية علمية. بدأت بملاحظه الممارسة، ثم صاغها الفكر، وصدقت صحتها في اختبار الممارسة. من الواقع الى الفكر الى الواقع تلك هي الحركة الجدلية .

ولكن دكتور طيب تيزيني يضيف عنصرا اخر : اقتراح الحلول . لقد اعطى لهذا العنصر فقرتين قصيرتين في اخر مقاله الممتاز . كنت اتمنى لو اطال فافصح اكبر مما فعل . لانه يقول " ان اقتراح الحلول هو نفسه يكون فرضية علمية وهذه الفرضية تتحول بدورها الى نظرية علمية صادقة حيث تتواجد كل معطيات التحقق منها على النحو الذي اشرنا اليه ان هذه الصيغة قد توحي باهدار النظرية والبدأ من جديد بالملاحظة ثم الاستقراء .. الى آخره في النسق ذاته . في الموضوع ذاته. وهذا يعني العودة الى التجريبية. وما فهمه ابو ذر هو انه بالانتهاء الى "نظرية" اي فرضية صدقت في اختبار الممارسة يتعين علينا ان نلتزمها في نسقها أو موضوعها.. ولكن ، وهذا ما اعتقد ان الدكتور طيب يعنيه ، ان البحث العلمي لاينقطع في ظل النظرية للبحث عن حلول لمشكلات النمو الاقتصادي والاجتماعي والتكنولوجي والعلمي والقومي والسياسي ، للواقع العربي...

على اي حال ان كل هذا الايضاح من عند ابي ذر لأنه يتمنى لو ان كل شاب عربي من الجيل الجديد قد احتفظ بمقال الدكتور طيب وقرأه واعاد قراءته واتخذه دليلا في كل موقف

تطرح فيه تلك القضايا الشائكة. علاقة البحث العلمي بالمنهج العلمي . وعلاقة الممارسة بالنظرية . علاقة العلم بالسياسة علاقة الجزء بالكل .. الى آخره .

اهم من هذا كله، في خصوصية نقد العدد الثاني (السنة الثانية) من "الشورى "، ان مقال الدكتور طيب تكملة لمقال محمد عبد الحكم في الرد على مقال الدكتور البيطار . محمد عبد الحكم اكد ان المعضلة الاساسية هي انشاء التنظيم القومي حيث " يبلور المنهج ويثريه " . ومقال الدكتور طيب بيان لكيفية بلورة المنهج واثرائه داخل التنظيم .

نعم، فان مقال الدكتور طيب من اوله الى آخره تأكيد على ان اسلوب البحث العلمي يتم داخل التنظيم وليس تأملاً فرديا من خارجه . يبدأ " بنقد مبدئي وحازم لوجهة النظر التي ترى أن المهمات السياسية والقومية والاجتماعية الكبيرة المطروحة أمام التنظيم السياسي .. الخ " و " .. ان الاهتمام العميق والمبدئي بالمسائل الثقافية والعلمية والعقائدية .. يجد مصادره العميقة في ضرورة اخضاع القضايا الثقافية والعلمية والايديولوجية لمقتضيات الاستراتيجية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقومية للتنظيم السياسي أولاً .. الخ " و " ... لا يمكن للتنظيم السياسي الا ان يرفض بنفس الحزم الذي يرفض فيه ظاهرة الثقافة للثقافة الاتجاه العفوي الذي يرى في التثقيف على مشارف الحقيقة التالية وهي ان من الامور الاكثر جوهرية في النشاط الجماهيري الثوري ان تنصهر شخصية العلم بشخصية المناضل الجماهيري لتنتج شخصية المناضل الثوري . ذلك لان موقفا ثوريا غير منضبط بضوابط نظرية علمية، وقومية، يقود الى مزالق الفوضى والعفوية والارتجال، كما ان موقفا علميا نظريا ذا بعد قومي بعيدا عن النشاط الثوري العلمي يودي الى الانعزال عن الجماهير والى خلق قطيعة من الواقع وبالتالي تقوقع التنظيم على ذاته..."

ان ابا ذر لا يكاد يستطيع كف قلمه عن اعادة كل فقرات هذا المقال الممتاز . الاكثر من ممتاز. ولا يكاد يستطيع ان يخفي فرحته بحوار الافكار الشابة...

ويا زميلي في الشيخوخة وجيل المعاناة، يا دكتور نديم هذا هو الفكر الوحدوي حقا، لانه يطرح مشكلة الوحدة على حقيقتها ، ويحاول حلها الحل الصحيح .

الوصايا:

في " التوراة " المتداولة وردت وصايا عشر وصى بها الله بني اسرائيل . تبدأ " اني انا الباقي الهكم الذي اخرجكم من مصر منزل عبوديتكم فلا تتخذوا آلهة غيري " ثم تأتي الوصايا المعروفة "اكرم والديك . لا تقتل . لا تسرق . لا تزن " مطلقة بدون تحديد . اما الوصايا الباقية مثل الشهادة الزور مثلا فتأتي مشروطة بالقرابة. لست اشك في ان اضافة القرابة هنا الى باقي الوصايا تستحق دراسة في اصل النص ... اذ ان مفهوم المخالفة ، وهو احد طرق التفسير، قد يؤدي الى اباحتها اذا كان ضحيتها غير قريب...

جاءت الوصايا العشر في القرآن مطلقة من حدود القرابة اي على مستواها الانساني الشامل حيث هي خطاب للكافة . قال تعالى في سورة "الانعام " :

" قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم (١) الا تشركوا به شيئاً (٢) وبالوالدين احسانا (٣) ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم (٤) ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن (٥) ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون (٦) ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده (٧) واوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها (٨) واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى (٩) وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون (١٠) وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون".

ويبين احكامها وبواعثها المرحوم الامام محمود شلتوت في كتابه " تفسير القرآن الكريم " فلعل الشباب ان يقرأوه .

اقول قولي هذا لأنه قد خطر لي ان اوصي محمد عبد الحكم او اي " محمد عبد الحكم " والدكتور طيب تيزيني او اي " طيب تيزيني "... في الوطن العربي وصية اخشى ان تنقطع صلتي بالشورى، لاي سبب، قبل ان اوصي بها. والخواطر تتداعى كما تعلمون .

اقول:

لا تلتفتوا الى الوراء لتروا جيلنا . لقد ضيعنا ثمن قرن نتحدث عن ضرورة التنظيم القومي ولم نتقدم خطوة. وانتم اقرب اليه منا. انظروا امامكم وحققوا امل امتكم واداة ثورتها. احصروا انتباهكم في سؤال واحد. واقصروا جهودكم على الاجابة عليه. ما هي الخطوات العملية

التي يجب انجازها لانشاء التنظيم القومي؟.. بدون ان يكون جبهة. بدون ان تنتقل اليه رواسب الشللية. بدون ان يحدث فراغ بين ما هو كائن وما يجب ان يكون . بدون ان يكون تنظيم اي احد بعينه، او اية مجموعة بعينها، او اية دولة .. ليكون تنظيم الامة العربية.

اوصي بهذا لانني اتمنى ان ارى البداية، مجرد البداية قبل ان اموت .. ولم تعد في العمر بقية تكفي لحسم معارك الفلسفات الكلامية.. بينما الانحسار الذي بدأ في ١٩٦١ كاد يصل الى قاع الهاوية . فلينقذ الجيل الجديد امته .. بان ينشىء اداة انقاذها.

ليوفقكم الله.. ولتكونوا اسعد منا حظا..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

القاهرة في ٥ يونيو ١٩٧٥

١٤

بيان الى القراء :

في العدد الرابع الذي نعلق عليه الآن وننقده ، تعليق او نقد للعدد الثاني .

في بداية ذاك التعليق او النقد قلت :

" لا يستطيع ابو ذر ان يضع كل من يستحق على السفود، والا لاحتاج الى مصنع خاص لانتاج القضبان الحديدية والى مثل نار جهنم لا تحتاج الى وقود من خارجها . ثم هب ان ابا ذر قد اخذته العزة بالحق فحمل رئيس التحرير على سفوده وشواه ، فاصدر الشواء قرارا بالاستغناء عن الشاوي فماذا تكون النتيجة؟.. يختفي ابو ذر ويعود الى عزلته . الحق ان ابا ذر لم يعد يستطيع الا مكرها- وعسى الا تكرهوه- ان يختفي من صفحات "الشورى" ويعود الى عزلته . الم يقل ان نقد "الشورى" قد اصبح مصدرا عظيما لتنمية ثقافته . ثم ما بالكم بمعتزل عرف متعة المناكفة والمداعبة والمشاغبة مع اصدقاء لا يعاديهم ولا يتمنى ان يعادوه . اعني كتاب الشورى ..."

وفي ختام ذاك التعليق او النقد قلت :

" اقول قولي هذا لانه قد خطر لي ان اوصي.. وصية اخشى أن تنقطع صلتي " بالشورى " لأي سبب قبل ان اوصي بها ..."

" وقد استشعر بعض قراء الشورى مما قلت ان ابا ذر يكاد يودعهم فجاءوا الي يسألونني هل فهمت مما قال ابوذر ما فهموا. وهم لا يدركون انهم يطرحون السؤال على موضعه . قلت لهم : لقد يكون قريبا مما فهمت ان ابا ذر قد طرح مشكلة ذات وجهين . اولهما : رغبته في ان يستمر في الكتابة. ثانيهما : امور لم يفصح عنها قد تكرهه على وداع " الشورى " كتابا وقراء .

والحق ان اسباب القطيعة بين " الشورى" وابي ذر تتراكم منذ وقت وتكاد ان تثقل على الصلة القائمة بينهما مما قد يؤدي الى قطعها . وهي أسباب ذات شعب منها ما يتصل بالشورى ومنها ما يتصل بغير " الشورى " اما ما يتصل منها بأبي ذر فهو أخذه الأمور مأخذاً " مفرط " الجدية . وضيقه " المفرط " برخاوة تناول الأمور . ولقد ضاق ابو ذر ضيقاً شديدا حين لم يتلق العدد الثالث قبل ان يصدر العدد الرابع فلم يستطع ان يكتب عنه تعليقا ونقدا في حين انه كان قد الزم نفسه ان يتفرغ اسبوعا لنقده والتعليق عليه كما يفعل مع كل عدد من " الشورى " فقضى اسبوعا فارغا لم يصدر خلالها من ادارة "الشورى" ما ينبىء بانها فطنة الى ان ابا ذر ينتظر . ومر بعضهم قريبا من ابي ذر وتحدث اليه فيما تحدث الا في "الشورى" والعدد المنتظر... واشياء اخر

وهذا بيان للقراء بان ليس للشورى الا ان تقر وتعتذر ثم ترعى علاقتها مع ابي ذر بمثل الجدية التي يرعاها بها . فان لم تفعل فوداعا " للشورى" وكتابها وقرائها وسلاما على من اتبع الهدى .

السؤال المطروح :

منذ حين يحاول كثيرون باساليب شتى الاجابة على سؤال مطروح عن علاقة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بما سبقها من تاريخ ، وعلاقة منظمة "الضباط الاحرار" بالمذاهب والقوى السياسية التي كانت سائدة قبل الثورة . في سبيل الاجابة على هذا السؤال اجتهد كثيرون وقدموا اجتهاداتهم الى الجماهير العربية في خطب مسموعة او كتب مطبوعة او منشورة . وقد اعتمد اغلب الذين قالوا او كتبوا في اجاباتهم على بيان موقع موقف كل واحد من اعضاء مجلس قيادة الثورة من الاحداث والقوى قبل قيام الثورة . فلما ان تبينوا ان قد كان لكل واحد من مجلس قيادة

الثورة اتجاهات فكرية وانتماءات سياسية مختلفة عن الاخرين ، وان اتجاهاته تلك قد اختلفت بين حين وحين، قالوا كما قال الدكتور عبد الكريم احمد في ختام مقاله " الثورة الناصرية واثرها في الفكر السياسي المصري" المنشور في العدد الرابع (السنة الثانية) :

" لقد كانت الثورة الناصرية هي النتيجة الطبيعية، ان لم تكن الحتمية، للتطورات السياسية والاجتماعية السابقة عليها. ومما يؤكد ذلك انها كانت تضم منذ بدايتها عناصر في قيادتها ممن يحملون بذور التيار الليبرالي بشقيه الراديكالي والمحافظ ، ومن يحملون بذور التيار الديني ، ومن يحملون بذور التيار الاشتراكي بمختلف اتجاهاته بما فيها التدريجي وا لماركسي ".

وانفرد الدكتور عبد الكريم احمد، من بين كل الذين حاولوا الاجابة على السؤال المطروح ، باجتهاد يستحق التأمل والانتباه . ويقول هذا الاجتهاد بان المبادىء الستة التي التقى عليها الضباط الاحرار وقامت من اجل تحقيقها الثورة، هي جماع المبادىء التي كانت متفرقة بين القوى السياسية السابقة على الثورة.

يقول :

" ومما يجعل الحكم على اتجاهات الثورة في بدايتها عسيرا اننا عندما نعمد الى تحليل المبادىء الستة التي اعلنتها الثورة غداة نجاحها نجد انها كانت في الواقع صدى لهذا التكوين المختلط لقيادتها.

" فالمبدأ الاول، وهو القضاء على الاستعمار كان شعاراً ترفعه كل التيارات السابقة بلا استثناء . بل وجميع من عملوا في ساحة الحياة العامة المصرية منذ مطلع القرن وقبل ذلك .

"وكذلك يرتبط المبدأ الخامس : اقامة جيش وطني قوي بالمبدأ الاول وينطبق عليه نفس الشيء فيما يتصل بموقف هذه التيارات وان كان بدرجة اقل .

" اما المبدأ الثاني والثالث، وهما القضاء على الاقطاع والقضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم وكذلك المبدأ الاخير وهو اقامة حياة ديموقراطية سليمة، فكلها شعارات يمكن ان يرفعها ممثلو التيار الليبرالي والتيار الاشتراكي بل وكذلك التيار الديني على ان يفسرها كل منهم بطريقته الخاصة.

(ويبقى بعد ذلك المبدأ الرابع الذي يتحدث عن العدالة الاجتماعية، ولاشك في ان هذا المصطلح اكثر ارتباطا باهداف التيار الاشتراكي (الديموقراطي الاجتماعي) منه بالتيارين الآخرين ، الا ان بعض ممثلي التيار الليبرالي وبخاصة الراديكالي ، والتيار الديني، وبخاصة المجددين منهم، استطاعوا تطويع مفهوم العدالة الاجتماعية لاتجاهاتهم ولم يلبسوا ان رفعوه هم ايضا كشعار من شعاراتهم...".

اما القوى السياسية التي تمثل التيارات الفكرية قبل ثورة ١٩٥٢ فقد حددها الدكتور عبد الكريم احمد بانها :

اولا : " تيار يعبر عن مصالح طبقة كبار الملاكين والاقطاعيين من ابناء الاسر الكبيرة في الريف ويمثله حزبا الاحرار الدستوريين والاتحاد ".

ثانيا : " التيار الليبرالي الذي يمثله حزب الوفد الضخم الذي حظي بتأييد اغلبية كبيرة" .

ثالثا : " التيار الديني الذي ينادي بتطبيق الشريعة الاسلامية بدلا من القوانين الحديثة " . واهم من يمثله كان جماعة الاخوان المسلمين .

رابعا : " التيار الذي يمكن ان نطلق عليه في مجموعه الاتجاه نحو الديموقراطية الاجتماعية او "الاشتراكية " وقد كان من الطبيعي (هكذا يقول الدكتور عبد الكريم احمد) ان يكون الطابع الغالب على هذا التيار هو التيار الماركسي ".

ولقد استثنى الدكتور عبد الكريم احمد التيار الاول ثم اجتهد في بيان العلاقة بين ثورة ٢٣ يوليو والتيارات الثلاثة الاخرى فتحولت ثورة ٢٣ يوليو الى امتداد، على المستوى الفكري في المبادىء الستة وعلى المستوى الذاتي في اشخاص قيادتها ، للوفد والاخوان المسلمين والاشتراكيين الذين يغلب عليهم الطابع الماركسي .

والحق ان هذا لظلم بيّن لثورة ٢٣ يوليو في مستواها الفكري ومستواها الذاتي . والظلم لا يستغرب اذا جاء ممن لا يظاهرون الثورة فكرا او ينتمون اليها حركة. ولا يستغرب اذا جاء من الذين يتوهمون ان ثورة ٢٣ يوليو قد انتهت واصبحت تاريخا قديما فاباحوا لانفسهم الحديث عنها منصفين انفسهم ظالمين اياها حتى لو كانوا يوما من قادتها أو من قواها . ظلم ثورة ٢٣ يوليو لا يستغرب من احمد حمروش عندما يكتب مجلدين عن قصة الثورة يحاول فيهما ان يصورها كما

لو كانت من صنع المنظمة الماركسية "حدوتو" لأنه وخالد محي الدين ويوسف صديق كانوا اعضاء في منظمة حدتو . فهؤلاء نفر كانوا يستهدفون ما لم تكن الثورة تستهدفه عام ١٩٥٢ فالتحقوا بها لاحتوائها ثورة فلما اخرجتهم قيادتها من صفوفها بعد اقل من ستة اشهر على قيام الثورة جاءوا يريدون اليوم احتواءها تاريخيا . فظلموها لينصفوا انفسهم . وظلم ثورة ٢٣ يوليو لا يستغرب من عبد اللطيف البغدادي وكمال الدين حسين حين جاءا يعلنان انهما قد استقالا من مراكز قيادتها يوم ان انحرفت عما يدينان به من فكر فاصبحت اشتراكية. انهما يظلمان الثورة بالنوايا ولا يفطنان الى انهما لم يظلما الا نفسيهما يوم ان كشفا عن مواقفهما الرجعية .

كل هذا لا يستغرب..

اما ان يأتي الظلم من الدكتور عبد الكريم احمد فهو غريب ..

اولا لأن الدكتور عبد الكريم احمد ينتمي الى ذلك الجيل من المخضرمين امثالنا الذين لم يعاصروا ما قبل الثورة ، واعين فحسب، بل انهم لم يكونوا في ذلك الوقت راكدين ، كان وعيهم واعمارهم تسمح لهم بان يخوضوا احداث ما قبل الثورة ويعرفوا من امرها ما يعرفه الخبير.

ثانيا لان الدكتور عبد الكريم احمد استاذ كبير، خبير بالعلوم السياسية، وعلى يديه يتلقى الشباب من الجل الجديد دروسا في الفكر السياسي وتاريخه فتوافرت له امكانيات الحكم الصحيح والتأثير الفعال. وهما مناطا المسئوليات الجسيمة فيما يكتب ويقال .

ثالثا، وهذا هو المصدر الاساسي للاستغراب، ان الدكتور عبد الكريم احمد ينتمي فكرا وموقفا، عقلا وعاطفة ، الى ثورة ٢٣ يوليو ولم يزل . اعني بهذه الكلمة الاخيرة انه لم يغير مواقفه ولم يخرج على الثورة لا عقلا ولا عاطفة كما فعل الاخرون وما يزال يعتز علانية بالانتماء اليها ويدافع علانية عنها... فلماذا يظلمها. .

خطأ المنهج :

احسب ان الدكتور عبد الكريم احمد لم يقصد ظلم ثورة ٢٣ يوليو حين ظلمها ، انما اراد ان ينصفها فانتهج في بيانه خطأ منهجيا ذهب بما قاله دفاعا عنها الى حافة الظلم لها . وهو لم

يفعل هذا غيرما يفعل غيره من الذين لا يهتمون كثيرا بمناهج البحث العلمي فتفوتهم العناصر اللازمة لتفسير الاحداث التاريخية تفسيرا صحيحا .

فمثلا :

١- لما ان عرف من معاصرته لتاريخ ما قبل ثورة ١٩٥٢ ان تيارات سياسية عددها كانت ترفع كل منها- منفردة - شعارا او اكثر من المبادىء الستة التي قامت عليها الثورة ، تصور ان تلك المبادىء وقد اجتمعت في الثورة بقيت كما هي فاعتبر مبادىء الثورة امتدادا لمبادىء الاحزاب قبلها. وفاته ان المبادىء المتفرقة بين قوى متعددة تحمل كل قوة منها ما تشاء منها ، اذا اجتمعت لقوة واحدة فقد تغيرت . تغيرت نوعيا وفي مضامينها ولم تعد هي هي : لسبب بسيط وهي عندما تجتمع تتكامل . يؤثر كل منها في الاخر فيغير مضمونه ، ويصبح كل منها حدا للآخر فتصبح اجزاء لا تفهم الا منسوبة الى الكل الذي يجمعها . وتطبيقا لهذا نستطيع ان نقول ان مضمون كل مبدأ من المبادىء الستة التي حملتها ثورة ٢٣ يوليو ليس امتدادا او استمرارا على اي وجه لذات مضمونه يوم ان كان يحمله- منفردا- اي من التيارات السابقة على ثورة ٢٣ يوليو.

٢- لما ان عرف من معاصرته لتاريخ ما قبل ثورة ١٩٥٢ ان كل واحد من اعضاء مجلس قيادة الثورة كانت له انتماءات فكرية او تنظيمية ، ثابتة او متغيرة، بواحد أو اكثر من الاحزاب والقوى السياسية السابقة ، تصور انهم عندما اجتمعوا معا في مجلس قيادة واحد لتنظيم ثوري واحد كان كل واحد منهم ما يزال محتفظا بانتمائه السابق . فكما جمع المبادىء الستة ميكانيكيا، جمع مجلس القيادة ميكانيكيا فاصبح هو فلان وفلان وفلان . وفاته ان مجلس قيادة الثورة " شخص " آخرغير الاشخاص الذي يتكون منهم . لهذا الشخص فكر اخر غير افكار كل منهم وله ارادة غير ارادة كل منهم، وله اهداف غير اهداف كل منهم لان افكاره وارادته واهدافه هي الحصيلة الجدلية لالتقائهم على افكار وارادات واهداف اكثر منها نضجا و تقدما لانها ثمرة الحوار والصراع الجدلي بين الافكار والارادات والاهداف فيما بينهم . ولا يمكن ان تنسب الى الثورة افكار او ارادة او اهداف الا ما ينسب لهذا الشخص الاخر الذي هو مجلس القيادة كما يعبر عنه صاحب الحق تنظيميا في التعبير عنه وهو قائده . وبالتالي فان كل الافكار والارادات والاهداف وحتى الانتماءات الخاصة بأي عضو في مجلس قيادة الثورة كانت وما تزال من شئونه الخاصة التي لا تنسب الا اليه بعيدا عن نسبتها الى الثورة .

ولا يمكن ان ينسب الى ثورة ٢٣ يوليو من الافكار والارادات والاهداف الا ما عبر عنه قائد مجلس قيادة الثورة ، وبصفته هذه ، وكلنا نعرف من هو.

ان ما قاله وما اراده وما استهدفه جمال عبد الناصر، وهو يمارس دور القيادة ، هو وحده الذي يستحق ان ينسب الى الثورة . ولا يجدي اي واحد من اعضاء مجلس قيادة الثورة ان يقدم لنا مذكراته الشخصية عما كان يفكر فيه او ما كان يريده او ما كان يستهدفه ما دام قد عجز عن ان يحوله الى فكر وارادة وهدف الثورة . كما لا يجدينا ونحن نتحدث عن ثورة ٢٣ يوليو ان نستمع الى مبررات العجز التي يشكو منها الان بعض القادة السابقين في مجلس قيادة الثورة . ان الدراسة المنهجية الصحيحة لا تعتد بما يقولون الا من حيث مدى اثره السلبي او الايجابي في فكر الثورة وارادتها واهدافها ، ولكنها لا تعتد به كفكر او ارادة او هدف من افكار و ارادة واهداف الثورة .

انهم يبحثون، يا دكتور عبد الكريم ، عن صكوك براءة مما يحسبونه تهما وهو موقف مجرد من العلمية ومن الاخلاق ايضا فلا تتبرع لهم بما يريدون وانت لست معهم و لست مثلهم خلقا .

٣- ان الخطأ المنهجي الاكبر الذي وقع فيه الدكتور عبد الكريم احمد، وكل الذين كتبوا ويكتبون عن علاقة ثورة ٢٣ يوليو بما سبقها من مبادىء وقوى قد سلبه، كما سلبهم ، المقدرة على الاجابة على السؤال الحاسم :

اذا صح ان اعضاء مجلس قيادة الثورة قد ظلوا بعد قيامها على افكارهم وانتماءاتهم السابقة، فلماذا اسسوا "منظمة الضباط الاحرار" اصلا..؟ لماذا لم يحاول كل منهم ان يحقق ما يريد من موقع انتمائه الفكري والحركي الى القوة السياسية التي كان ينتمي اليها؟ .. لا بد ان يكون كل واحد منهم قد قارن بين جدوى بقاء انتمائه القديم فكريا او تنظيمياً وجدوى انتمائه الى منظمة جديدة فاختار الجديد. وهنا يكمن السؤال : ما هو الفارق- الجديد- الذي حمل كل واحد منهم على حدة على ان يختار الانتماء الى الضباط الاحرار بدلا من الانتماء الى حزبه؟

الجديد اما ان يكون في الفكر او يكون في الاسلوب.

يقوال الدكتور عبد الكريم احمد في ختام مقاله " الثورة الناصرية : اثرها في الفكر السياسي المصري " : ان الاتجاه الحقيقي للثورة لم يكن محددا مسبقا بل انه تكون بعد ذلك من

خلال الممارسة، ونضيف : الا الاتجاه الذي يمثله ويعبر عنه اجتماع المبادىء الستة التي كانت من قبل شعارات يرفع كل حزب ما يختار منها .

اذن فقد يكون الجديد هو الاسلوب. اعني اسلوب تغيير الواقع في مجتمع اظهر عناصر واقعه ، بالاضافة الى التخلف ، الاحتلال الاجنبي الذي كان يشل حركة تطوره بما يستطيع منذ سبعين عاما. وفي مواجهة الاحتلال الاجنبي يختلف الناس اسلوبا فمنهم الثوري ومنهم الاصلاحي . الثوري يتعامل مع القوى الاستعمارية باسلوب التعامل مع الاعداء فهو لا يعترف ولا يصطلح معها ولا يفاوضها ولا يساومها بل يقاتلها بكل اداة من اول الكلمات الى الرصاصات . ويدرك الثوريون ان التناقض الاساسي في ظل الاحتلال الاجنبي يقوم بين ارادة التحرير من ناحية وواقع القهر من ناحية اخرى فيضعون متطلبات معركة التحرر فوق كل المتطلبات الاخرى ، ويحددون مواقفهم من الاحداث والناس والقوى طبقا لمواقفها من معركة التحرر . اما الاصلاحيون فيتعاملون مع قوى الاحتلال من منطلق مهزوم اصلا . يعترفون بشرعية الامر الواقع ويصالحون اعداءهم ويفاوضونهم ويساومونهم على ذات مصير وطنهم . وفي كل مجتمع محتل لا يوجد - اذا استبعدنا الخونة- الا تياران اساسيان : تيار ثوري وتيار اصلاحي . وهذا لا يحول دون ان يفترق الاصلاحيون في اشكال تعاملهم مع المحتلين فيتوزعون احزابا . ويتنافسون فيما بينهم على "انسب" تلك الاشكال ويكون محور تنافسهم هو : من منا اكثر قبولا لدى من بيده الامر . ومن منا اقرب الى قلوب السادة فهو اقدر على ان "يسترد" منهم بعضا من الحرية المفقودة . هذا بينما يبقى الثوريون في موقف رفضهم التعامل مع العدو الا باسلوب التعامل مع الاعداء.

الاساس الفكري :

ولسنا نقول هذا لاننا نصطنع مقدمات لنصل الى نتائج نريد ان نقولها. ولكنا نقوله لاننا لا نفهم الاحداث ولا نفسرها الا على هدى منهج علمي نحتكم اليه ونقبل مقدما ما يؤدي اليه هذا الاحتكام. والمنهج- كما لا شك يعرف الدكتور عبد الكريم احمد - هو مجموع القوانين الموضوعية التي تضبط حركة الاشياء والظواهر حتما. وهي موضوعية بمعنى أن وجودها وفاعليتها غير متوقف على معرفتنا اياها . ان عرفناها فاستخدمناها في المعرفة اصبنا. وان جهلناها أو تجاهلناها او انكرناها فقد نصيب وقد نخطىء . ويأتي الصواب والخطأ صدفة . وانا لنعرف- كما لا شك يعرف الدكتور عبد الكريم احمد- ان فهم الاحداث التاريخية

وتفسيرها طبقا لقانون التطور الاجتماعي لا يصح الا اذا كانت في مجتمع متحرر من القهر الخارجي (الاحتلال) او القهر الداخلي (الديكتاتورية) . ففي المجتمع المتحرر وحده يخضع التطور الاجتماعي لقوانينه الموضوعية وتتحدد مواقف الناس فيه، ويفرزون تيارات او احزابا تبعا لمدى وعيهم على مصالحهم المادية والثقافية وعلاقتها بمصالح المجتمع الذي ينتمون اليه ككل . ويصح حينئذ ان نفرز من بين الناس تلك التيارات التي تحددها مصالح اصحابها كما يعرفها. ويصح حينئذ تقسيم تلك التيارات الى اقطاعيين وليبراليين ودينيين واشتراكيين . وتكون تلك المواقف المتميزة من الواقع الاجتماعي ومشكلات تطوره هي مناط الحكم والتقييم .

اما عندما يفرض القهر من الخارج ، او من الداخل ، ويصبح المجتمع كله، بما فيه من موارد وبشر، مسخرا، بالقوة ، لتحقيق غايات معينة سلفا ومفروضة عليه بالعنف فان شرط الحرية اللازمة لفاعلية القوانين الاجتماعية يزول . وتصبح المشكلة الاساسية التي تواجهها القوى السياسية هي كيف يتحرر المجتمع ليستطيع ان يتطور وليس كيف يتطور المجتمع في ظل الاحتلال . فيختار الثوريون الحرية ، وتصبح مضامين التطور الاجتماعي بالنسبة اليهم هدفا مرتبطا بانجاز مرحلة التحرر: التحرر من اجل التطور الاشتراكي مثلا .. ويختار الاصلاحيون لعبة التعامل الظاهر او الخفي مع القوى المحتلة او القاهرة.. ويبادلونها مصلحة بمصلحة. تولي السلطة في مقابل الاعتراف. التنمية في مقابل ان يكون للمحتل نصيب من العائد . شرعية الاحزاب في مقابل شرعية احتلال . نشر التعليم في مقابل ان يكون بلغة المحتل وثقافته . الى اخره . وفي حدود ما تسمح به القوة المحتلة في حدودها فقط ، وبقدر ما تسمح فقط ، يتصارع الاصلاحيون على فتات ما يلقى اليهم من مائدة امتهم المغتصبة. ويستعيرون عناوين سياسية فهم ليبراليون او راديكاليون او ديموقراطيون اجتماعيون ...

اذن، وهذا مجرد اجتهاد ، لا ينبغي ان نحتكم في بيان القوى السياسية في مجتمع محتل الى ذات المقاييس التي نحتكم اليها في بيان القوى السياسية في مجتمع متحرر. ان اول مقياس في المجتمع المحتل هو فرز الناس على اساس موقفهم من المحتل نفسه واسلوب تعاملهم معه. وبعد هذه البداية نستطيع- اذا كان ذلك لازما- ان نصنف القوى داخل التيار الثوري حسب الوعود الاجتماعية التي يربطونها بالتحرر وتصنيف القوى داخل التيار الاصلاحي حسب المواقف التي يأخذونها من القضايا الاجتماعية في ظل الاحتلال . وقد نجد ان بعض الشعارات مرفوعة في صفوف الثوار وفي صفوف الاصلاحيين . فاذا لم نفطن الى التيار الاساسى الذي تنتمي اليه كل قوة وقعنا في خطأ الجمع بين القوى التي ترفع شعارا واحدا بالرغم من اختلافها الاساسي في

مواقفها من قضية التحرر. فتحسب مثلا ، ان " التيار الديموقراطي " يجمع كل الذين يرفعون شعار الديموقراطية بينما يكون شعار الديموقراطية في التيار الثوري مرفوعا كهدف من اهداف الثورة في الوقت الذي يرفعه الاصلاحيون بديلاً عن الثورة ... وهكذا.

ويعرف الدكتور عبد الكريم احمد كما نعرف جميعا ان مصر العربية عام ١٩٥٢ وما قبله كانت محتلة فيكون همنا

اولا ان نبحث في تاريخها السابق على ثورة ٢٣ يوليو عن التيارات السياسية الاتية: التيار العميل الخائن ، التيار الوطنى الاصلاحي، التيار الوطنى الثوري ، ثم يكون علينا بعد ذلك - ثانيا- ان نعرف الى اي تيار من هذه تنتمي ثورة ٢٣ يوليو .

المرجع:

ان مرجعنا هو الدكتور عبد الكريم نفسه. ففي رساله الدكتوراه التي تقدم بها الى جامعة القاهرة في عام ١٩٧٠ وحصل بها على درجته العلمية المرموقة قال :

" وقد بدأ القرن العشرون وليس في مصر سوى قوتين سياسيتين ذات فعالية، المستعمر الاجنبي والقصر الذي كان يمثله خديو اجنبي الى حد كبير. ولكن لم تمض السنوات الاولى منه حتى كان المثقفون المصريون قد احتلوا مراكزهم كقوة ثالثة على رأس الشعب المصري ، وظلت هذه القوة الثالثة تنمو معبرة عن الارادة القومية للمصريين الى ان بلغت ذروتها في ثورة ١٩١٩. وكان معظم هؤلاء المثقفين المصريين من تلامذة محمد عبده الذين تشربوا تعاليمه التقدمية واتفقوا معه في مبدأ الأخذ من الفكر الغربي الحديث بالقدر الذي يتفق مع الشخصية المصرية النامية ومع تقاليدها وتراثها ، ومالا غنى عنه لبناء الدولة العصرية .

" وقد انقسم هؤلاء المثقفون اساسا الى فريقين : يمثل احدهما النزعة الثورية بزعامة مصطفى كامل، ويطالب بالاستقلال الفوري والحكم البرلماني المسئول والتعليم للجميع واشتراك الشعب في الحكم .

" اما الفريق الثاني، الذي تألف منه حزب الامة فكان يتكون من لفيف من المثقفين الذين تلقوا تعليما غربيا وهضموا كثيرا من المفاهيم السياسية الجديدة وبدأوا يدعون الى بناء دولة

مصرية عصرية، وكان من ابرز هؤلاء المثقفين لطفي السيد واحمد فتحي زغلول وقاسم امين وسعد زغلول .."

ولسنا نريد ان نضيف الى هذا الا ثلات نقط . الاولى ان فريق مصطفى كامل كان فريقا منظما اسمه " الحزب الوطني " ، وهو ذات الاسم الذي حمله تنظيم احمد عرابي الذي خاض معركة الدفاع ضد الاحتلال سنة ١٨٨٢. والنقطة الثانية : ان الفارق الاساسي بين الحزب الوطني وحزب الامة كان منصبا على اسلوب التعامل مع الاحتلال . الحزب الوطني يرفض شرعية الاحتلال ولا يعترف به ويرفع شعار" لا مفاوضة الا بعد الجلاء " ويتجه الى الشعب يعده للثورة ، ويتجه الى الميدان السياسي الخارجي ليجمع الحلفاء ضد المحتلين ولكنه يرفض تولي السلطة او المشاركة فيها في ظلال الاحتلال . وحزب الامة يسلم بمشروعية الاحتلال ويعترف بالمحتلين ويرفع شعار التعاون معهم في نهضة البلاد تعليميا واقتصاديا ويتجه الى الاحتلال وعميله " القصر" ، في كل ما يريد ان يفعله ليستأذن اولا ويستمد من صاحب الاذن شرعية ما يفعل . النقطة الثالثة هي ان التناقض بين التيار السياسي الذي يمثله الحزب الوطني والتيار السياسي الذي يمثله حزب الامة كان في مثل حدة وعنف التناقض بين التحرر والاحتلال نفسه . فعندما حدث صراع مسلح بين بعض الفلاحين وبعض جنود الاحتلال في حادثة دنشواي الشهيرة ، وقف الحزب الوطني موقفا ثوريا مع الفلاحين وشن حملة عالمية هائلة على الاحتلال انتهت بطرد اللورد كرومر . هذا بينما اختار المحتلون احمد فتحي زغلول عن حزب الامة ليكون قاضي دنشواي الذي حكم بقتل الفلاحين وجلدهم في موقع الاشتباك وامام اعين اهلهم .

وهكذا كان في مصر العربية تياران اساسيان . تيار ثوري وتيار اصلاحي .

اما التيار الثوري فقد ضرب ضربة قاسية بعد سنة ١٩١٤ عندها اعلنت الحماية على مصر. فسجن زعماؤه وطردوا وأغلقت صحفه وحيل بينه وبين ما كان يمارسه من وجود علني . اما التيار الاصلاحي الذي بدأ بحزب الأمة فقد تكاثر وخرجت منه اسر اصلاحية كثيرة اسمت نفسها احزابا باسم " الاحرار الدستوريين " او " الاتحاد " او " الشعب " او " الوفد " ا و " السعديين " او "الكتلة". ا لخ . وكلهم - في شأن قضية التحرر- ينتمون الى التيار الاصلاحي ويختلفون فيما بينهم حول قضايا اخرى اغلبها ذاتية وبعضها وطنية ومصلحية مع ملحوظة وحيدة هي ان الوفد لم ينشأ حزبا بل نشأ " وفدا " مختارا من الساسة العاملين حينئذ يوفده الشعب الى مؤتمر الصلح في باريس ليعرض قضية استقلال مصر عليه استنادا الى حق تقرير المصير الذي اعلنه الحلفاء. في

ذلك الوقت كان محمد فريد قائد الحزب الوطني منفيا في اوروبا ، ولكن الحزب ايد ايفاد وفد للمطالبة بالاستقلال ومثله في الوفد واحد من اعضائه البارزين : مصطفى النحاس . بعد فشل الوفد قامت ثورة ١٩١٩ الجماهيرية . فمن الذي كان قد علم جماهير ١٩١٩ من الفلاحين والعمال والطلبة.. ان الاستقلال لا ينتزع الا بالثورة ؟ ليس اعضاء الوفد .. ولكن تراكم الممارسات التي كان التيار الثوري قد ربى عليها جيلا كاملا من المصريين في المعاهد والمدارس الليلية والنقابات التي انشأها. ولعل هذا ما يفسر " العناد " الوطني الذي عرف به مصطفى النحاس فيما بعد . انه على أي حال خريج المدرسة الثورية الذي لم يكن يوما منتميا الى حزب الامة ولا من رجاله . فشلت الثورة ايضا فتحول الوفد الى حزب ثم احزاب كلها امتداد لحزب الامة ، أي الى التيار الاصلاحي..

تأريخ ما أهمل التاريخ :

الذي لم يكتب بعد على الوجه الذي يستحقه هو الاجابة التاريخية على السؤال : ما الذي آل اليه التيار الثوري الذي بدأ باحمد عرابي ثم مصطفى كامل ثم محمد فريد، بعد ان ساد وحكم التيار الاصلاحي ممثلا في احزابه التي تنازعت وتقاسمت الحكم بعد فشل ثورة ١٩١٩ ؟

نقول :

ان الحزب الوطني كمؤسسة جماهيرية علنية قد تقلصت بشرا واثرا بحيث انه في الفترة ما بين ١٩١٩ الى ١٩٥٢ لم تكن تلك الحفنة العنيدة من الرجال الذين ابقووا على الحزب الا رمزا لبقاء المقاومة الثورية التي لا يمارسونها هم انفسهم . كانوا يقاومون الاتجاه الاصلاحي بصلابة ولكن في اطارها الشرعي الدي صاغته الاحزاب الاصلاحية . وكانوا يرفضون الاشتراك في الحكم فلم يكن للحزب الممثل فيهم جاذبية او امكانات الممارسة الشعبية واسعة النطاق . وكانوا متمسكين "بالامفاوضة " مع الاحتلال فلم يساهموا في لعبة المساومة مع المحتلين . واستجمعوا كل قواهم في آخر معركة مجيدة لهم في الحملة الهائلة التي شنوها على معاهدة ١٩٣٦ التي ابرمتها جماعة "حزب الامة " التي اصبحت جبهة من الاحزاب الاصلاحية والمستقلين .

ولكن ، يا دكتور عبد الكريم .. ويا ايها الشباب العربي .. لم يكن هذا هو كل شيء في تاريخ مصر العربية. الذي لم يكتبه احد بعد هو انه منذ ١٩١٤ تاريخ فرض الحماية الانجليزية

على مصر، وضرب الحزب الوطني " العلني " لجأ التيار الثوري مباشرة الى مواجهة الموقف الجديد باسلوب جديد هو : النشاط الثوري السري . وكان ايضا تحت قيادة شباب الحزب الوطني (حينئذ) الذي لم يعرف الشعب عنهم شيئا منذ ذلك الحين بينما كانوا يقودون ثورته الصامتة في الخفاء ولم يظهروا الا مع ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كأنهم خرجوا من جوف الارض . ولكن النشاط الثوري السري اتسع لكل الثوريين حتى ممن كانوا غير منتمين للحزب الوطني وامتد فجند عناصره وادار معركته حتى بين صفوف الأحزاب الاصلاحية . ولقد استطاع ان يضع احد رجاله في اقرب موضع مع سعد زغلول نفسه وهو عبد الرحمن فهمي ، الذي انشأ " الجهاز السري " للوفد كما يقول المؤرخون بينما الجهاز كله كان ينفذ مخططات ثورية لم يقررها الوفد بل قررها التيار الثوري المتمركز خارج الوفد والاحزاب الاصلاحية الاخرى .. وكان النشاط كله بقيادة شخص ما يزاد حيا وان كان اغلب الناس لا تعرفه، لانه منذ ١٩١٤ حتى ١٩٥٢ لم يكن الا موظفا بسيطا في اجهزة دولة مصر هو: عبد العزيز علي قائد التيار الثوري في مصر ورائده ومعلمه منذ سنة ١٩١٤.. ومؤسس كل الجماعات الثورية التي كانوا يطلقون عليها " ارهابية " بدأ بجماعة " اليد السوداء " ولأن العمل الثوري في ظل الاحتلال لا بد له من ان يكون عنيفا فان كل العشرات والمئات من اول الجنود الى الخونة الى اخر القائد الانجليزي للجيش المصري كانوا قد اعدموا بناء على احكام اصدرها التيار الثوري المنظم الذي لم يكن يعرف عنه احد شيئا ... هذا- طبعا- بالاضافة الى التبشير الفكري السري الذي كان يأخذ شكل منشورات والتحريك الجماهيري الذي كان يأخذ شكل المظاهرات . منشورات ومظاهرات تحمل عناوين شتى ويقودها - او تحسب انها تقودها- شخصيات متنوعة الاتجاهات، ولكن الذي ينظمها ويحركها ويقودها فعلا جنود مجهولون ينتمون الى التيار الثوري ومنظماته.

الاتجاه الى الجيش :

في عام ١٩٤٠ قررت قيادة المقاومة الثورية للاحتلال تجنيد افراد من الجيش المصري للعمل الثوري . وتشكلت أول خلية من القوات المسلحة من ضباط سلاح الطيران (سعودي وبغدادي ووجيه اباظة وحسين ذو الفقار) وكانت تلك اول جماعة منظمة فيما عرف بعد باسم الضباط الاحرار. واقسم كل من هؤلاء يمين الولاء للثورة امام عبد العزيز علي الموظف البسيط في ذلك الوقت في الادارة المالية لمحافظة القاهرة . وبدأ انتشار الخلايا الى حين ان وصل الى جمال عبد

الناصر فتغير كل شيء تغييرا نوعيا . فقد كان جمال عبد الناصر اكثر مقدرة على التنظيم السري من القيادة المدنية . وكانت القيادة المدنية اكثر ولاء للتيار الثوري واهدافه من المزاحمة على القيادة، فاستقل الضباط الاحرار بتنظيمهم تحت قيادة جمال عبدالناصر واستمرت الحركة المدنية بقيادة جيل جديد من شباب الحزب الوطني ، وظل الطرفان يرجعان للمشورة الى الرجل الذي تنحى وبارادته ليفسح المجال لمن اصبح اقدر منه بحكم الموقع والسن . ولقد كان عبد العزيزعلي استاذا معترفا به من الضباط الاحرار ومستشارا يرجعون اليه حتى قيام ثورة ١٩٥٢ عندما نقلوه من وظيفته البسيطة الى منصب الوزارة في اول وزارة للثورة .

الى من تنتمي ثورة ٢٣ يوليو:

هل نريد بهذا التعليق على مقال الدكتور عبد الكريم احمد ان نقول ان ثورة ١٩٥٢ تنتمي الى التيار الثوري في مصر الذي بدأه احمد عرابي، في مواجهة وضد التيار الاصلاحي الذي بدأ بحزب الامة وامتد في الاحرار الدستوريين والوفد والسعديين والكتلة... الخ ؟

نعم

ان جمال عبد الناصر هو القائد الرابع للتيار الثوري في مصر . عرابي فمصطفى كامل فمحمد فريد فجمال عبد الناصر. وقد كنا نتمنى لو أن الدكتور عبد الكريم احمد فطن الى المشابهة بل المطابقة تقريبا- مع اختلاف اللغة- بين المبادىء الستة التي بدأت بها ثورة ١٩٥٢ وبين المبادىء التي قامت من اجل تحقيقها ثورة عرابي عندئذ كان يمكن ان يجد العلاقة بين الجانب التحرري والجانب الاجتماعي منها . فاحمد عرابي ركز على الجانب التحرري لان الظروف الاجتماعية لم تكن نضجت بعد ليرفع شعاراتها الاجتماعية . فيأتي مصطفى كامل ويعمق افكارها التحررية ويأتي محمد فريد ويتصل اتصالا مباشرا بالحركة الاشتراكية في اوروبا وتتأثر الحركة الوطنية المصرية الثورية في مصر بهذا الاتصال ويتجه الحزب الوطني بقوة الى انشاء النقابات العمالية وفتح المدارس الشعبية الليلية التي كان يدرس فيها قادة الحزب انفسهم . ويحضر رئيس الحزب مؤتمرات اشتراكية دولية التي تنعقد في اوروبا ممثلا للحزب . ثم ينقطع هذا الاتجاه بتولي الاصلاحيين الحكم بعد ثورة ١٩١٩، ولكن تلك المبادىء التي تتجه الى التكامل تظل تتفاعل وتنتشر في ظل الكفاح الثوري ضد الاحتلال ، الى ان تلتقي معا في المبادىء

الستة لثورة ٢٣ يوليو . ثورة ٢٣ يوليو التي قامت ضد كل عناصر التيار الاصلاحي كما كانت تمثله الاحزاب الحاكمة في ذلك الوقت. ولهذا نقول عنها ثورة.

ولو كانت امتدادا مختلطا من مبادىء الاصلاحيين لكانت انقلابا .

فهل هي ثورة ام انقلابا ؟ ..

ما خفي كان اعظم :

لوصح ما قلنا لكان لابد له من ان يتجسد في ممارسات عينية تعبر بها ثورة ٢٣ يوليو عن انتمائها الى التيار الوطني الثوري الذي بدأه احمد عرابي بدلاً من مجرد التحليل التاريخي . اذ ليس من المعقول ان تكون ثورة ٢٣ يوليو كما تعي ذاتها تنتمي الى تيار ثوري نشيط خارج القوات المسلحة ولا تلتقي به في مراحل نضالية مشتركة. لنطرح السؤال بوضوح اكثر ليكون الدليل على ذلك الانتماء اكثر وضوحاً : ماهي العلاقة النضالية بين منظمة الضباط الاحرار والحزب الوطني (ممثلا في قوته السرية وليس في تشكيله العلني) قبل سنة ١٩٥٢؟..

لسنا نعيد هنا العلاقة التأسيسية التي تحدثنا عنها، ولا العلاقة الشخصية التي كانت قائمة بين الافراد، كما اننا لا نفشي الان كل اسرار الاجتماعات المشتركة بين بعض الضباط الاحرار وبعض شباب الحزب الوطني من قوته الثورية في منزل الشيخ محمد الاودن في منزله في الزيتون ، ولا نريد ان نذكر المشروع المشترك الذي اعده الحزب الوطني سنة ١٩٥١ وعرض على الضباط الاحرار بتكوين قوة مقاتلة مشتركة تعبر الى سيناء وتدير من هناك حرب عصابات ضد القوات البريطانية..

نكتفي فقط بنموذج واحد..

الغيت معاهدة ١٩٣٦ في اواخر عام ١٩٥١ وكان ذلك نصرا بينا لمبادىء التيار الثوري الذي لم يكف ابدا عن مناهضتها. وبدأت حركة مقاومة شعبية في منطقة القناة تحت اسم كتائب التحرير وتنافست الاحزاب جميعاً في ارسال طوابير كثيفة من شبابها تقوم باستعراضات عسكرية حول معسكرات الانجليز.. ولم يكتب احد بعد اين كان تنظيم الضباط الاحرار من تلك

المعركة.. وما يؤسف له ان " الميثاق " وهو يستعرض تاريخ مصر الحديث اغفل الحديث عن تلك الفترة المجيدة من النضال الوطني الثوري ..

الان نقول، او نستطيع ان نقول :

انه تحت ستار التظاهرات العلنية الكثيفة التى استغلت فيها الاحزاب الاصلاحية معركة القناة الشعبية بعد الغاء المعاهدة كانت في منطقة القناة ثلاث قوات ثورية حقا تقاتل حقا . اولاها في القنطرة قرب الاسماعيلية وعناصرها الأساسية من جماعة الاخوان المسلمين . وثانيهما في السويس وعناصرها شعبية والثالثة في الشرقية في منطقة ابو حماد . هذه القوة الثالثة التي لم تظهر ابدا علانية ولم تصدر ابدا نشرات وصورا عما كانت تفعل والتي اتخذت مواقعها الخفية في قرية المحجر وقرية السهرية بعيدا عن المدن ، وادارت معركة " القرين " الشهيرة وقاتلت حتى بعد حرق القاهرة ، ممن كانت تتكون وكيف تكونت؟..

انهما مجموعتان (٢٥ فردا في كل مجموعة) تكونتا من شباب الحزب الوطني . حملت احداهما اسم كتيبة مصطفى كامل وحملت الاخرى اسم كتيبة محمد فريد . دربتهما واعدتهما للقتال منظمة الضباط الاحرار . تم التدريب النظري في منزل رقم ٢ شارع خيرت بالسيدة زينب بالقاهرة خفية. خفية حتى عن التشكيل العلني للحزب الوطني . وتم التدريب العسكري على الرماية بالاسلحة الخفيفة في معسكرات سلاح المدفعية . وتم التدريب على استعمال المتفجرات في معسكرات سلاح المهندسين . منظمة الضباط الاحرار هي التي ادخلتهم خفية ودربتهم في تلك المعسكرات . ولما تم اعدادهم هي التي سلحتهم . وقبل ان يتجهوا الى الجبهة عينت لهم قيادة سياسية وقيادة عسكرية. اما القيادة السياسية فكانت من الحزب الوطني ومهمتها التدريس والتوعية للمقاتلين بالقضايا الدولية والوطنية ونظم الحكم والتقدم الاجتماعي والاقتصادي . وحملت معها مكتبة كاملة وذلك اثناء النهار الذي اتفق على ان يختفي اثناءه المقاتلون . واما القيادة العسكرية فقد اختارتها منظمة الضباط الاحرار وقد اختارت لها الضابط وجيه اباظة (محافظ القاهرة فيما بعد) . ومهمته التواجد في المنطقة ابتداء من مغرب كل يوم لقيادة المجموعات في العمليات الهجومية على المعسكرات. اما ضابطا الاتصال اللذين لعبا منذ البداية دورا اساسيا في هذا النشاط المشترك فكانا- عبد المجيد فريد (سكرتير رئاسة الجمهورية فيما بعد) ممثلاً للضباط الأحرار، ومحمد عبد الرحمن حسين (المستشار فيما بعد) ممثلاً للحزب الوطني ..

وكان الهدف المتفق عليه : تكوين جيش ثوري من خلال القتال ضد المحتلين يكون قادراً في مرحلة لاحقة على اشعال الثورة في القاهرة واسقاط النظام البائد..

وفشلت الخطة عندما حرقت القاهرة وعاد الذين ذهبوا يلتمسون في معركة القناة سبيلا الى الثورة في مصر.. ولم يقل احد شيئا ولم يكتب احد شيئا، لان الثوار حقا لا يهمهم ان يقولوا ماذا يفعلون..

هل كل هذا صحيح؟

عندما قامت الثورة قفز من الظلام الى النور فجأة رجل اسمه سليمان حافظ . كان وكيلا لمجلس الدولة فاصبح المدني البارز بجوار القيادة العسكرية للثورة . وكان هو الذي وضع وثيقة تنازل فاروق عن العرش . وكان هو- وليس احدا غيره او معه- الذي ذهب الى فاروق في قصره وطلب منه التوقيع على الوثيقة . فلما وقع بيد مرتعشة طلب اليه ان يوقع مرة اخرى بيد ثابتة . ويشن احمد حمروش في كتابه حملة شعواء على سليمان حافظ ويتهمه بأنه المسئول عن الاجراءات العنيفة ضد الاحزاب التي اتخذتها الثورة في سنتها الاولى . ويشير الى تأثيره القوي على عبد الناصر. واحمد حمروش مخطىء. فعبد الناصر لم يكن الرجل الذي يخضع لتأثير رجل مدني اسمه سليمان حافظ . كان اولى باحمد حمروش ان يسأل نفسه : لماذا قفز سليمان حافظ من منصبه القضائي الى موقع القيادة في الثورة ، وما هو مصدر حقه في ممارسة مهمات الثورة الصعبة . ولماذا كان " الضباط" يقبلون تصديه لتلك المهمات ، ولماذا كان نائباً لرئيس الوزراء في اول وزارة تؤلفها الثورة (٧- ٩- ١٩٥٢) . ولو سأل احمد حمروش نفسه، بدلا من محاولة ان يصور ثورة ٢٣ يوليو كما لو كانت ثورة منظمة الشيوعية " حدتو " لعرف الاجابة على اسئلة اخرى . منها مثلا : لماذا كان نصف الوزراء في اول وزارة شكلتها الثورة من المنتمين الى الحزب الوطني (سليمان حافظ- نور الدين طراف- حسين ابو زيد - عبد العزيز علي- محمد فؤاد جلال- محمد صبري منصور- فتحي رضوان) . لا يمكن ان يكون كل هذا اعتباطا ، ولكن كان وراءه تاريخ . تاريخ ثوري سري فهو غير معروف الا لاصحابه . واصحابه ثوريون فلم يكن يهمهم ان يعرف .. اما الان فلا بد من ان يشار اليه على الاقل حتى لا يقع واحد من اخلص الرجال لثورة ٢٣ يوليو وجمال عبد الناصر مثل الدكدور عبد الكريم احمد في الخطأ الذي وقع فيه فيحسب ان ثورة ٢٣ يوليو هي الحلقة الاخيرة من التيار الاصلاحي الذي بدأه حزب الامة بدلا من

ان يعرفها الحلقة الاخيرة من التيار الثوري الذي بدأه الحزب الوطني . وان جمال عبد الناصر هو خليفة سعد زغلول ومصطفى النحاس بدلا من ان يعرفه خليفة محمد فريد ومصطفى كامل..

لا اعتذر:

لست مدينا باي اعتذار لقراء الشورى عن هذه الإطالة في التعليق على مقال الدكتور عبد الكريم احمد. ولو كنت قصدت به مجرد الحوار لاعتذرت . ولو كنت قصدت به استعراض معرفتي بالتاريخ لاعتذرت . اذ ماذا يهم القراء من الجيل العربي الجديد من حوار حول التاريخ يدور بين اثنين من شيوخ الجيل السابق .

ولست اعتذر فلقد قصدت به ما يهم الجيل العربي الجديد من قراء مجلة الفكر القومي التقدمي . ففي مصر العربية يقيم ثلث الشعب العربي أو اكثر. ومن هنا فان أي حركة الى المستقبل القومي تجري بعيدا عنهم او في عزلة منهم لن تحمل من القومية الا اسمها . هذا الثلث من الشعب العربي يمثل بالنسبة الى امته قمة نضجها الاجتماعي والحضاري وبالتالي فان مصير الامة العربية ككل متوقف الى حد بعيد على ما يدور في مصر . ان انتكست انتكست. وان انتصرت انتصرت. هذا حكم الواقع التاريخي الراهن سواء اعجب احدا ام لم يعجبه . ومن هنا فان كل قضايا الشعب العربي في مصر هي في القمة من قضايا الامة العربية. ويمثل الموقف منها افضل المحكات المعاصرة للتمييز بين المواقف القومية والادعاءات القومية..

ثم ، وهذه هي الخلاصة : ان التيارين الاساسيين ، التيار الثوري الذي بدأه الحزب الوطني، والتيار الاصلاحي الذي بدأه حزب الامة قد عادا يتنازعان مصير الشعب العربي في مصر اي مصير الامة العربية ذاتها ، بعد ان حسب البعض ان ثورد ٢٣ يوليو قد حسمت الخيار الى الابد لصالح التيار الثوري . وفي محاولة الانتصار للتيار الاصلاحي يحاول كثير من الكتاب منذ فترة نسبة ثورة ٣٣ يوليو الى التيار الاصلاحي لتضاف اليه ايجابياتها كموقف مناهض للتيار الثوري الذي ما تزال الثورة مستمرة فيه.

ومقال الدكتور عبد الكريم ينتمي الى الكتابات التي تنتصر للتيار الاصلاحي وتساعد في اضافة ثورة ٢٣ يوليو الى رصيده مناهضة للتيار الثوري ، هذا في حين ان الدكتور عبد الكريم احمد شخصيا ينتمي الى التيار الثوري الذي يناهض التيار الاصلاحي..

هذا التناقض بين موقف الكاتب ومقاله.. هو الغريب لان الكفاءة الفكرية والخبرة السياسية المتوافرتين للدكتور عبد الكريم احمد كانتا كفيلتين بان يقول غير ما قال .

فلنقل اذن.. لكل عالم هفوة .

مشكلة الممارسة الديموقراطية:

لم اكن واثقا ما اذا كان من حق ابي ذر ان يضع على سفوده " الوثائق " التي تنشرها مجلة "الشورى " . اعني انني ترددت بين ان اعلق اولا على الوثيقة التي نشرت في العدد الرابع (السنة الثانية) من الشورى . والوثيقة هي قرار مجلس الثورة الصادر في ٣ ابريل ١٩٧٥ بتعديل النظام الاساسي للاتحاد الاشتراكي العربي في ج.ع.ل حسمت التردد بالحق لاسباب عدة :

الاول : ان في الوثيقة ما يغري اغراء شديدا بالتعليق والنقد .

الثاني : ان الوثيقة جاءت في هامش تقديم فكري يستحق ان يوضع على السفود .

الثالث: ان التقديم والوثيقة قد نشرا في مجلة الفكر القومي التقدمي فهما يخاطبان قراء الشورى الذين يكتب من اجلهم ابو ذر .

الرابع : ان ما جاء في التقديم والوثيقة كليهما يتصل بواحدة من اهم المشكلات التي يواجهها المناضلون عامة، والمناضلون العرب خاصة وهي مشكلة الممارسة الديموقراطية.

الوثيقة:

مما يستحق الانتباه في النظام الاساسي للاتحاد الاشتراكي العربي في ج. ع. ل ان عضويته مفتوحة لكل مواطن عربي من خارج ج. ع. ل (المادة الاولى) وان عضويته اجبارية لكل المواطنين في ج.ع.ل (المادة الثانية) وان الشعب مقسم فيه الى مؤتمرات شعبية اساسية وفقا للمكان (المادة الثانية) ولكن اختيار المؤتمر الشعبي لجنته القيادية مقيد بقيود منها الا يكون عضوا في مجلس الثورة او في قيادة الاتحادات او النقابات او الجمعيات واي روابط مهنية اخرى او احدى اللجان الشعبية لأن كل اولئك اعضاء في المؤتمر القومي (فقرة ب ١ و ٣ و ٤) بالاضافة الى قيادات

لجان المؤتمرات الشعبية الاساسية (فقرة ب ٢) كما جاء في المادة الثانية . ثم قيد اخر جاء في الفقرة ٦ من المادة ٦ ونصها " تكون الاغلبية الساحقة في عضوية لجان المؤتمرات الشعبية والمؤتمر القومي للكادحين".

ثم يستحق الانتباه ان غاية التنظيم كما حددتها المادة الثالثة تضمنت :

١- ارساء دعائم نهائية لمجتمع ديموقراطي . وتعبير " نهائية " هو الذي يستحق الانتباه..

٢- " حماية " الحرية و " اقامة " " الاشتراكية " و " الدعوة " الى الوحدة العربية . اقتصار غاية التنظيم على " الدعوة " فيما يختص بالوحدة هو الذي يستحق الانتباه .

بعد الانتباه يأتي التأمل وبعد التأمل يستطيع ابو ذر ان يقول :

اولا: يعجب كل قومي تقدمي ويسعده قبل كل شيء ما نص عليه النظام من ان غاية التنظيم فيما يتعلق بالوحدة هي الدعوة اليها. لا تحقيقها . انه نص علمي وواقعي معا . فوراءه لا شك وعي ملاءمة كل اداة لغايتها . ولما كان الاتحاد الاشتراكي العربى هو التنظيم للشعب في ج.ع.ل. فان تحميله مسئولية غايات تتجاوز مقدرته كاداة لا يعني سوى ترشيحه للفشل . وبهذا يزول اول دتاقض بين التنظيم في اقليم وبين التنظيم القومي الذي هو اداة لا بد منها لتحقيق الوحدة . يستطيع الاول ان يدعو ويحضر فكريا ودعائيا للوحدة ويبقى الانجاز او التحقيق منوطا بالثاني . انهما غير متوازيين وغير متناقضين فلا يعني تنظيم الشعب العربي في ج.ع . ل. في الاتحاد الاشتراكي العربي انه قد استغنى بتنظيمه عن المشاركة في التنظيم القومي عندما يقوم . ولقد كان ابوذر يتمنى لو ان النظام الذي صدر قد تضمن مادة اضافية تؤكد هذا المعنى كتلك المادة ٦٢ من دستور دولة الاتحاد التي نصت على التزام التنظيمات السياسية في الاقاليم تهيئة المناخ لاقامة الحركة العربية الواحدة بما يعنيه هذا من اعتبار ذاتها منظمات " مؤقتة " الى ان تقوم الحركه العربية الواحدة، ليستقر في وجدان الشعب العربي ان كل تنظيم له في ظل التجزئة وحدودها هو تنظيم " ضرورة" مؤقتة لا بد له من ان ينتهي عندما يستطيع الشعب العربي ان يطوع ظروفه لقيام تنظيمه القومي .

هذا يعجب كل قومي تقدمي ويسعده لولا فتح العضوية لكل " مواطن عربي " خارج ج .ع . ل . ان كل النوايا الطيبة التي املت هذا النص لن تغير شيئا في عدم جدواه . ان فتح عضوية الاتحاد الاشتراكي العربي في ج .ع . ل . لا يعني شيئا اذا لم يكن من اثاره الفورية المباشرة كسب

الجنسية الليبية . وهذا يقتضي تغييرا شاملا وجذريا في التكوين الدستوري والقانوني لدولة ليبيا يجعل الانتماء اليها مباحا لكل من يريد في الوطن العربي . بكل ما يعنيه هذا من حرية الدخول والخروج والاقامة والعمل وتولي المناصب والالتحاق بالقوات المسلحة والوصول الى الحكم نفسه. الا فان طلب عضوية الاتحاد الاشتراكي لن يكون الا وسيلة لزيارة ليبيا والاقامة فيها على حسابها ولو في فترات انعقاد المؤتمر القومي وهي غاية لا تغري الا الانتهازيين . ثم ان هذا النص يلقي ضبابا كثيفا من اوهام التحول الى تنظيم قومي فيلغي اهم مميزات الاتحاد الاشتراكي العربي عندما يطرحه بديلا محتملا للتنظيم القومي .

ثانيا : النص على ان غاية التنظيم ارساء دعائم " نهائية " لمجتمع ديموقراطي نص غير قابل للفهم. فعندما نسلم بان التطور الاجتماعي في حركة مستمرة سواء كانت بطيئة او سريعة ، وبالتالي فان كل شيء متغير ولا يوجد شيء ثابت يكون من العسير فهم دلالة " نهائية " الدعائم لمجتمع ديموقراطي . انها مصادرة مسبقة على المستقبل وقيد في بداية التجربة على تصحيح ما تسفر عنه الممارسة من أخطاء واضفاء " قدسية " غريبة على الظواهر الاجتماعية تحول دون المساس بها فتجمدها بحجة انها دعائم " نهائية ". وهي قدسية ستصيب بالاحباط واليأس كل الذين قد يرون في المستقبل البعيد او القريب ، وعلى ضوء الممارسة، ان في دعائم الديموقراطية التي ظنوا انها نهائية ما يستحق التغيير . النهائي هو الدائم ولا دائم الا وجه الله .

ثالثا: النص على ان تكون الغالبية الساحقة في عضوية لجان المؤتمرات الشعبية والمؤتمر القومي من الكادحين نص خطير. يرشحه ابوذر ليكون جرثومة الفشل التي ستصيب جسد التنظيم . لا لأن ابا ذر ضد الكادحين ولكن لان لكل فرد ولابي ذر ايضا مفهومه الخاص عن هاتين الكلمتين الغامضتين اللتين قدت حروفهما من " المطاط ".. كلمة " الاغلبية الساحقة " وكلمة " الكادحين ". كل منهما شرط للترشيح والاختيار لعضويه اللجان القيادية . فما هي الاغلبية الساحقة لتكون حدا للترشيح والاختيار؟.. يقول التقديم المصاحب للوثيقة : الاغلبية المطلقة هي ٥١٪ اما الاغلبية الساحقة فهي تفوق ٦٠ و ٧٠ و ٨٠ و ٩٠٪ ويمكن أن تكون الاغلبية الساحقة ٩٩٪ ويقول ابوذر لكاتب التقديم : صدقني فالحق اقول . ما اثار الخلف واجج الصراع وفتك بالصفوف الا الالتقاء ابتداء على كلمات يخضع تحديدها للاهواء . طبقا لرأيك تكون الاغلبية الساحقة فوق ٦٠٪ اما الاغلبية المطلقة فهي ٥١٪. فما حكم التسعة في المائة التي تمثل الفرق بينهما؟.. ومن الذي سيحكم- في الممارسة- عما اذا كانت النسبة قد وصلت حد " السحق " ام لم تصل . ان واحدا في المائة، واحدا فقط ، سيكون معناه - في الممارسة- ان اخا يصعد الى اللجنة القيادية او

اخا يحرم من الصعود فهل تحسب ان الذين يرشحون انفسهم للقيادة ويكون مصيرهم معلقا على اختيار رقم تتحقق به النسبة الساحقة سيقبلون الرقم الذي تختاره انت ما بين ٥١ ٪ و ٩٩٪ ؟ ابدا.

ثم نأتي الى كلمة " الكادحين ".. من هم؟ وبأي مقياس يفرزون؟.. هل سيكون على كل اخ يريد ان يرشح نفسه للقيادة ان يحصل على " شهادة ادارية " بانه من الكادحين؟ واذا كان الكدح من الجهد المبذول المتعب فهل سيقبل اي واحد ان يقال له انك لا تبذل جهدا ولا تتعب في حياتك فانت غير كادح؟.. صدقني مرة اخرى فالحق اقول . سينتهي الامر بالممارسة الى " حل سلمي " يرتضيه كل مؤتمر شعبي هو اعتبار الشعب في ج . ع . ل . كله شعبا من الكادحين وبالتالي اسقاط هذه الشروط، ويتلوه ان تكون نسبة " الكادحين " في كل لجنة ١٠٠٪ والا فابحث عن مقياس اخر غير الكلمات التي ان تحددت مزقت الناس وان توحد الناس سقطت هي .

هذا يكفي تعليقا على الوثيقة لان العبرة بما وراء الوثيقة من افكار جاءت في التقديم المنشور معها في العدد الرابع من الشورى .

التقديم :

(١) يقول التقديم : " استهدف تعديل النظام الاساسي تاكيد الحق السياسي لكل مواطن وضرورة مشاركته الفعالة داخل التنظيم السياسي عن طريق تقسيم الشعب الى مؤتمرات شعبية اساسية وفقا للمكان ويسجل كل المواطنين اسماءهم لعضوية المؤتمر الشعبي الاساسي لمنطقتهم بحيث نجد في النهاية ان الشعب كله اصبح عضوا في مؤتمرات شعبية اساسية وكل مؤتمر شعبي عليه ان يختار لجنته القيادية ومن مجموع اللجان يتكون المؤتمر القومي الذي هو مؤتمر الشعب وبهذه الطريقة تصل قيادات المؤتمرات الشعبية التي اختارتها الجماهير الى اعلى مستوى للسلطة في الجمهورية العربية الليبية وهي اداة الحكم . وبهذه التجربة تسهم ثورة الفاتح من سبتمبر في ايجاد حل عملي لقضية الديموقراطية واداة الحكم التي تعتبر مشكلة المشاكل في العالم الحديث والقديم ولم تحل بعد".

ان هذا التقديم متفائل الى حد المثالية. سنرى انه لم يحل مشكلة الديموقراطية بل زادها تعقيدا..

ان جوهر الفكرة التي تجسدت في النظام هي حق كل مواطن في ان يشارك في حكم دولته. وهذا نظام معروف منذ قرن طويلة . انه اول نظام للديموقراطية التي هي كتابة بالحروف العربية للكلمة اليونانية ومعناها حكم الشعب . وتعرف فى الفكر السياسي بالديموقراطية المباشرة . وقد طبقت في الدول الاغريقية القديمة كأثينا ولم تثر اية مشكلات لان تلك الدول كانت مدنا تجمع كل المواطنين في مكان واحد من ناحية، ومن ناحية ثانية لان المواطنية لم تكن حقا عاما في مدن الاغريق بل كانت مقصورة على " الاحرار " من سكانها ولم يكن كل الاحرار ذوي مواطنة كاملة . افراد الاسرة من النساء والاولاد كانوا معتبرين ملكا لرب الاسرة . وهكذا انحصر حق الممارسة الديموقراطية في اقلية من سكان كل مدينة تسهل دعوتهم الى الاجتماع في مكان محدد منها فيسعهم ويتسع لحوارهم حوارا مباشرا حول شئون دولتهم " المدينة" ولم يكن هذا النظام يستوجب او يستلزم " الانابة " اي ان يمثل واحد من المواطنين عددا منهم ، ويحضر ويناقش ويقرر بالنيابة عنهم . فلما ان اتسعت الدول واصبح مستحيلا - عمليا- جمع كل المواطنين في مكان واحد، دخل التمثيل النيابي في الممارسة الديموقراطية . فلم يعد كل المواطنين يشاركون في حكم دولتهم بانفسهم بل يختارون من ينوب عنهم في تلك المشاركة . عندئذ انقسم الشعب افقيا الى شريحتين : شريحة تضم اغلبية المواطنين لا تشارك في اتخاذ القرارات الخاصة بالحكم وانما يقتصر دورها على اختيار الذين يحكمون فعلا . ثم شريحة تمثل الاقلية هي التي تحكم فعلا بعد ان يكون قد تم اختيارها. من هنا نشأت اولى مشكلات الممارسة الديموقراطية وهى مدى صدق التطابق بين ارادة الشريحة التي تحكم وارادة الشعب الذي اختارها.. ولم يزعم احد ابدا ان مجرد ان الحاكمين قد اختارهم الشعب يعني ان ارادتهم مطابقة او تطابق ما يريده الشعب ... وبالتالي لم يزعم احد ابدا ان الشعب، اعني كل المواطنين، يشاركون في حكم دولتهم فعلا في ظل التمثيل النيابي فاتجه الرأي في مراحل لاحقة الى فرض قيود ثابتة نسبيا على ارادة ممثلي الشعب لتلزمهم ماديا ومعنويا بالتعبير عن ارادة الشعب . ومن تلك القيود تقسيم الحاكمين الى سلطات ثلاث. احداهما تضع القوانين ولا تنفذها (السلطة التشريعية) والثانية تنفذها وتسأل عنها (السلطة التنفيذية) والثالثة تحكم فيما اذا كان التنفيذ صحيحا ام غير صحيح (السلطة القضائية) لتكون كل سلطة رقيبة على الاخرى على افتراض ان القوانين التي تضعها السلطة التشريعية ستكون مطابقة لارادة الشعب . واقتصر التمثيل النيابي على اختيار الذين يضعون القوانين . ولكن المشكلة لم تحل . لان مجرد ان اعضاء السلطة التشريعية منتخبون من الشعب ويمثلونه لا يعني ان ارادتهم التي ستصبح قوانين ملزمة للشعب نفسه ستكون مطابقة لما يريده الشعب . فاضيف قيد جديد. ان يكون انتخاب الممثلين دورياً حتى يستشعركل ممثل لجزء من

الشعب انه في حاجة الى رضاء من انتخبوه اذا اراد ان يعاد انتخابه. وهو نوع من الاكراه المعنوي الذي لا يجدي كثيرا. ومع ذلك فحتى لو كان مجديا فان المشكلة لم تحل . لانه مع الاعتراف بالمساواة بين المواطنين يستبعد من الممارسة الديموقراطية غير البالغين من الرجال والنساء كما يستبعد المحجور عليهم والمرضى عقليا والمسجونون والذين لم يرد اليهم اعتبارهم بعد ادانتهم في قضايا مخلة بالشرف ومن لا يريدون او لا يقدرون على المساهمة الديموقراطية . فنرى الناخبين في كل مجتمع اقلية. يختارون بين المتنافسين على تمثيلهم ويفوز من ترضى عنه الاغلبية المطلقة (٥١٪) فيجتمع الممثلون في مجالسهم التشريعية وتصبح الجلسات صحيحة اذا حضرتها الاغلبية المطلقة من الاعضاء (٥١٪) ويتناقشون فإذا اختلفوا نفذت ارادة الاغلبية المطلقة من الحاضرين (٥١٪) فإصبحت قانوناً . وهكذا نرى أن الذين يحكمون فعلاً – ديموقراطياً – هم أقلية اقلية الاقلية .. بالرغم من كل النصوص الدستورية والتنظيمية التي تقرر حق الممارسة الديموقراطية لكل المواطنين مادام المواطنون لا يستطيعون مادياً أن يجتمعوا في مكان واحد ليمارسوا الديموقراطية ممارسة مباشرة .

انها مشكلة لم يحلها نظام الاتحاد الاشتراكي العربي في ج . ع . ل . لانه- وهذا واقعي- قد اخذ بالتمثيل النيابي، وبالتالي فان احدا لا يمكن ان يزعم ان ارادة المؤتمر القومي مثلاً ستكون مطابقة لارادة الشعب لمجرد ان المؤتمرات الشعبية الاساسية هي التي اختارت اعضاءه بمجرد الاختيار تنفصل الارادات.. هذا لا شك فيه.

وسنرى فيما بعد كيف يمكن ان تحل هذه المشكلة..

(٢) يقول التقديم ان تعديل النظام استهدف " تأكيد الحق السياسي لكل المواطنين " وهذا صحيح لأن عضويته مفتوحة لكل مواطن . ولكنه يضيف " وضرورة مشاركته الفعالة داخل التنظيم السياسي ". وهذا يتفق فعلا مع باقى النصوص التي تنص على ان كل مواطن يسجل اسمه لعضوية المؤتمر الشعبي الاساسي لمنطقته. ولكن كل هذه افتراضات قد لا تتحقق . فليس ثمة اي ضمان بان كل المواطنين يرغبون في عضوية الاتحاد الاشتراكي او انهم سيسجلون اسماءهم لعضوية المؤتمرات الشعبية. فاذا لم يرغب بعض المواطنين - قلوا او كثروا- في التسجيل او لم يسجلوا بالرغم من رغبتهم لسبب او لآخر يسقط فرض اننا " نجد في النهاية ان الشعب كله اصبح عضوا في مؤتمرات شعبية اساسية " .. فاذا الزمت الدولة كل مواطن بان يكون عضوا بالاكراه- فرض غرامة مثلا- فيسجل اسمه ولا يمارس . وجوهر النظام الاساسي كله

لا يتفق مع الفكرة المثالية التي يستهدفها: رد امر ادارة الدولة الى الشعب كله. اذ لا يتفق مع هذا المنطلق الفكري ان يوضع للشعب نظام للممارسة لم يختره هو. ان كان يمكن لكل افراد اي شعب ان يتفقوا على اسلوب واحد للممارسة الديموقراطية. اين هذه الفكرة مما لو اختار الشعب نظاما غير الاتحاد الاشتراكي العربي؟ واين هي مما لو اختار الشعب تنظيما داخليا غير التنظيم الذي تضمنته المادة الثانية؟.. واين هي مما لو اختار الشعب غايات غير الغايات التي تضمنتها المادة الثالثة... الى آخره.

(٣) ما فات يتصل بالشكل واهم منه ما يتصل بالمضمون . لقد عددت المادة الثالثة خمس عشرة غاية سياسية واقتصادية واجتماعية وخلقية من بينها اقامة الاشتراكية . وافترضت ان كل مواطن في ج . ع . ل . يؤمن بتلك الغايات ويريدها وبالتالي الزمته ان يكون عضوا في الاتحاد الاشتراكي العربي للعمل على تحقيقها. فمن اين جاء هذا الافتراض؟ ان التنظيم كان امام خيار بين امرين لا يستطيع ان يجمع بينهما . فاما ان يرد امر اختيار الغايات الى الشعب ليختار ما يريد وبالتالي يخلو من بيان لتلك الغايات او ان يترك عضويته اختيارية لمن يريد ان يلتزم بتحقيق تلك الغايات . اما الزام الناس جميعا في أي مجتمع، غايات واحدة فانه يتجاهل اختلاف الناس في المصالح وفي الوعي وفي المقدرة . والناس مختلفون مصالح ووعيا ومقدرة سواء اعجبنا كل هذا ام لم يعجبنا . هل يمكن مثلا الزعم بأن كل مواطن من الشعب العربي في ليبيا يريد الاشتراكية او حتى يعرف ما هي الاشتراكية ؟ .. لو صح هذا فان الشعب العربي في ليبيا يعيش مرحلة من التقدم الفكري والاقتصادي لن تبلغها باقي المجتمعات الانسانية الا بعد قرون طويلة. وهذا غير واقعي . او لو صح ان الرأسماليين في ج . ع . ل . ملائكة يكتفون بالتنازل عن مصالحهم من اجل الاشتراكية بل يزيدون فيناضلون في الاتحاد الاشتراكي العربي من اجل الخير الاشتراكي .. وما ينطبق على الاشتراكية ينطبق على الوحدة .

هذا يكفي ايضا للتعليق على تقديم الوثيقة...

فكيف تحل مشكلة الديموقراطية.

لنسلم جدلا بما اقتبسه التقديم من اقوال الاخ العقيد معمر القذافي حين قال : " العالم الان اما ان يحكمه حزب او فرد او حاشية ملكية او طبقية او طبقة او طليعة او جماعة او صفوة ما هي الا ادوات ديكتاتورية التي لا زال العالم يعاني منها التي تمثل اداة الحكم في العالم الآن كله الا

في ج.ع. ل . نريد ان نقيم هذه التجربة باذن الله وهو حل مشكلة الديموقراطية نهائيا في العالم ونحن نريد ان نطبقه على انفسنا اولا ، نخلق اداة سياسية لحكم المجتمع من المجتمع ذاته ".

اقول : لنسلم بان حلها الصحيح الكامل لمشكلة الديموقراطية هي ان يحكم الشعب نفسه بنفسه فلا يحكمه حزب او فرد او حاشية ملكية او طبقة او طليعة او جماعة او صفوة.. ان هذا الحل الصحيح لا يتحقق لمجرد انه الحل الصحيح . وانما يكون قابلا للتحقق عندما تتوافر للمجتمع الامكانات الموضوعية والذاتية لتحقيقه.. من الامكانات الموضوعية تحرر كل فرد تحررا نهائيا من التبعية الاقتصادية لأي فرد حتى لا يستطيع اي فرد ان يستغل تلك التبعية في التأثير في ارادة تابعه وحمله على اخفاء ما يريد حقا والتعبيرعما يريد المتبوع او الخوف من ان يقول " لا " لاي انسان أو الاغراء بأن يقول " نعم " لاي انسان . وهذا لن يتحقق موضوعيا الا في ظل مرحلة متقدمة من النظام الاقتصادي يعمل فيه كل قادر على العمل الا العاجزين ويكون العمل هو المصدر الوحيد للدخل الفردي ثم يكفل المجتمع العاجزين على وجه الاستقرار . ومن الامكانات الذاتية وصول كل فرد في المجتمع الى درجة من العلم والثقافة والمعرفة تمكنه من معرفة حقوقه والتمسك بها والدفاع عنها وبالتالي فرض ارادته دائما وفي كل وقت على ممثليه الذين اختارهم للتعبير عما يريد.

بدون هذه الامكانات، ومهما كانت النصوص الدستورية والقانونية عامرة بحقوق الشعب والمساواة بين كل افراده والاشادة بالديموقراطية وادانة الديكتاتورية ، سيعبر كثيرون من ابناء الشعب، لا عما يريدون هم ، ولكن عما يرضى الذين يستمدون منهم ارزاقهم او ضمانات استمرارها. وفي المؤتمرات الشعبية- كما ستثبت الممارسة- سيفوز بعضوية اللجان القيادية الاكثر مالا او جاها او اكبر منصبا خاصة في المدن . وبدون هذه الامكانات سيعبر كل واحد من الذين لا يقبلون التبعية عن ارادته كما كونتها درجة تعليمه وثقافته ومعرفته وقد يكون هذا كله مؤديا الى غاية مستحيلة التحقق موضوعيا او غاية ليست في مصلحته اجتماعيا. وفي المؤتمرات الشعبية - كما ستثبت الممارسة- سيفوز بعضوية اللجان القيادية في الصحارى والقرى اكثر الناس مقدرة على خداع البسطاء من ابناء شعبنا العربي .

نقول هذا لأن شعبنا العربي في ليبيا ليس بدعة بين شعوب العالم الثالث او حتى العالمين الاول والثاني فان المشكلة ما تزال قائمة على مستوى العالم كله.

ما الحل اذن؟

توفير تلك الامكانات. وهذا يعني ان الحل الامثل لمشكلة الديموقراطية الذي استهدفه تقديم الوثيقة ليس قابلا للتحقق فورا ولكنه هدف بعيد يجب العمل على تحقيقه. اعني ان الديموقراطية التي تسمح للشعب فعلا بان يحكم نفسه فعلا هي غاية يجب النضال من اجل تحقيقها. غاية استراتيجية كما يقولون. وهنا يكمن الخطأ الاساسي في الطرح الديموقراطي الذي نشرته الشورى . انه الغاء مراحل التطور وزمانه والقفز مباشرة الى الهدف الاستراتيجي وتقديمه كغاية حالة لمجرد انها غاية سليمة وهذه مثالية .

ويختلف الامر كله عندما نبدأ بالواقع المتخلف ديموقراطيا، اي الذي لا تتوافر له الامكانيات الموضوعية والذاتية للممارسة الديموقراطية الصحيحة ثم تطوره بحيث تتحقق تلك الامكانات فتصبح الديموقراطية الصحيحة ممكنة التحقق وتتحقق . الشعب هو الذي سيحققها حينئذ. كيف يتم كل ذلك ؟.. بالتحول الاشتراكي بأكبر معدل من السرعة لتوفير الامكانات الموضوعية. الغاء التبعية الاقتصادية للانسان وما تتيحه من قهر اقتصادي . ثم بالتعليم والتثقيف والتوعية والتدريب المستمر على ممارسة الديموقراطية. وكل هذه لا تتحقق تلقائيا من ناحية ولا يحققها الشعب كله من ناحية اخرى بل تحققها طليعة اشتراكية ديموقراطية . ان الطليعة المنظمة المناضلة ضد القهر الاقتصادي والتخلف العلمي والثقافي التي تعيش مع الشعب وتوعيه " بالمشكلة الديموقراطية" وتقوده ضد كل انواع "الديكتاتورية " وتحكم لتسخر امكانات الدولة لتوفير الامكانات الموضوعية والذاتية لقيام الديموقراطية الشعبية هي وحدها التي يمكن ان تطور الواقع المتخلف الذي يسمح بالتسلط الديكتاتوري الى التقدم الاقتصادي والاجتماعي الذي يمكن الشعب من حكم نفسه بنفسه.

ولست افهم كيف تدان الاحزاب كافة كأن الاحزاب موحدة الغاية فتستوي الاحزاب الفاشستية مع الاحزاب الديموقراطية وتستوي الاحزاب الرأسمالية مع الاحزاب الاشتراكية وكيف يمكن ان ينسب الى حزب اشتراكي ديموقراطي بانه اداة للدكتاتورية ، الا اذا كان مجرد تولي السلطة ديكتاتورية بصرف النظر عمن يتولاها ؟ ..

هل اطلت؟ ...

نعم فالموضوع مغر، ثم احسب ان هذا آخر لقاء بين قراء الشورى وبيني فأردت أن أقدم للجيل العربي الجديد رأيا في واحدة من اعتى المشكلات التي سيواجهونها عندما يضعون اقدامهم على الطريق الصحيح الى دولة الوحدة الاشتراكية الديموقراطية.

وخلاصة رأيي اننا لكي ننجح يجب ان نحتفظ باهدافنا ونناضل من اجلها الى ان تتحقق كاملة، وعلى مدى زمان نضالنا، لا ينبغي ان نحاول الا تحقيق الخطوة الممكنة في زمانها ومكانها طبقا لظروفها الموضوعية وظروفنا الذاتية...

حاشية

لم اشأ ان اعاتب الشورى على ان استبدلت بصفحة من "على السفود " المنشور في العدد الرابع صفحة من مقال " المعتزلة " الذي كتبه الاستاذ محمد عمارة ، صفحة ٦٩ التي جاءت في سياق مقاله ليست له بل لي . وصفحة ٩٦ التي جاءت في سياق تعليقي ليست لي بل له . وماذا يجدي العتب؟.

القاهرة في ٢٧ يوليو ١٩٧٥

١٥

نقطة على حروف الثورة :

١٩٤٧.. دق على الباب،

- علي . ولد يا علي . اصح .
- ابي . ما يزال الليل ليلا.
- اي ليل ياكلب يا ابن الكلب. قلت لك اصح . قم من جوارها لتدرك السوق . امامك مشوار طويل . لا بد من ان تأخذ اول "معدية". قم يا ولد.
- طيب. طيب. دعني لحظة فقط .
- قم يا ولد. انا عارف. لا فائدة فيك ولا في جيلك الخرع ما دمتم قد تعلمتم في آخر الزمان النوم في احضان النساء . اتركيه يا امراة .

وخرج علي الى ابيه. وعلي شاب كالرجال طولا وعرضا وبناء متينا. ثم انه قد زفت اليه زوجته منذ ثلاثة ايام .

- ابي حرام عليك . ما يزال الليل ليلا.

- نحن في الصبح يا اعمى .

فابتسم علي ابتسامة لم يرها والده الشيخ الضرير. وصحب اباه الى المسجد ليصلي عشرات من الركعات تعويضا لما فاته ايام الشباب قبل ان يصلي الفجر. وعاد به الى المنزل . طار النوم وعليه ان يدرك السوق . امس خاطت له عروسه عشرين جنيها داخل جيبه حتى لا يسرق منه ثمن البقرة. اولاد الحرام كتير في سوق المركز والبقرة هي الركن المكمل لبناء الاسرة . لا يكمل الزواج الا اذا دخلت مع العروس بقرة. وها هو نصف المهر يا علي و"النقطة " التي اهداها لك الناس يوم عرسك لتشتري بقرة فتصبح رجلا ورب بيت . وهذا ما كان والدك يستعجله . ان يراك رجلا رب بيت قبل ان تشرق شمس اليوم الرابع من زواجك . ولقد استعجل الحديث عن بقرتك امس فعرف الذين صاحبوه في صلاة العشاء ان عليا سيشتري غدا بقرة .

ارتجف علي . ان على الطريق من يدربصون به لا شك في هذا. كثر في هذه السنين الكفرة قطاع الطريق . ولكن الجوع اشد كفرا يا علي ، استعن بابن عمك احمد ليؤمن طريقك الى السوق . واحمد "خفير نظامي " يحمل بندقية حكومية ويهابه الناس فلا يسرقون الا بقدر ما يرشونه . ثم ان احمد لا يقضي الليل في احضان امرأته . ان ابنه امين يشغل موقعه منذ بضع سنين . ولو اراد ان يشغله لما استطاع الا احتيالا. ولقد علمه احمد قبل زواجه كيف يحتال في الوصول الى زوجه عبر اجسام البنات والارامل اللاتي يملأن صحن الدار ، ثماني نسوة ورجلان وشيخ ضرير وغلام اعجف ممروض كالابله هو امين . تلك هي الاسرة التي اضيفت اليها بالامس عروس وتضاف اليها اليوم بقرة .

لا حول ولا قوة الا بالله .

خرب البيت .

قال قائل : كان الجدعان يعبران القنطرة فوق الترعة الصغيرة عندما انطلقت الاعيرة النارية. سقطا في مياه الترعة. سقط علي بثروته وسقط احمد وبندقيته . وعندما تجمع اهل القرية وانتشلوا الجثتين كان علي واحمد ينقصان الحياة والثروة والبندقية. يكفر الجوعى حتى

بحرمة الموتى فيسرقون الجثث . نسوة القرية كلهن يولولن في منازلهن فتجتمع اصواتهن في صدى واحد يرده الى القرية الجبل الذي تقوم على سفوحه . اما النسوة اللواتي تغرفن من الطين وتضعن على رؤوسهن ثم تدرن في حلقة تنشدن اغاني تقطر حزنا على ايقاع ضرب خدودهن فمنهن قريبات علي واحمد . عروس علي غير مدربة. انها تقع كثيرا قبل ان تتم الدورة . غدا ستدربها المآسي ولن يكون علي آخر قتيل تندبه. وفي ظلال اشجار السنط يجلس الرجال صامتين وقد دفنوا رؤوسهم بين ارجلهم . ولا تسمع الا همسا .

لا حول ولا قوة الا بالله .

خرب البيت.

اما الشيخ الضرير فقد شل حين بلغه النبأ ولم يلبث ان مات. وتزوجت من النساء من تزوجت. والتحقت الصغيرات بخدمة موظفي الحكومة وانتقلن معهم الى حيث لا يعرف احد كما فعلت من قبل مئات الفتيات. وغادر امين القرية الى حيث لا يعرف احد كما فعل من قبل مئات من الغلمان. من حين الى حين تتردد الشائعات ان بنت فلان اصبحت داعرا . ان ابن فلان اصبح مجرما . لا احد يهتم فقد كان الموت جوعا او غدرا هو البديل على اي حال .

وفي ذات اصيل ،

كان جالسا على مقعده المريح يتأمل البحر ويراقب الشمس وهي تكاد تغيب عنه. ويتذكر. اين الامس من اليوم ، انقضت سنون طويلة منذ ان كان ورفاقه يتسابقون عرايا كما ولدتهم امهاتهم في الانزلاق على مجاري الطين يصطنعونها على سفح الترعة. انه الآن يتأمل البحر على شاطىء قصر المنتزه.

ا لمنتزه؟!!

نعم المنتزه يا ابن القرية. يا صبار الطين . يا برص الجبل الاجرد . في المنتزه حيث كان يعيش فاروق الملك واهله يا ابن الفلاحين . يا لها من دورة رائعة . لم تذق في العشرين سنة الاولى من حياتك ماء صافيا غير مخلوط بالطين والجراثيم . وكان اهلك يعرفون اوصاف البحر من حجاج القرى الاخرى . ولكنك الان مزروع في حدائق قصر المنتزه منذ الصباح الباكر كأنك ورثته عن اهلك .. ترى من الذي ورثك اياه؟

حينما يغيب الضوء تحتضن الظلمة احلام الغرور .

من رحلة الحمار على الطريق المترب الى ملاهي قصر المنتزه طريق طويل . قطعته بعقلك. بسهرك. بجدك. باجتهادك. تعلمت فتفوقت فتخرجت فاصبحت من رواد المنتزه. لم يورثك احد شيئا. كسبت كل شيء فلا فضل لأحد عليك .

ويحجب ما بقي من اشعة الشمس عملاق من البشر يلبس ملابس العوم . تدس فتاة رشيقة يدها تحت ابطه. انه لا يراهما الا كجسمين عابرين على صفحة ارجوانية.. ولكن الشاب يراه.. يتوقف.. يلتفت.. يترك فتاته.. يجثو على ركبتيه ليحتضن الكهل الجالس ويقبله قبلات حاره .

- من؟
- امين..
- امين من؟
- الا تعرفني؟

عرفه الان واحتضنه ونهض من مقعده فصافح زوجته ... اصبح كل شيء واضحا بالرغم من غياب الشمس .

فهناك بعيدا عن القرية، جنوب القاهرة، انشئت قرية اخرى اسمها "عزبة الصعايدة " فيها اكثر من الفي شاب وفتاة يلبسون ملابس الافندية ويقرأون الصحف ويتجادلون في السياسة ولا يسرقون ولا يقتلون بل ينتجون خلقا معدنيا في مصانع حلوان . ثم تحملهم سيارات فارهة دفعات دفعات كل صيف الى شواطىء الاسكندرية. وتنثرهم كالجواهر على شواطىء قصر المنتزه وبينهم امين .

يا احلام الغرور ..!!

كيف ورث امين بعد خراب بيتهم موقعا في قصر فاروق؟.

حوار وعتاب:

قال ابو ذر لمحدثه : ما بالك تلقى سؤالك ثائرا كأنك تريد القتال وقد كنت تحكي هادئا قصة كأحلام الحالمين . قال : لانها كانت حلما واصبحت علما وانا مغيظ . قلت : وهل يغيظك ان يقفز ابناء الفلاحين من الظلمة الى النور. من المذلة الى الكبرياء. من الجهل الى العلم . من القرى الى المدن. من الاختلاس الى الانتاج . من المزارع الى المصانع . من ملاعب الطين الى ملاهي المنتزه . ما هكذا عرفتك . قال : بل يغيظني الذين ينتهكون قيمة التقدم الانساني فيحولونه الى كلمات فارغة . قلت: مثل ؟ قال : مثل ذلك " الكلمنجي " الذي اسمه الدكتور فؤاد زكريا .. ثم انفعل انفعالا لا يتفق مع كهولته. وقال : هل تعرف يا سيد ابو ذر ماذا اتمنى الان؟ قلت : قل.. قال : وقد اعتدل وتوثب- اتمنى ان اوصد على الدكتور فؤاد زكريا ابواب دار الكتب ثم اقول له : اذا صح ما كتبته من ان عبد الناصر قد سحق روح الانسان المصري ، فهناك كل كلمات الارض بكل اللغات ، اقرأها او كلها او اهضمها ، ولكنك لن تخرج من هنا الا اذا اجبت على هذا السؤال : كيف ورث امين بعد خراب بيتهم موقعا في قصر فاروق ؟ قلت اعزيه . هون عليك . فها هو العدد الخامس من مجلة "الشورى " فيه مقال يرد به الصديق محمد عودة على ما قال فؤاد زكريا. ولا شك في انه سبقك الى السؤال والجواب فدعنا نقرأ ما كتب ليكون لك فيما كتب عزاء يهدىء من روعك فلا تفسد علينا جلستنا..

وقرأنا معا صفحات وصفحات تحت عنوان " ناصريون وماركسيون " .. حتى اذا انتهينا ابتسم صاحبي شامتا وانصرفت انا غاضبا لاكتب هذا التعليق العاتب في سياق ظروفه من قصة وحوار.

جوهر القضية:

بعد، تجريد كل ما كتبه الدكتور فواد زكريا من عناصر الاحتيال اللفظي وضباب الكلمات الكبيرة نجد انه طرح قضية ذات وجهين : الوجه الاول : ادانة ثورة ٢٣ يوليو بالبطش الذي سحق روح الانسان المصري . الوجه الثاني : فشل ثورة ٢٣ يوليو في تحقيق تقدم للانسان المصري . هذه القضية بصيغتها هذه لا تمكن مناقشتها او معرفة ما فيها من صدق او كذب . حيث يعني الصدق التعبير عن الواقع وحيث الكذب مخالفة الواقع . ذلك لان هذا الذي سماه فؤاد زكريا "الانسان المصري " لا وجود له في مصر. انه كلمة، " مجرد كلمة "، وهي كلمة فارغة ايضا. فلو

سحبنا الدكتور فؤاد زكريا من يده ، بدلا من لسانه، والقيناه في زحمة الناس في شوارع القاهرة او في مزارع الوادي وقلنا له : هيا، يا دكتور، دلنا على " الانسان المصري " الذي تحدثت عنه وقلت انه ضحية الثورة ، فأشار الى اي مصري ، لما وجدناه انسانا مصريا مجردا . لما وجدناه كلمة . سنجده طفلاً او امرأة او رجلا . سنجده صحيحا او مريضا ، سنجده فقيرا او غنيا . سنجده جاهلا او متعلما. سنجده مستغلا او ضحية للاستغلال . سنجده قاهرا او مقهورا . سنجده وطنيا او عميلاً .. وهكذا . وعندئذ يكون متعينا على الدكتور فؤاد زكريا ان يخرج من مخبئه اللفظي وراء الكلمات الكبيرة ليحدد لنا على وجه التعيين من هم ، من كل هؤلاء الناس ، الذين بطشت بهم الثورة وسحقت روحهم . ولن يثور حينئذ أي نقاش . فقد بطشت الثورة وسحقت واستولت على اموال بعض الناس وخربت بيوتهم وشردتهم وطردتهم وسجنتهم.. الخ . هذا لاشك فيه. وسنبصم باصابعنا جميعا على قائمة الذين بطشت بهم الثورة بدون رحمة . لا لاننا نسلم بالاعداد التي سيذكرها فؤاد زكريا في قائمته ولكن لنحمله رغم انفه على ان يدفن كلمته الكبيرة الفارغة، " الانسان المصري " ويأخذ موقفا محددا مع او ضد من يريد من الناس في مصر . ويكون عليه حينئذ ان يجيب على السؤال الاساسي : لماذا بطشت الثورة بهؤلاء على وجه التحديد؟ أي يكون عليه ان يواجه – رغم انفه- جوهر القضية التي يتحدث عنها . لينتقل الهجوم او الدفاع من ساحات الكلمات الكبيرة الفارغة الى واقع الحياة بمفرداته العينية. ولنعرف على الاقل الاجابة على سؤال صاحبنا القصصي : كيف ورث امين بعد خراب بيتهم موقعا في قصر فاروق ؟

هل كان ممكنا ان يكون قصر المنتزه لفاروق وامين كليهما.. مستحيل . لان فاروق ما كان يقبل في قصره امثال امين . لكي يدخل امين ابن الفلاحين كان لا بد- اذن- ان يخرج فاروق ابن الملوك . هذه هي القضية . بطشت الثورة ؟؟.. نعم . ولكن السؤال هو : بمن بطشت ولمن بطشت ؟ الجواب هنا لا تكفي فيه الكلمات . الارقام اكثر دقة. ارقام البشر اولا لنعرف هل بطشت بالاقلية لمصلحة الاغلبية ام العكس . ارقام ساعات العمل لنعرف هل بطشت بالبطالة من اجل العمل ام العكس. ارقام الدخل الفردي لنعرف هل بطشت بالمترفين من اجل الجوعى ام العكس . ارقام الدخل القومي لنعرف هل بطشت بالمستغلين من اجل المنتجين ام العكس . ارقام ضحايا معارك التحرر لنعرف هل بطشت بالخونة من اجل الوطنيين ام العكس .. وهكذا . ان الرد الحاسم على فؤاد زكريا لا يمكن ان يكون قائما الا على جداول احصائية تمثل بارقام يقينية الدلالة الواقع الذي يتحدث عنه بكلمات مبهمة، هذه الارقام هي التي ستبين بوضوح لا تجدى فيه المغالطة من هو " الانسان المصري " الذي انتصرت له ثورة ٢٣ يوليو ومن هو "الانسان المصري "

الذي يدافع عنه فؤاد زكريا. وسيبين بيانا ساطعا انهما انسانان مختلفان متناقضان متعاديان . احدهما " انسان فؤاد زكريا" ، الليبرالي المنافق ، الاقطاعي الرأسمالي المستغل ، العميل ، الذي ما كان قادرا ان يعيش وما كان يريد ان يعيش الا سلبا لعناصر حياة " انسان عبد الناصر " الفلاح ، العامل، الامي، المريض ، الفقير ، المقهور، الذي قامت الثورة من اجل تحريره . تحريره ممن؟.. ليس من "انسان مصري " اخر مجرد . ليس من كلمة يكتبها المثقفون . بل تحريره من اعدائه الذين قهروه المعنيين بالاسم وبملكية ادوات القهر واستعمالها . وان تلك لمشكلة واقعية كان يعرفها بكل اطرافها. ان اغلب الذين سجنتهم قيادة الثورة او طردتهم او عزلتهم او استولت على ما كانوا يملكون، يعرفون معرفة اليقين، كما يعرف فؤاد زكريا بيقين انهم كانوا ضحايا عجزهم عن سجن قيادة الثورة او طردها او عزلها او الاستيلاء على مصر كلها لتكون لهم ملكية خاصة " ولقد صارعتهم الثورة وصارعوها. واعد كل طرف ما استطاع من قوة . وفي الصراع قد تبلغ القسوة حدا يتجاوز ما يلزم . ويحدث هذا من الطرفين او الاطراف المتصارعة. ولكن هذا التجاوز لن يكون- ابدا- دليلا على عدم شرعية الصراع ذاته .

فما الذي يشكو منه فؤاد زكريا وامثاله ؟

ضراوة الصراع الاجتماعي؟..

اذن : من المسؤول عن ضراوته ؟.. المستغلون ام ضحايا الاستغلال .. القاهرون ام المقهورون؟ الذين يملكون كل شيء ام الذين لايملكون شيئا؟.. الوطنيون ام العملاء والخونة ؟ يا لنفاق المثقفين وفراغ كلماتهم الكبيرة. يستنكرون الاعدام حكما ولا يستنكرون الموت جوعا . يبكون من اجل فراغ الصحافة من الكلمات ولا يهمهم فراغ الصحاف من المأكولات . ينكرون منع رحلات المتعة الى اوروبا ولا ينكرون شقاء عمال التراحيل في سبيل لقمة العيش الاسود . ويحولون الحياة نفسها الى كلمات فارغة.

ويحسب ابوذر، الذي عاصر المرحلة، ان لو ترجمت الكلمات الكبيرة الى وقائعها العينية لانتهت الى خطأ اساسي وقعت فيه الثورة . وهو خطأ له اسباب تاريخية . ان ثورة ٢٣ يوليو لم تكن حاسمة، لا على المستوى العقائدي ولا على المستوى التطبيقي، في موقفها من " اعداء الشعب ". فلم يكن بطشها بهم حاسما ونهائيا . وآية هذا انه ما ان غاب قائد الثورة حتى حضر اعداؤها اكثر مالا ومقدرة وضراوة كأن لم يبطش بهم من قبل . وادى عدم الحسم الى التجاوز .. فمن ناحية

تجاوز البطش اعداء الشعب فأصاب من لا يستحقه . ومن ناحية اخرى قصر عنهم فافلت منه كثير يستحقونه.

اما شرعية البطش الثوري باعداء التقدم فلا ينكرها الا المنافقون .

اما انت، ايها الصديق ، مححد عودة، فاليك من ابي ذر عتابا مرا . فلست ادري كيف فقدت وعيك وانت صاحب " الوعي المفقود " . كيف تقبل استدراج فؤاد زكريا فتخوض معه معركة الكلمات وتحول قضية " الانسان المصري " الذي ثار من اجله جمال عبد الناصر الى قضية تلك الشريحة الغريبة من المثقفين التي تأكل كلاما وتريد ان تطعم الناس كلاما فتستنفد طاقتك وصفحات الشورى في الحديث عن العلاقة اتفاقا او اختلافا بين الناصرية والماركسية؟.. انك – كما اعرفك- لست مترفا في حياتك فكيف انت مترف في كلامك . ان الاختلاف او الاتفاق بين ما تسميه ناصرية وما تسميه ماركسية، على المستوى المجرد الذي طرحته، لا يهم احدا الا انت وفؤاد زكريا وبضعة الاف من مثقفي مصر . اما الذي يهم الناس في مصر العربية- يا اخ محمد – فهو ما انجزته الثورة ومصيره: الاصلاح الزراعي . التصنيع . القطاع العام . التخطيط الاقتصادي . المدارس . الجامعات. المستشفيات. الوحدات الصحية في القرى بالاضافة الى معركة الوطن من اجل التحرير . من هذه المنجزات العينية كان عليك ان تغترف ما ترد به على فؤاد زكريا .. لأن فؤاد زكريا يقول ان عبد الناصر قد سحق روح الانسان المصري . ولست احسبك تصدق ان " الانسان المصري " هم جماعة الليبراليين المنافقين ، اصحاب الكلمات الكبيرة المجردة من مضامين عينية من حياة الناس .

عدد الكلمات:

لم تكن الجولة الكلامية التي خاضها محمد عودة على صفحات العدد الخامس باستثناء مما كتبه الكاتبون فيه. انه بحق " عدد الكلمات " . اعني الكلمات الكبيرة التي يتوه القارىء في ضجيج الفاظها الضخمة فلا يهتدي الى دلالتها العينية.

تأملوا مثلا مقالة رئيس التحرير تحت عنوان " فلسطين بين المسؤولية القومية والحلول القطرية " قال :

" تحققت الثورة العربية على امتداد ساحة الوطن العربي فحركت الطاقات الفعالة في الجماهير فأصبحت الثورة جماهيرية المنطلق ، جماهيرية الاداة ، جماهيرية الغاية.. وحققت الثورة العربية - من عمق تعاملها مع الجماهير- زخما ثوريا فرض من خلال الجماهير البعد القومي بكل مسؤولياته تجاه القضايا المصيرية في الوطن العربي ".

يا جمعة يا مهدي يا فزاني ،

هل تحقق كل هذا ؟

يا رجل . حرام عليك . كيف بقيت اذن اعلام الصهاينة مرفوعة على الارض العربية؟

وتأملوا- مثلا اخر- ما قاله الدكتور احمد صدقي الدجاني تحت عنوان " الوحدة العربية وقضية التحرر " قال : " لن نكون منصفين لو اننا – غفلنا او تغافلنا عن ذكر حقيقة .. تبرز بقوة.. نراها ساطعة كالشمس تشع نورا وتوحي معاني عظيمة وتطرح قيما سامية . تلك هي حقيقة وجود ثورة عارمة في الوطن العربي تناضل من اجل وحدته وإزالة الحدود والسدود بين اجزائه وتناضل من اجل بناء مجتمع الكفاية والعدل فيه لتظلله الشورى والديمقراطية هذه الثورة كما نراها وتحيط بها النظرية الشاملة ويتعمق فهمها بادراك حركة التاريخ هي ثورتنا العربية الواحدة ... "

يا دكتور،

هل توجد - حقا- ثورة عربية واحدة في الوطن العربي؟.. كيف اذن مايزال كثيرون- انت منهم- يناضلون بأساليب شتى، وبدون نجاح كبير، من اجل ايجاد اداة الثورة العربية، التنظيم القومي، او الحركة العربية الواحدة، او " الطليعة العربية " او سمها ما شئت ؟. هل توجد الثورة العربية الواحدة قبل وجود الاداة الواحدة للثورة العربية؟ ..

الاجابة تتوقف على مدلول الكلمات.

ما معنى الثورة؟

ما معنى عربية ؟

ما معنى جماهيرية ؟.. الخ

ما الثورة ؟ :

يقول الدكتور عصمت سيف الدولة في كتابه " نظرية الثورة العربية " (صفحة ٦٣٥) ويؤيده ابو ذر تأييداً تاماً : " ثمة مبررات في الوطن العربي تقتضي تحديد مفهوم الثورة تحديدا علميا دقيقا. من هذه المبررات شيوع استعمال المعنى " المجازي " للثورة حيث تعني ضخامة الجهد أو ضخامة الاثر، ولقد ادى هذا الشيوع الى ان اصبحت الثورة تطلق على اداء الواجبات اليومية ولا تزيد عن هذا الا قليلا . ومنها اساءة استعمال كلمة الثورة لتغطية اعمال لا تمت الى الثورة بصلة. ومنها غموض المضامين التي تنسب الى الثورة . فالثورة التي هي تغيير جذري في المجتمع تجرنا الى السؤال عما هو الجذري . والجذري الذي هو اساس يحتاج الى معرفة ما هو الاساسي .. وهكذا. كل هذا يفتح الباب واسعا لادعاء الثورية والتضليل باسم الثورة .

" لهذا ينبغي ان تكون الثورة بمعناها الحقيقي معروفة لنا حتى لا نضل او نضلل . والمعنى الحقيقي للثورة هو تغيير النظام في المجتمع على وجه يحقق ارادة الشعب ، او اغلبه ، من غير الطريق الذي يرسمه النظام القانوني السائد فيه . ذلك لانه في اي مجتمع مضامين اقتصادية واجتماعية وسياسية ، تكون معا مضمون علاقات الناس انفسهم . وفي كل مجتمع تصاغ علاقات الناس حول هذه المضامين في عديد من القواعد والقوانين العادية والدستورية تكون معا النظام القانوني للمجتمع وكل نظام قانوني يتضمن طريقة قانونية ايضا، او مشروعة كما يقولون، لتعديله او تغييره- ويفرض - في الوقت ذاته- جزءا رادعا على محاولة تغيير العلاقات التي يحميها من غير الطريق الذي رسمه ، وينشىء ادوات الردع اللازمة لتنفيذ احكامه.

" ولما كان النظام القانوني في اي مجتمع نظاما عاما بمعنى انه للجميع ويخضع له الجميع طبقا للشروط التي يتضمنها، فان مشروعيته قائمة على فرض ان المضامين والعلاقات التي صاغها فحماها تتفق مع ما تريده الجماهير التي تعيش في ظله او اغلبها .

" الا انه يحدث ان يكون هذا الفرض غير صحيح . اما لأنه نظام قانوني مفروض على ارادة الجماهير منذ مولده كتلك النظم التي يفرضها الاستعمار على الشعوب التي يستعمرها ، فيرسم لها حدودها، ويضع لها دساتيرها، ويعين لها سلطاتها ويسن لها قوانينها ، ليوفر الحماية لمصالحه تحت ستار الشرعية ، واما لان المضامين الاجتماعية قد تجاوزت عن طريق النمو والتطور اطارها القانوني الثابت نسبيا ، فتصبح مصالح الشعب او اغلبيته ، مجردة من الحماية القانونية ، وخارج اطار الصيغة التي يمثلها النظام القانوني القائم .

" عندما يسقط افتراض حماية النظام القانوني لمصالح الجماهير التي تكون الاغلبية، يتجرد من الشرعية ويبقى عدوانا على الشعب مصوغا في شكل قانوني ، ويصبح تغييره مشروعا. هنا ينقسم الناس عادة الى قسمين ، قلة رجعية لا يزال النظام القانوني المتخلف يوفر الحماية لمصالحها فتقف ضد اي تغيير فيه . وكثرة تقدمية تريد ان تغيره على وجه يكفل حماية مصالح اغلبية الشعب . ثم يفترق التقدميون انفسهم حول اسلوب التغيير : فمنهم الاصلاحيون الذين يرون ان يلتمسوا التغيير عن طريق ذات الاسلوب الذي رسمه النظام القانوني الذي يريدون تغييره، يعدلون لائحة هنا، ويضيفون نصا الى قانون هناك ، ليلائموا بين النظام القانوني ومصلحة الجماهير وتلك وسيلة ناجحة عندما تكون الجماهير قادرة فعلاعلى تغييرالنظام القانوني ، اي في ظل الديمقراطية، عندما تكون القوانين من صنع الشعب خاضعة في وجودها والغائها لارادة الشعب فعلا. ولكنها وسيلة فاشلة تماما عندما يكون النظام القانوني ذاته قد جرد الجماهير، اقتصاديا او سياسيا او اجتماعيا من المقدرة على تغييره.

" هنا تكون قد توافرت الظروف الموضوعية للثورة.

" وهنا تكون محاولة التزام احكام النظام القانوني السائد لتحقيق غايات الجماهير التزاما مثاليا عقيما، ولا. تبقى الا الثورة اسلوبا يلتزمه التقدميون الذين يسمون عندئذ " ثوريين " . وتكون مهمتهم توعية الجماهير المقهورة وتنظيمها وقيادتها لاسقاط اسس النظام القانوني المتخلف واعادة صياغته طبقا لمصلحة الجماهير ذاتها . اي تمكين الجماهير ذاتها عن طريق النضال الجماعي المنظم من استرداد مقدرتها على التغيير، وتحقيق غايتها، خارج اطار الاصلاح القانوني .

" لهذا فان الثورة ليست رغبة جامحة، ولكنها حل حتمي لمشكلة موضوعية خلقها النظام القانوني القائم . فحيث تسلب الجماهير المقدرة على تحقيق ارادتها ديموقراطيا، لا يكون امامها الا طريق الثورة. ولهذا حق ما يقال من ان الثورة تعني دائما انها شعبية وتقدمية. وتخرج بذلك من عداد- الثورات الانقلابات التي يلجا اليها البعض لمجرد الوصول الى السلطة ولو عن طريق العنف . انها مجرد مخالفات دستورية ولو كانت عنيفة . كما تخرج اعمال العنف التي تلجأ اليها الرجعية ضد الثوريين للابقاء على النظم غير المشروعة ، وهذا ما يسمى عادة " الثورة المضادة " . انه ارهاب.

" ومن المهم ان نفطن هنا الى ان العنف ليس شرطا للثورة . وان وقع فليس الثوريون مسؤولين عنه. ان العنف الذي قد يلجأ اليه الثوار اجراء مشروع لتجريد اعداء الثورة من المقدرة العنيفة على تثبيت نظام قانوني يجب ان يسقط لمصلحة الجماهير. ولما كان ذلك النظام القانوني ذاته يبيح العنف ضد الذين يحاولون اسقاطه ، فانه اعتداء ، قائم ، والرد عليه بمثل اسلوبه العنيف دفاع مشروع .

" تلك هي الثورة.

" بمجرد التزام المنطلق القومي التقدمي ، وطبقا لهذا المفهوم المحدد للثورة ، يتضح ان الثورة هي الطريق الوحيد الى دولة الوحدة الديموقراطية الاشتراكية .

" ذلك لان الوجود الموضوعي للامة العربية كمجتمع قومي واحد يعني ان مقياس الضرورة الثورية هو مدى ما يبيحه النظام القانوني في الوطن العربي ككل من سبل ديموقراطية لتحقيق ارادة الجماهير العربية ككل . فقد قلنا ان الثورة هي البديل الحتمي عندما تسلب الجماهير مقدرتها على التغيير ديموقراطيا .

" والواقع من النظام القانوني في الوطن العربي انه مجموعة عديدة من الدساتير والقوانين- حيث توجد دساتير وقوانين- تجزيء الوطن الواحد الى دول عدة ، وتجسد هذه التجزئة وتحميها . وهي لا تحميها بقوة الاقناع بل بالزجر الرادع من أول القتل شنقا الى النفي خارج الحدود . ومع ان بعض دساتير الدول العربية تنص على ان شعوبها اجزاء من الامة العربية فليس في اي دستور في اية دولة عربية نص على وحدة الوطن العربي ، او نص لا يعتبر الارض العربية خارج حدود الدولة ارضا اجنبية ، او نص لا يعتبر العرب الوافدين الى الدولة اجانب قادمين اليها او مقيمين فيها عرضا الى ان يعودوا الى " اوطانهم الاصلية " .

ما معنى عربية؟

هذا المعنى الاصيل للثورة لا يكفي- بمفرده- لوصف اية ثورة في الوطن العربي بانها ثورة عربية. فالثورة قد تكون اقليمية اذا ما توافرت شروطها وقامت في قطر عربي من اجل تغيير الواقع الاجتماعي فيه. والثورة الاقليمية لا تكون ثورة عربية لمجرد ان تحدد لها اهدافا تتجاوز حدود اقليمها كأن تعلن مثلا ان غايتها الوحدة العربية انها حينئذ ثورة عربية " بالنية " وليست

بالفعل . انما تكون الثورة عربية، ولو بدأت في اقليم، اذا لم يكن الاقليم الا منطلقا لها او احدى ساحاتها، أي الا اذا كانت هي في ذاتها محررة من الاقليمية ، محررة من اقليمية المنطلقات بان تكون قومية المعتقد . محررة من اقليمية الغايات بأن تكون وحدوية الهدف . ثم – وهذا هو الفيصل- محررة من اقليمية الاداة . بأن يكون تنظيمها الثورة واداة تحقيق غايتها الوحدوية قوميا في تكوينه البشري ونظامه الداخلي واستراتيجته الحركية ووحدة قيادته. انها خصائص الحركة العربية الواحدة التي يتوقف على وجودها امكان وجود ثورة عربية. اما استعمال " الثورة العربية " تعبيرا عن مجموعة من الثورات او الانقلابات القطرية لمجرد انها حدثت على الارض العربية ، الثورات او الانقلابات في اقطارها لمجرد انها تغير الواقع واستعمالها تعبيرا عن الانجازات التي تحدثها أي من تلك في كل قطر على حدة ، واستعمالها تعبيرا عن النشاطات الثورية او السلمية التي تعبر عن اهداف الثورة العربية المرتقبة كما لو كانت واقعا قد تحقق مع ان اداتها لم تتحقق بعد، واستعمالها للتعبير عن امال الجماهير العربية التي تفتقد المقدرة على التحقق ثوريا لانها تفتقد التنظيم القومي الذي يقودها في طريق الثورة ، فكلها استعمال لكلمة كبيرة استعمالا مجازيا لا يمثل شيئا عينيا في الواقع.

هل ثمة ضرر في هذا الاستعمال؟

نعم . ضرر يستحق تدخل ابي ذر لينذر وهو يعلق على مقالين كتبهما كاتبان يستمع اليهما ويتأثر بهما الجيل العربي الجديد من الشباب العربي . وهو ضرر ذو وجوه عدة . اولها الا ينتبه الشباب العربي من الجيل الجديد الى التزامه التاريخي بأن يبني اداة الثورة ويشعل الثورة العربية . اذ لو كانت الثورة العربية متحققة لما كان ملتزما بالاعداد لها واشعالها . ثانيها: ان ينسب كل القهر والتردي الذي تعانيه الجماهير العربية الى الثورة العربية . اذ انها لو كانت متحققة ثم تقهر الجماهير وتتردى في ظلها لكانت ثورة فاشلة . ثالثها : ان يحجب عن وعي الجيل الجديد من الشباب العربي الهدف الاساسي للثورة العربية وهو تحطيم وسحق التجزئة الاقليمية. اذ لو كانت متحققة في ظل التجزئة لما كان ثمة تناقض بين الثورة العربية والتجزئة الاقليمية. رابعها ان تمد في عمر الاوهام التي سادت دهرا وهي امكان قيام ثورة عربية باداة او ادوات اقليمية. اذ لو كانت متحققة بدون ان يكون التنظيم القومي لما كان التنظيم القومي لازما للثورة ا لعربية ...ا لخ .

لا يمكن ان يغيب اي من هذه المعاني عن فطنة رئيس التحرير او الدكتور الدجاني ، وانما هما يكتبان عن الثورة العربية وفي ذهنيهما تكملة محجوبة لم تكتب . اعني ان ما كتباه انما هو جزء "بسيط " مما يعيانه . ولو كتبا كل ما يعيانه لسدا ثغرات المخاطر فيما كتب . ولكن الخطأ هنا هو ان الفكرة المكتوبة تنتقل الى القارىء مستقلة عن وعي كاتبها. ومن هنا فلا ينبغي للكاتب ان يفترض ان القارىء يعرف كل ما يعرف او يفكر كما يفكر . فعليه، اذن ، ان استعمل كلمة " الثورة العربية " استعمالا مجازيا الا يبخل على القارىء بجملة يضيفها ويقول فيها " انني اعني بالثورة هنا كذا " او " اعني بأنها عربية انها كيت " .. ذلك لانكم- ايها السادة- لا تخاطبون انفسكم بما تكتبوه بل تخاطبون الجيل الجديد من الشباب العربي . وهي مسؤولية تستحق الحذر.

الوضعية المنطقية :

يقول الدكتور زكي نجيب محمود في كتابه " نحو فلسفة علمية " :

" انها لنكبة ثقافية كبرى تصاب بها الامة اذا سادت بين قادة الرأي فيها عادة التفكير على المنهج الارسطي الذي اسلفناه (المنطق الصوري) . لانهم عندئذ سيغوصون في بحر من الثقافة اللفظية الفارغة. انهم سيتمسكون بكل ما في اوراقهم ودفاترهم ومجلداتهم من الفاظ ثم يصبح مجهودهم الفكري بعد ذلك هو ان يشرحوا هذه الالفاظ ثم يشرحون الشروح ثم يضعون لهذه الشروح هوامش شارحة يعلقون عليها بمجلدات في اثر مجلدات مع ان الالفاظ الاولى التي بنوا عليها هذا البناء الهش كله قد تكون زائفة بغير معنى .. "

يقول ابوذر: كأن نبني افكارنا مثلا على اساس ان " الثورة العربية " متحققة . ما علينا . انما نريد بهذا التعليق على " عدد الكلمات " من الشورى ان نقدم الى الجيل الجديد من الشباب العربي فكرة مختصرة عن مشكلة التضليل اللفظي ومخاطر الكلمات الكبيرة المبهمة على حياة البشر. ليعرفوا اولا انها مشكلة غير مقصورة على كتاب الشورى ولا على العالم العربي بل هي في القمة من ازمة الفكر الانساني مما حدا بجماعة كثيفة العدد من الفلاسفة والمفكرين في انحاء العالم جميعا الى الالتقاء في مدرسة فلسفية حديثة- نسبيا- تحاول ابداع ضوابط محددة لاستعمال المفردات اللغوية لانقاذ الفكر الانساني من تضليل الالفاظ . ولقد انتهت جهودهم الى

فلسفة تكسب كل يوم مزيدا من الاعتراف ويصيبها في كل يوم مزيد من التطور اسمها " الوضعية المنطقية " .

عميد هذه المدرسة في الوطن العربي هو الدكتور زكي نجيب محمود ، الاستاذ السابق للفلسفة في جامعة القاهرة، والفيلسوف المؤلف الكاتب الاديب المرموق .

نشأت " الوضعية المنطقية " في جامعة فيينا (النمسا) على اثر تولي مورتس شليك منصب استاذية الفلسفة فيها. ولم يكن شليك فيلسوفا في الاصل بل كان عالما للطبيعة حصل على الدكتوراه في موضوع " انعكاس الضوء على وسط غير متجانس " وكان استاذه عالم الطبيعة الكبير بلانك، التفت حوله جماعة من رجال الفكر العلمي الذين يميلون الى الاتجاه الفلسفي في طريقة تفكيرهم. واصدروا في ١٩٣٠ مجلة فلسفية ثم امتدت افكارهم الى كثير من بلاد العالم وجامعاتها وخاصة انكلترا والولايات المتحدة الاميركية .

اساس " الوضعية المنطقية " هو المنهج التجريبي الذي قال به لوك وهيوم ومؤداه ان الادراك الحسي هو السبيل الوحيد للمعرفة العلمية . فأي شيء لايخضع للتجربة الحسية ولا تدركه الحواس هو ببساطة غير موجود . على هذا الاساس اقامت مدرسة فيينا فلسفتها على محور البحث في دلالة اللغة وتركيبها . " بحيث يكون المعنى الوحيد في تحديد معنى كلمة معينة هو الشيء الذي جاءت الكلمة لتسميه ".

" على ان الشيء الذي نريد الاشارة اليه باللغة قد لا يكون كائنا واحدا فردا بحيث تكفى كلمة واحدة او اسم واحد للدلالة عليه، بل قد يكون واقعة مركبة من طرفين او اكثر تربطهما علاقة معينة فعندئذ تكون الاداة اللغوية في تصوير هذه الواقعة جملة، او ان شئت فقل " قضية " باصطلاح المنطق، وها هنا يكون حكمنا بالصواب او بالخطأ على " القضية " مرتكزا على ما بين اجزائها من جهة واجزاء الواقعة الخارجية من جهة اخرى ، بحيث يجوز ان نقول عن القضية حقا انها صورة للواقعة المراد تصويرها فان وجودنا انفسنا ازاء قضية لا نجد لها من وقائع العالم ما تطابقه، حذفناها من جملة الكلام المفهوم اذ لا وسيلة لفهم قضية اخبارية الا بردها الى الواقعة المادية التي جاءت القضية لتخبر عنها أو تصورها، (نحو فلسفة علمية) .

ويقول : " اننا نتطلب من العبارة، اذا اراد قائلها ان تكون دالة على وجود فعلي تجريبي لشيء او اشياء في العالم الخارجي ان تكون كل لفظة في الفاظها، اذا اريد ان يكون لها معنى موضوعي (ما عدا الالفاظ البنائية مثل " اذا " و " ليس " و " اذ " وما اليها) مشيرة الى مضمون من

الخبرة الحسية بحيث يعرف السامع من دلالة اللفظة في خبراته الماضية من الوان وطعوم واشكال الخ.. فاذا استخدم المتكلم كلمة " نهر " مثلا عرف السامع الى اي نوع من الخبرات الحسية يشير المتكلم بكلمته تلك..

" ولما كان " وضع " الامور في عالم الواقع هو وحده مجال البحث العلمي اطلق على النظرية العلمية اسم "الوضعية" فان كان "الوضع" القائم الذي يشغل الباحث عبارة عن عبارات اللغة او لفظة من الفاظها ، كانت "الوضعية" في هذه الحالة وضعية " منطقية " ، ومن ثم كان هذا الاسم (الوضعية المنطقية) .

هذه هي الفكرة الجوهرية في الوضعية المنطقية . ان تصدق الكلمات في تصوير واقع يمكن اثباته. الكلمات ولو كانت جملا مفيدة محكمة المنطق لا تعني شيئا الا اذا كانت تعبر عن واقع عيني متحقق يمكن ادراكه . فالمنطق الصوري اذن لا يعني صدق اية قضية. وعلى اساس المنطق الصوري يمكن ان يقام بناء فكري كامل ، فارغ لا معنى له لانه لا يمثل شيئا في الواقع . وهو انتهاك واساءة استعمال اللغة . على هذا الوجه طرح الوضعيون المناطقة مشكلة " التسيب " اللغوي

او " استبداد، الحديث بكلمات مرصوصة منمقة " منطقية " في ذاتها ولكنها مجرد كلمات مقطوعة الصلة بالواقع ، اي كاذبة. ولسنا نريد ان نضيف دليلا الى ما يذكره الوضعيون المناطقة من ادلة على الكلمات والمقالات، بل والمؤلفات ، التي لا تعني شيئا واقعيا، يكفينا ما جاء في العدد الخامس من الشورى من احاديث عن " الثورة العربية " التي تحققت وانجرت في الوطن العربي . انما الذي

يهمنا- الان- حتى تكمل الفكرة المختصرة عن تلك الفلسفة ان نعرف مدى ما استطاع اصحابها أن يقدموه حلا للمشكلة.

ان فشلهم يتمثل في محنة واحد من مؤسسي مدرستهم .

محنة فيلسوف شجاع :

لودفج فتجنشتين فيلسوف ولد عام ١٨٨٩ وتوفي عام ١٩٥١. كان في الاصل مهندسا حمله اعجابه بتعين القوانين الهندسية الى دراسة الفلسفة الرياضية . اراد ان يخضع الفكر لقواعد من المنطق في مثل يقين واحكام وقوانين الرياضة . نشر في عام ١٩٢٢ كتابه " رسالة منطقية " . قال :

" اللغة هي ناقلة الفكر. انها تهدف الى تقرير الواقع. وهو ما تحققه عن طريق تصوير هذه الوقائع. فلا بد لها من أن تكون شبيهة من حيث البنية بما جاءت لتصوره فالجملة المثبتة تكون صورة لاحدى حالات الواقع الممكنة. بنفس الطريقة التي يمكن للخريطة التخطيطية ان تصور بها معركة وان تصور بها ترتيبت الاثاث في الغرفة. وهذا صحيح حتى بالرغم من شدة زحام اللغة الاصطلاحية العادية بالمصطلحات الاتفاقية الخاصة وبالقواعد الجزافية . وهي امور من شانها ان يتعذر معها تبين الجانب التصوري من اللغة ، تماما كما ان خريطة استراليا قد ترسم بطريقة غريبة في رسم الخرائط تجعلها لا تبدو لنا استراليا عند النظرة الاولى . على ان اللغة الكاملة ممكنة التصور كما انها ممكنة التركيب من حيث المبدأ . وفي مثل تلك اللغة على سبيل المثال تكون علاقة الاشياء الممكنة مصورة تصويرا واضحا تاما عن طريق استعمال اشتقاقي للغة ولكنه استعمال مشروع وهو الاستعمال الذي نصوغ به تحصيلات الحاصل . ونمثل ذلك بمثل بسيط فنقول : اما ان تكون السماء ممطرة واما غير ممطرة . فهما علمان صحيحان صحة خالية من المعنى اذ هما ينبئان بشيء . اما فيما عدا صورة الواقعة الكاملة المعنى وتحصيل الحاصل المشروع مع خلوه من المعنى فلا يوجد استعمال مشروع للغة . وكل محاولة تبذل لاستعمال اللغة على صورة اخرى لن تكون الا هراء . وبصفة خاصة تكون جميع الاقوال الميتافيزيقية اشباه قضايا اي انها انتهاك خال من المعنى لاستعمال اللغة استعمالا صحيحا ما دامت اقوالا لا هي بالتجريبية ولا هي بتحصيلات الحاصل؟ ..

واضح انه هنا قد ارسى نظرية الوضعية المنطقية.

ولكنه فوجيء بان نظريته الفلسفية هذه تؤدي الى ان تكون هي ذاتها هراء ميتافيزيقيا لا معنى لها. اذ ان التجربة الحسية هي المصدر الوحيد لصدق اية قضية فان القضية الاساسية في الوضعية المنطقية تكون كاذبة . ذلك لان القضية التي تمثل منطلق النظرية وهي " ان اللغة هي ناقلة الفكر وانها تهدف الى تقرير الواقع وهو ما تحققه عن طريق تصوير هذه الوقائع فلا بد لها من ان تكون شبيهة من حيث البنية بما جاءت لتصوره ". هذه القضية، هي مقولة قبلية

ميتافيزيقية لا يمكن اثباتها بالتجربة الحسية ومع ذلك فهي اساس فلسفته كلها . وعلى هذا وجد فتجنشتين نفسه امام هذا الحرج. ان صحت فلسفته فهي ليست فلسفة صحيحة .

ماذا فعل؟

نشر كتابه في الفلسفة ثم التزم فكره مسلكا فاعتزل الفلسفة لانها هراء لا معنى له..

هكذا طرحت الوضعية المنطقية مشكلة واقعية تحرضنا على الحذر من استعمال الكلمات مقطوعة الصلة بالواقع ، ولكنها فشلت في حل المشكلة . لان منهجها الى الحل كان خاطئا . فليست التجربة الحسية هي الطريق " الوحيد " للمعرفة. ولا تقل الميتافيزيقية المادية بعدا عن العلم عن الميتافيزيقية المثالية . ايا ما كان الامر فاننا في حاجة الى الحذر الشديد من كذب الكلمات سواء كنا كاتبين او قارئين . وما يزال بعض الكاتبين في الوطن العربي في حاجة الى مثل شجاعة فتجنشتين.

مأساة ابي ذر:

يؤمن ابوذر ايمانا مطلقا بان " الاكتفاء " بالحديث عن الحرية والوحدة والاشتراكية والثورة العربية وفلسطين المغتصبة.. الخ، قد اصبح عارا وضررا. وبأن قد سقطت قيمة الكلمات اذ انتهكت مضامينها واهترت الفاظها فالحرية عبودية والوحدة انفصال والاشتراكية استغلال والثورة العربية استرخاء على صفحات المجلات في حفل من المبارزات الكلامية وفلسطين المغتصبة قد حملت سفاحا ووضعت " خيانة " .. هكذا يؤمن ابوذر. ولكنه- وهذا جوهر مأساته- " عاجز " عن تجسيد هذا الايمان الا بالكلمات المرصوصة على الورق يبذل فيها جهدا ضائعا . ويتقزز ابوذر من الشعور الزائف بالرضى عن النفس الذي يتلو رص الكلمات . ومع ذلك ، فهو لا يستطيع ان يدين الكلمات الكبيرة الا بكلمات اكبر . لا يستطيع ان يحارب العار إلا اذا شارك فيه. لا يستطيع ان يلتزم افكاره الا اذا ا لغاها ..

من يعرف منكم عذابا اكثر هولا من هذا العذاب فليقل عسى ان يكون فيما يقول عزاء . اما الذين لا يعرفون فليصلوا من اجل ابي ذر عسى ان يمنحه الله شجاعة فتجنشتين او بعض شجاعة الغفاري فيصمت او يعتزل .

الم اقل من قبل ان اسباب القطيعة بين الشورى وبيني تتراكم وتنبىء بفراق قريب .

فليهدأ- اذن- رئيس التحرير فأن ما يخصه من تلك الاسباب لا يعدو انه يتصرف على اساس ما "يعتقده " لا على اساس ما هو " واقع " . وليس في هذا شيء جديد، علينا نحن الذين نسمي انفسنا قوميين تقدميين . انه جزء من محنة القطيعة المأساوية بين الفكر والممارسة ايا كان ا لمضمون .

اما ابوذر فهو يحاول ان يجد شجاعة الافلات من عذابه .

والسلام عليكم ورحمة الله .

القاهرة في ١٠ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٥

الفهرس

الاهداء

(١) تعارف- على السفود- ابو ذر- الفراسة - اخيرا

(٢) مع المتشائمين- مرض النكوص- ماذا تريدون- مثال- حكاية من الصين- حوار مع الطليعة- الاركسة والماركسية- موعظة من بابل .

(٣) رسالة الى رئيس التحرير- من اجل النصر - ا لامر الأول- الامرالثاني- هفوة استاذ – انذار

(٤) التعب الموهوم- كتاب مظلوم- عقدة المشكلة- حديث الجبهة- التعب الحق - حاشية

(٥) الحق ا لمر- نقول- مثال رقم ١- مثال رقم ٢ - الوجه الاخر- نصف الحق- التخلف والتنمية- التخطيط الاقتصادي- الفقرة الغريبة - اولا- ثانيا- ثالثا- رابعا- التنمية الاقتصادية على اساس الاعتماد على المقدرة الذاتية- فذلكة نفسية .

(٦) تحية للمجتهدين- الدين والحضارة- اجتهاد في الاستراتيجية والتكتيك - قال الله تعالى- رد على رسالة شاب عربي .

(٧) الاخطبوط - التيار الاول- التيار الثاني - التيار الثالث- التيار الرابع- التيار الخامس- التيار السادس- التيار السابع - التيار الثامن- الموقف الاول- الموقف الثاني- الرجل التاسعة- التيار التاسع- درس من الاغتراب الحضاري- استدراك - المؤسسة الاولى- المؤسسة الثانية- المؤسسة الثالثة- بالمناسبة - الاول- الثاني- السؤال هو- في سؤال واحد .

(٨) المذهب المحظور- الثورة الشعبية في ليبيا - دفاع عن الحرية- المشكلة الاولى- الانسان والفعل الارادي- بعدا للخوف- المتشائمون - ا لمتفائلون- الرأي الثالث - المشكلة- الحل العمل

(٩) شكوى الى الله- المسألة- الوعي المفقود - حوار مع الزوار.

(١٠) كل عام وانتم بخير- الاستفزاز- اولا : المنطلقات الثورية- ثانيا: الممارسة النضالية- العودة الى التراث الالماني - المثالية وفخته- الالم العظيم- عود على بدء - عن الالهام - ثم الاطفال- ثم الكبار- الكشف الصوفي- الوساطة الروحية- الخطأ الخطر- اسرائيل زا نجول .

(١١) التصحيح الذاتي- النقد.. والنقد الذاتي - الثورة الاجتماعية وقضية الوحدة العربية - البداية- النهاية- مابين البداية والنهاية - المادية الجدلية موضوع مراجعة- موضوع المراجعة- التعديل في المنهج

(١٢) دعاء- الغطاء القومي- اسئلة واجوبة - معقول- قضية الوجود القومي- اهمية ا لموضوع- دون كيشوت- دون كيشوت "الشورى"- المطحنة الاولى- المطحنة الثانية- المطحنة الثالثة- المطحنة الرابعة - سانكوبانزا- الاتقان والخطأ .

(١٣) من ابي ذر الى رئيس التحرير- تكرار البيطار- ذكريات حلوة ومرة- الموسوعة البيطارية- حوار الافكار الشابة- الوصايا

(١٤) بيان الى القراء - السؤال المطروح - خطأ المنهج - الاساس ا لفكري - ا لمرجع- تأريخ ما اهمل التاريخ- الاتجاه الى الجيش- الى من تنتمي ثورة ٢٣ يوليو- ما خفي كان اعظم- لا اعتذر- مشكلة الممارسة ا لديموقراطية - ا لوثيقة- ا لتقديم- ما الحل - اذن- حاشية

(١٥) نقطة على حروف الثورة- حو ار وعتاب - جوهر القضية- عدد الكلمات- ما الثورة ؟ ما معنى عربية- الوضعية ا لمنطقية- محنة فيلسوف شجاع- مأسا ة ابي ذر

ا لفهرس